@ketab_n
Follow Me
24.7.2015

ترومان كابوتي

إفطار عند تيفاني

رواية قصيرة وثلاث قصص

ترجمـة: مجدي خاطر

مراجعة: محمود الزواوي

أثر

ترومان كابوتي

إفطار عند تيفاني

رواية قصيرة وثلاث قصص

ترجمة

مجدي عبد المجيد خاطر

أثر

Twitter: @ketab_n

إفطار عند تيفاني

Twitter: @ketab_n

رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٤٧٤٨/ ١٢/ ٢٠١٠)

٨١٣,٩

كابوتي ، ترومان

إفطار عند تيفاني/ ترومان كابوتي؛ ترجمة مجدي عبد المجيد خاطر .-

عمان : دار أزمنة ، ٢٠١٠ .

(١٥٨) ص

ر.أ. ٤٧٤٨/ ١٢/ ٢٠١٠

الواصفات : / القصص الانجليزية / / الأدب المترجم/

◆ أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

◆ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ISBN 978-9957-09-456-0 (ردمك)

إفطار عند تيفاني / ترومان كابوتي / ترجمة: مجدي عبد المجيد خاطر

هذه الترجمة الكاملة لكتاب :

Truman Capote (Breakfast At Tiffany's)

الطبعة الأولى : 2011

جميع الحقوق محفوظة بموجب اتفاق ©

أزمنة ®

أزمنة للنشر والتوزيع

تلفاكس : 5522544

ص.ب: 950252

شارع الشريف ناصر بن جميل ، عمارة 55 (الدوحة) ، ط4

E.MailLinfo@azminah.com

info@azminah.net

Website:http://www.azminah.com

All righ reserved. No Part of this book may be reproduced, stored in all retrieval system or trasmitted in any form or by any mean wiothout prior permissionin writtingof the Author.

جميع الحقوق محفوظة ، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر .

لوحة الغلاف : ملصق فيلم إفطار عند تيفاني

تصميم الغلاف: أزمنة (إلياس فركوح)

الإخراج الداخلي : ازمنة (نسرين العجو ، إحسان الناطور)

الطباعة : شركة الشرق الأوسط للطباعة/ عمّان

تاريخ الصدور : كانون الثاني/ يناير 2011

Twitter: @ketab_n

الفهرس

عن ترومان كابوتي 7

الإهداء 11

1 . إفطار عند تيفاني 13

2 . بيت الزهور 109

3 . غيتار ماسّي 127

4 . ذكرى عيد ميلاد 141

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Truman Capote
ترومان كابوتي

وُلِدَ ترومان ستركفوس بيرسونز، أو: ترومان كابوتي في الثلاثين من سبتمبر/أيلول عام 1924 بنيو أورليانز. تأثرت سنواته الأولى بحياة أسريّة غير مُستقرة ، وقد آلت تربيته لعائلة أمّه في مونروفيل بولاية آلاباما بعد سجن والده بتهمة الاحتيال وطلاق والديه ثمّ خوضهما معركة مريرة من أجل الفوز بالوصاية على ترومان . في نهاية المطاف، انتقل إلى مدينة نيويورك للعيش مع أمّه وزوجها الثاني، رجل الأعمال الكوبي الّذي منحه لقبه: كابوتي. حصل كابوتي الشاب على وظيفته الأولى بمجلة «النيويوركر» كعامل لنقل المواد المُعدّة للطبع في بداية الأربعينيات من القرن المنصرم ، لكنه طُرِدَ بسبب إهانته غير المقصودة للشاعر الأمريكي روبرت فروست. رسّخت قصصه الأولى التي نُشرت في مجلة : «الهارير بازار» شهرته الأدبية وهو لا يزال في العشرينيات من عمره، وعززت روايتاه التاليتان من شهرته المبكرة «أصوات أخرى، غرف أخرى» [1948] وهي قصة قوطيّة تتعلق بالنضوج من الطفولة إلى البلوغ وصفها كابوتي بـ «محاولة للتطهر من الشياطين» ، و«قيثارة العشب» [1951] فانتازيا أكثر رقّة تتخذ من سنواته في آلاباما محوراً لها .

منذ البداية ، حرص كابوتي على مدّ جسور الصداقة على مدى واسع مع الكُتّاب والفنانين وشخصيات المجتمع

Twitter: @ketab_n

الراقي ومشاهير دوليين، مكتسباً بذلك اهتماماً إعلامياً متصلاً انصب على حياته الاجتماعية الصاخبة. جمع قصصه في كتاب «شجرة ليل» [1949]، ونشر الرواية القصيرة «إفطار عند تيفاني» [1958]، (أعدّها للسينما جورج أكسيلرود وأخرجها فيلماً بلاك إدواردز عام 1961، وقام بالدورين الرئيسيين كلٌ من أودري هيبورن وجورج بيبارد) لكنه كرّس طاقاته بشكل متزايد في الإعداد لمعالجة مسرحية عن «قيثارة العشب» وكتابة المسرحية الموسيقية «منزل الزهور» [1954] وللصحافة، والتي كانت الأمثلة المبكرة لكتاباته لها «لون محلي» [1950] و«التأملات مسموعة» [1956]. ولترومان كابوتي تجربة وحيدة في الكتابة للسينما هي النصّ السينمائي لفيلم «اهزمْ الشيطان» [1954] الّذي أخرجه جون هيوستن.

شكّل اهتمام كابوتي بجريمة قتل أسرة كاملة في كانزاس، والّذي قاده لتحقيق مطوّل، الأساس لروايته ذائعة الصيت «بدم بارد» [1966] أكثر كتبه نجاحاً. وعبر «معالجة أحداث يومية بتقنيات روائيّة» عمد كابوتي إلى خلق تركيبة جديدة: تمزج بدرجةٍ ما بين «الواقع الخالص» والفن. وعموماً، ومهما كان النوع الأدبي لهذا الكتاب، فقد حاز منذ لحظة نشره مُسلسلاً بالنيويوركر على إعجاب بين القرّاء لم تحققه أيٌ من كتابات كابوتي السابقة. وقد صار الحفل التنكري بفندق بلازا الّذي أقيم للاحتفال باكتمال «بدم بارد» حدثاً أيقونياً في ستينيات القرن الفائت، ليحوز كابوتي بعدها لفترة

Twitter: @ketab_n

حضوراً مستمراً بالتلفاز والمجلات، حتى أن ذلك شمل ممارسة التمثيل في فيلم «جريمة عن طريق الموت» .Murder by Death

عمل كابوتي سنوات عديدة في تأليف «صلوات مُستجابة»، وهي رواية لم تُستكمل في نهاية الأمر، كان ينوي أن تصير تلخيصاً مركزاً لكل مشاهداته التي جمعها في حياته بين الأثرياء والمشاهير، وقد روّع نشر جزء منها في مجلة Esquire عام 1975 كثيرين من أصدقاء كابوتي الأثرياء لكشفها أسراراً حميمية ؛ ليجد نفسه مستبعداً من عالم لطالما كان جزءاً منه. في سنواته الأخيرة، نشر مجموعتين من القصص والمقالات : «نباح الكلاب» [1973] و«موسيقى المتقلبين» [1980] . توفي كابوتي في الخامس والعشرين من شهر آب/أغسطس 1984 بعد معاناته لسنوات من مشاكل المخدرات والكحول.

«ترومان كابوتي لاذع شأنه شأن عمّة كبرى، لكنه في أسلوبه يُعد رجلاً جريئاً قصير القامة، وهو أكثر كاتب بلغ حدّ الكمال في جيلي؛ فهو يكتب أفضل الجُمل كلمة كلمة، ونغمة تلو الأخرى. ما كنت لأتمكن من إبدال كلمتين في «فطور عند تيفاني»، التي ستصبح واحدة من الروايات الكلاسيكية القصيرة.»

نورمان ميلر

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

إلى جاك دنفي

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

إفطار عند تيفاني

لطالما عُدتُ لأماكن عشتُ فيها، البيوت والجيرة. مثلاً، ثمّة بناية براونستون بمنطقة شارع إيست سفنتيز مثلاً، حيث، خلال السنوات الأولى من الحرب، حصلت على شقتي الأولى في نيويورك. كانت غُرفة واحدة تكْتَظّ بأثاث كلاسيكي، أريكة وعدة كراسي عريضة مُنَجّدة بالمخمل الأحمر المُثير للحكاك، كالّذي يُرافق المرء في سفره بالأيام الساخنة على متن قطار. الجدران منقوشة بزخارف جصّية، عسليّة اللون إلى حد ما. وفي كل مكان، كذلك في الحمام، ثمّة مُلصقات لآثار رومانية مُبقّعة بنمش بني بفعل الزمن. تُطل النافذة الوحيدة على سلّم للطوارئ. مع ذلك، انتشيت لمّا تحسست في جيبي مفتاح هذه الشقة؛ فرغم ظُلْمتها، ظلّت حيّزي الخاص، والأول. كانت كتبي هناك، جرّة أقلام رصاص في انتظار الشّحذ، كل ما احتجته، هكذا أحسست، لأصير الكاتب الّذي رغبته.

لم يتراءَ لي أبداً في تلك الأيام أنّ أكتب عن هولي جولايتلي، ومن الجائز أنّه ما كنت لأفعل الآن لولا حديث دار بيني وبين جو بيل أهاج ذكرياتي عنها مُجدداً.

كانت هولي جولايتلي تستأجر شقة في بناية البراونستون العتيقة، وكانت تسكن أسفل مني مباشرة. وفيما يتعلق بجو بيل، كان يُدير حانة قريبة من ناصية شارع ليكسنغتون، ولا يزال. كُنّا ـ أنا وهولي ـ قد أعتدنا الذهاب إلى هناك ست أو سبع مرات يومياً، لا للشراب، ليس دائماً بالضرورة، بل لإجراء

Twitter: @ketab_n

مكالمات تليفونيّة : فأثناء الحرب كان امتلاك هاتف خاص أمراً عسيراً . فضلاً عن كفاءة جو بيل في الاضطلاع بالرسائل ، وهوما كان في حالة هولي ليس بالمعروف الهيّن؛ فلديها من الرسائل عدد هائل الوفرة .

طبعاً ، كان ذلك منذُ زمن بعيد ، وحتى الأسبوع الفائت لم أكن قد رأيت جو بيل منذ سنوات عديدة . كُنا نلتقي بين الحين والآخر ، وأحياناً كنت أتوقف عند حانته حين أكون ماراً بالجوار ، لكن فعلياً لم نكن أبداً صديقين حميمين إلا بقدر ما كنّا سوياً صديقين لهولي جولايتلي . جو بيل ليس بالرجل لين العريكة، وهو بنفسه يُقر بذلك ، ويفسر الأمر ذلك بكونه أعزباً وصاحب معدة تعاني من الاضطراب . وكل من يعرفونه يتفقون على كونه رجلاً من العسير مبادلته الحديث . مُحال ! إذا كنت لا تشاركه نفس الاهتمامات ، والتي تُعد هولي إحداها. بعضها : هوكي الجليد، كلاب الوايمري ، Our Gal Sunday (مسلسل إذاعي حرص على متابعته خمسة عشر عاماً) ، جيلبرت وسوليفان* ، مدّعياً قرابة بأحدهما أوالآخر ، لا أذكر أيهما كان .

وهكذا ، حين رنّ جرس الهاتف مساء الثلاثاء الماضي ، وسمعت :«معك جو بيل» ، علمت أنّ الأمر بلا شك يتعلق بهولي ؛ لم يقلْ ذلك ، فقط :«هل تستطيع المجيء سريعاً إلى هنا ؟ الأمر هام» في ما الإثارة تَبُحُ صوته الأجش .

استقليت سيارة أجرة مغموراً بمطر تشرين الأول/ أكتوبر الغزير ، وفي طريقي فكرت حتى أنّها ربما تكون هناك ، وأنني سأرى هولّي مرة أخرى .

لكن لم يكن ثمة أحد في المبنى والجوار ، سواه . تُعدُ حانة جو بيل مكاناً هادئاً مقارنةً بأغلب حانات جادّة ليكسنغتون ، وهي تُفاخر بذلك ، لا بأضواء النيون

---

* مؤلفان مسرحيان (المترجم) .

Twitter: @ketab_n

ولا بالتلفاز. ثمّة مرآتان قديمتان تعكسان الطقس بالشوارع، وخلف البار، في كوّة مُحاطة بصور فوتوغرافيَّة لنجوم هوكي الجليد، ثمّة مزهريّة ضخمة مليئة دائماً بالورود الناضرة التي ينمقها جو بيل بنفسه بعناية ووقار. هكذا ما كان يفعله حين دخلت.

«طبعاً..»، قال، فيما يُثبت زهرة زنبق عَميقاً داخل المزهريّة. «طبعاً، ما كنت لأستدعيك إلى هنا لولم أكن أنشد رأيك؛ فما حدث أمر غريب، غريب بحق.»

«هل بلغك شيء عن هولي؟.»

تحسس ورقة نبات، كأنّه غير واثق كيف يجيب. كان رجلاً ضئيلاً برأس دقيق الحجم وشعر أبيض خشن، يحوزُ وجهاً مائلاً ناتئ العِظام يليق برجل أكثر طولاً، تبدو بَشَرته دوماً وكأنّ الشمس قد لفحتها: وهي الآن قد ازدادت احمراراً. «لا يسعني القول تحديداً بأنّه قد بلغني شيء عنها. أعني، لا أدري. هذا هوسبب رغبتي بمعرفة رأيك. دعني أحضِّر شراباً. مزيج جديد يسمونه الملاك الأبيض.» شرع يخلط نصف مقدار من الفودكا مع نصف جِنْ بدون فيرموت، وفي ما كنتُ أشرب المزيج وقف جو بيل يمصّ دواءه المهدئ للمعدة، ويقلب في رأسه ما يجب أنّ يخبرني به. ثمّ: «هل تذكر رجلاً ما يُدعى آي.واي. يونيوشي؟ من اليابان؟»

قلت: من كاليفورنيا، متذكراً السيد يونيوشي تماماً. كان يعمل مصوراً في واحدة من المجلات المُصورة، وحين عرفته كان يعيش في شقة صغيرة في الطابق العلوي ببناية براونستون.

«لا تخلط الأمور وتشوشني. كل ما أردته هوهل تعرف مَن أعنيه؟ تماماً. من عساه يندفع متخبّطاً إلى هنا إلا السيد آي.واي. يونيوشي بنفسه. لم أره ربما منذ أكثر من عامين، وأين تظنه كان خلال هذين العامين؟.»

Twitter: @ketab_n

«في أفريقيا .»

كف جو بيل عن قرمشة دوائه المهدئ للمعدة ، وضاقت عيناه : «وكيف عرفت ؟.»

«قرأته في عمود والتر وينشلّ .» الذي كان بحوزتي في الواقع.

فتح صندوق النقد الذي أصدر رنيناً ، وأبْرز مُغَلّف مانيلا : «طيب ، لنرى ما إذا كنت قد قرأت ذلك في عمود وينشلّ .»

كانت ثلاث صور فوتوغرافية في المُغلّف ، نفسها تقريباً ، برغم كونها مأخوذة من زوايا مغايرة : زنجي هزيل يلبس تنورة كاليكومنقوشة ، بابتسامة خجولة وإنّ لم تذهب سدى ، يعرض في يديه تمثالاً خشبياً ، منحوتة مستطيلة لرأس فتاة ، شعرها ناعم وقصير كأنّه لرجل ، عيناها الخشبيتان المصقولتان واسعتان وغائرتان في الوجه المُستدّق ، فمها واسع مسحوب مثل شفاه مهرِّج. للوهلة الأولى ، كان التمثال يُشبِه أغلب المنحوتات البدائية ، ثمّ سرعان ما تكشّف أنّ الفتاة الخالق الناطق هولي جولايتلي ، على الأقل كما يمكن لشيء ساكن داكن أن يكون على قدر من الشبه .

«الآن ، ماذا لديك حيال ما رأيت ؟ .» شاعراً بالرضا من حيرتي .

«المنحوتة تشبهها .»

خبط كفيه فوق البار ، وقال : «اسمع يا بني . إنّها هي ، أنا على يقين من ذلك كيقيني من أنّي رجل قادر على ارتداء بنطلونات قصيرة . لقد ميزّها الياباني القصير فور أن رآها .»

«هل رآها ؟ في أفريقيا ؟.»

«حسناً. فقط التمثال هناك . لكنّ الأمر يؤول لنفس الشيء . إقرأ الوقائع بنفسك ،» وقلب إحدى الصور التي كُتب على ظهرها : نحت خشبي ، قبيلة س ،

Twitter: @ketab_n

توكوكول، ايست أنجليا ، يوم عيد الميلاد ، 1956 .

وتابع : «هذا ما قاله الياباني ،» والقصة كالتالي : مرّ السيد يونيوشي يوم عيد الميلاد مصطحباً الكاميرا خلال توكوكول ، قرية في الأدغال في مكان ناء لا تثير الانتباه ، اللهمّ حشد من عشش طين ، في الأفنية الخلفية قرود وفوق الأسقف صقّور . كان قد عزم على المُضي قُدماً حين رأى بغتة زنجياً يُقرفص عند عتبة باب ينحت قروداً على عُكّاز . انبهر السيد يونيوشي وطلب رؤية مزيد من مشغولاته ، حينها رأى منحوتة رأس الفتاة : وأحس ، كما قال لجو بيل ، كأنّه قد سقط في حلم . لكنّه ، حين عرض شراء القطعة ، كوَّب الزنجي كفيه على عورته (ظاهرياً بادرة عطاء مقارنة بنقرة على القلب) ورفض . لم يُفلح في إثنائه رطل ملح وعشرة دولارات أو ساعة يد ورطلين ملح وعشرون دولاراً. وفي كل الأحوال كان السيد يونيوشي مصمماً على معرفة الكيفية التي تُصنع بها المنحوتة . كلّفه الأمر ملحه وساعته ، وقد تواصلا سوياً بالرطانة الإنكليزية والإفريقية ولغة الإشارة . لكن بدا أنّه في ربيع تلك السنة قد شوهد فريق من ثلاثة بيض يتجولون على صهوة الجياد ، امرأة شابة ورجلين . كان الرجلان ، وعيونهما مُحتقنة من الانفعال ، قد أُرغموا على البقاء مُحتجزين يرتعدون في كوخ معزول ، فيما وقعت المرأة لتوها في غرام نحّات الخشب ، وشاركته حصيره .

قال جو بيل مُتشككاً : «يراودني شك كبير في هذا الجزئية .» «أعلم أنّ لديها أساليبها ، لكنني لا أظن أنّها قد تصل لمثل تلك الدرجة .»

«ثمّ ؟»

«ثمّ لا شيء .» هازّاً كتفيه ، وتابع : «سرعان ما عادت أدراجها خالية الوفاض، ممتطية صهوة جواد .»

«بمفردها أم برفقة الرجلين ؟»

رفّت عينا جو بيل : «أظن برفقة الرجلين . والآن الياباني ، الّذي جاب

Twitter: @ketab_n

البلاد بحثاً عنها ، لكن أحداً سواهما لم يرها أبداً .» ثم ، وكأنّه قد أحسّ بشعوري بخيبة الأمل ينتقل إليه ، وفيما لم يكن بحاجة ولو لنزر يسير منه ، قال: «شيء واحد ينبغي عليك الاعتراف به ، إنّه الخبر الواضح الوحيد من بين مالا يُحصى من الأخبار ـ شارعاً بالعد على أصابعه : غير الكافية ـ سنوات ، جُلّ ما أتمناه أنّ تكون ثريّة . لابد أنّها كذلك . لابد أنّ تكون ثرياً كي تتسكّع هكذا في أفريقيا .»

«من الجائز ألاّ تكون قد خطت بقدميها في أفريقيا أبداً .» قلت ذلك عن إيمان، رغم قدرتي على تخيلها هناك ، بمكانٍ ما قد تذهب إليه. والرأس المنحوتة: تفحصت الصور مُجدداً .

«أنت تعلم الكثير . أين هي ؟»

«ميتة . أو في مأوى للمخبولين . أو متزوجة . أظنها تزوجت وهي الآن مرتاحة البال وربما تكون في هذه المدينة تحديداً » .

أطرق برهة ، ثم قال هازاً رأسه : «كلا ، وسأخبرك بالسبب . لوكانت هنا كنت سأراها . خّذ عندك مثلاً رجلاً يحب المشي ، رجلاً مثلي ، رجلاً تمشّى بالشوارع عشر أو اثنتي عشرة سنة، وخلال كل تلك السنوات يسلّط عينيه على الوجوه بحثاً عن شخص ما ، كذلك لم يرها أحد أبداً ، أليس في ذلك سبب وجيه لنفي وجودها هنا ؟ أرى عينات منها طيلة الوقت ، في شقة مُنخفضة قليلاً ، أي فتاة نحيلة تمشي باستقامة مسرعة.» تأنّى كأنّه يدري مدى تركيزي الشديد أثناء تحديقي به .«هل تظن أنني مشوش ؟»

«كل ما في الأمر هوأنني لم أكن أعلم أنّك تحبها . ليس لهذه الدرجة .»

ندمتُ على كلامي ، الّذي أربكه . جَمَعَ الصّور وأعادها للمُغلّف ، فنظرت إلى ساعتي ، لم تكن لي وجهة مُعينة ، لكنني أحسست أنّه من الأفضل أنّ أرحل.

قال ، قابضاً على معصمي : «مهلاً . بالتأكيد أحببتها . لكن ليس حبّاً في لمسها.»

Twitter: @ketab_n

وأضاف دون أنّ يبتسم : «ليس لأنني لا أفكر في هذا الجانب من الأمور . حتى في سني ، وأنا على وشك بلوغ السابعة والستين في العاشر من يناير/ كانون الثاني. يا لها من حقيقة غريبة ـ لكن كلما كبرت ، ازداد هذا الجانب بروزاً أكثر وأكثر . لا أذكر أنّني فكرت في الحب كثيراً حتى حين كنت صبياً ، ومع ذلك أفكر فيه كل لحظة . ربما كلما شاخ المرء وقلّت قدرته على تحويل الأفكار إلى أفعال ، من الجائز أنّ يكون ذلك سبباً في إغلاق العقل على أفكاره التي تصير عبئاً . متى قرأت في الصُحف عن رجل عجوز يُلْحِق عاراً بنفسه ، أعلم أنّ السبب في ذلك هوهذا العبء . لكن ..» وصبّ لنفسه قدحاً من الويسكي وتجرعه مُركزاً : «لن أهين نفسي ، وأقسم، أنّ هولي لم تخطر ببالي على هذا النحو. بمقدورك أنّ تحب شخصاً ما دون وجود هذا الخاطر . تبقيه غريباً ، غريباً وصديقاً . »

دلفَ رجلان إلى الحانة ، وبدا أنّ الوقت قد آن لرحيلي ، وتبعني جو بيل إلى الباب ، وأمسك معصمي مرة أخرى : «هل تصدق ذلك ؟ »

«هل تقصد أنّك لم ترغب في لمسها ؟»

«بل أقصد أفريقيا .»

عند تلك اللحظة لم يتراء لي أنّني أذكر القصة ، صورتها فحسب وهي تنطلق فوق صهوة جواد .

«على كلٍ ، لقد رحلت .» عقّب ، فيما يفتح الباب : «بلى . رحلت وحسب.»

كان المطر قد توقف في الخارج ، ثمة محض ضباب عالق بالهواء ، لذا درت حول الناصية ومشيت بمحاذاة الشّارع حيث تنهض بناية براونستون. كانت الأشجار تحف بالشارع على نحوٍ يجعل منها أثناء الصيف نقوشاً شيقة فوق الرصيف ، لكن الأوراق الآن مُصفرّة وأغلبها متساقط ، وقد جعلها المطر

Twitter: @ketab_n

زَلِقة، تدوسها الأقدام . تتوسط البراونستون التجمع السكني ، بجانب كنيسة حيث ترتفع ساعة فوق برج أزرق تدّق كل ساعة . كانت قد رُممت منذ يوم مجيئي، اُستبدلت الواجهة ذات الزجاج المُضبب القديم بأخرى سوداء عَصريّة، ومصاريع أنيقة تؤطر النوافذ . لا أذكر أحداً لا يزال يعيش هناك سوى مدام سافيا سبانيلا ، مغنية أوبرا ذات صوت أجش تذهب بعد كل ظهيرة للتزلّج بالعجلات في السنترال بارك . أعلم أنّها لا تزال هناك ؛ لأنّني ارتقيت الدرج وتفحصت صناديق البريد، لقد كان واحداً من صناديق البريد التي جعلتني أنتبه لهولي جولايتلي لأول مرة .

❖ ❖ ❖

لم يكن قد مرّ على عيشي بالمنزل سوى نحو أسبوع ، حين لاحظت أنّ صندوق بريد الشقة رقم 2 يحمل كوّة خاصة بالاسم دُسَّتْ فيها بطاقة غريبة. بطاقة مطبوعة ، بالأحرى بخطوط مُتصلة أنيقة : *الآنسة هوليداي جولا يتلي* ، وأسفلها في الركن، *مسافرة* . أثارتني الكلمات مثل أهزوجة : *الآنسة هوليداي جولايتلي، مسافرة*.

ذات ليلة ، بعد منتصف الليل بكثير ، استيقظت على صوت السيد يونيوشي وقد وصل إلى أسفل الدّرَج ، وبما أنه يسكن في الطابق العلوي ، فقد ملأ صوته المنزل بأكمله ، حانقاً وشديداً . «آنسة جولايتلي ! لابد أنّ أعلن احتجاجي . »

كان الصوت العائد ، مُتدفقّاً من قاع الدّرَج ، غرّ وغنج : «أوه يا عزيزي ، أنا آسفة بحق . لقد فقدت المفتاح اللعين .»

«لا يمكنك مواصلة قرع جرسي ، ينبغي رجاء ، رجاء أنّ تحتفظي بمفتاح بديل .»

«لكنني فقدتهم جميعاً .»

Twitter: @ketab_n

صرخ السيد يونيوشي : «أنا أعمل ، ويجب أنّ أنام . لكنك دائماً ما ترنين جرسي ... »

«أوه ، لا تغضب ، يا صغيري *العزيز* :*لن* أفعل ذلك مرة أخرى ، وإذا ما وعدتني بألا تغضب ...» كان صوتها يقترب ؛ فيما تصعد الدّرَج : «قد أسمح لك بالتقاط تلك الصور التي نوّهنا إليها .»

كنت الآن قد غادرت فراشي وواربت الباب قليلاً ، يُمكنني سماع صمت السيد يونيوشي : سماع ؛ لأنّه كان مصحوباً بتبدّل مسموع في النّفس .

قال «متى ؟»

ضحكت الفتاة ، وأجابت آكلةً حروف الكلمات : «يوماً ما . »

«أنا مستعد في أيّ وقت . » وأغلق بابه .

خرجت إلى الرّدهة متكئاً على الدّرابزين بما يكفي كي أرى دون أنّ يلحظني أحد . كانت لا تزال على الدّرَج وقد بلغت الآن منبسط الدرج ، وقد تصيّد مزيج ألوان شعرها الصبياني ، خطوط سمراء مصفرّة ، جدائل شقراء وصفراء، ضوء الرّدهة . كانت ليلة دافئة ، صيفية تقريباً ، وكانت تلبس فستاناً أسود ضيقاً أنيقاً ، وصندلاً أسود ، وياقة عالية لؤلؤية . كانت حريصة ، رغم كلّ رشاقتها الأنيقة، على تناول فطورها الحبوبيّ في الهواء الطّلق ، وأنّ تنظّف نفسها بالصابون والليمون ، وعلى الحُمرة المضطرمة القاتمة في خديها . كان فمها واسعاً وأنفها أشمّاً ، فيما تُخفي نظارة داكنة عينيها . كان وجهاً تجاوز الطفولة، برغم أنّه يخصّ امرأة ناضجة . خمنت أنّ تكون بين السادسة عشرة والثلاثين ، وكما تبيّن لاحقاً ، كان يعوزها شهرين لتُتمّ عيد ميلادها التاسع عشر .

لم تكن بمفردها ؛ فثمّة رجل يتبعها . بدت الطريقة التي تتشبّث بها يده الممتلئة بردفها غير لائقة بدرجةٍ ما ، ليس أخلاقياً ، بل جمالياً . كان قصيراً وضخماً

Twitter: @ketab_n

لوحته الشمس وقد دهن شعره بالجلّ ، رجل يرتدي حُلة مخططة بأكتاف مُبطنة تُزين زهرة قرنفل حمراء طيّة صدر المعطف . حين بلغا بابها ، بعثرت محتويات حقيبتها الصغيرة بحثاً عن مفتاح دون أنّ تولي اهتماماً بحقيقة أنّ شفتيه اللحيمتين كانتا تتمرغان على مؤخرة عنقها . في النهاية ، ومع أنّها وجدت المفتاح وفتحت بابها، فقد استدارت إليه بمودّة : «باركك الله يا عزيزي ، لقد كانّ لُطفاً منك أنّ توصّلني للمنزل . »

«مهلاً يا صغيرتي !» كان الباب يوصّد في وجهه .

«نعم ، هاري ؟»

«لقد كان هاري الرجل الآخر . أنا سيد ، سيد أربوك . أنت تميلين إلي . »

«أنا أعْبُدك يا سيد أربوك . لكن تُصبح على خير يا سيد أربوك . »

حدّق السيد أربوك غير مُصدّق فيما ينغلق الباب بحزم . «مهلاً يا عزيزتي، دعيني أدخل . إنّكِ تميلين إلي يا طفلتي ، أنا رجل محبوب. ألم أسدد الفاتورة لخمسة أشخاص ، أصدقائك ، الّذين لم أرهم قبلاً أبداً ؟ ألا يعطيني ذلك الحق بأنّ تميلين إلي ؟ إنّك تميلين إلي يا طفلتي .»

نقر على الباب بلطف ، ثمّ أكثر صخباً ، في النهاية رجع عدة خطوات للوراء، وقد تحدّب جسده وتكور ، كأنّه ينتوي مهاجمة الباب ، وتحطيمه . لكنه بدلاً من ذلك ، غطس أسفل الدّرَج ، يلطم الجدار بقبضته ، وبمجرد أن وصل إلى الدور الأرضي انفتح باب شقة الفتاة التي أطلّت برأسها .

«أوه ، يا سيد أربوك ...»

عاد الرجل أدراجه ، ترتسم على وجهه ابتسامة ارتياح : كانت تسخر منه فحسب .

«في المرة القادمة ، عندما تريد امرأة ولو بعض الفكّة للذهاب لحمام

Twitter: @ketab_n

السيـدات» ، صاحت ، بلا سخرية على الإطلاق : «خُذ بنصيحتي يا عزيزي: لا تعطها ولو عشرين سنتاً !»

❖ ❖ ❖

حافظت على وعدها للسيد يونيوشي ، أوافترضت أنّها فعلت ولم ترن جرسه مرة أخرى ، ففي الأيام التالية بدأت بقرع جرسي ، أحياناً في الثانية صباحاً أوالثالثة والرابعة : لم تشغل بالها بالساعة التي تنتزعني فيها من الفراش كي أدفع المزلاج الّذي يفتح باب الدور الأرضي . ولأنني لم يكن لي سوى عدد قليل من الأصدقاء ، ليس بينهم من قد يأتي لزيارتي في وقت متأخر ، كنت أعرف دوماً أنّها هي . لكن في المرات الأولى لحدوث ذلك ، كنت أهرع إلى بابي ، متوقعاً بدرجةٍ ما أنباءً سيئة ، برقية مثلاً ، فإذا بها الآنسة جولايتلي تهتف : «آسفة يا عزيزي ، لقد نسيت مفتاحي .»

طبعاً ، لم نلتق قبلاً قط . مع ذلك في الحقيقة ، كنّا غالباً ما نلتقي وجهاً لوجه، على الّدرج أو في الشارع ، لكن لم يبد عليها أنّها رأتني حقاً . دائماً تضع نظارتها الداكنة ، مهندمة ، ثمّة ذوق حقيقي متناسق في بساطة ملبسها ، غلبة اللون الأزرق والرمادي وغياب البريق الّذي يُكسبها هي ، هي نفسها ، تألقاً . ربما يظن المرء أنّها موديل مُصوّر فوتوغرافي ، أويجوز ممثلة شابة ، عدا أنّه كان واضحاً ، بالنظر لتوقيتاتها ، أنها لا تملك وقتاً لتكون أياً منهما .

أحياناً ، أقابلها مصادفة خارج جيرتنا . مرة قادتني زيارة قريب لمطعم 21 ❖، وهناك ، على منضدة بارزة ، يحوطها أربعة رجال ، ليس بينهم السيد أربوك، ومع ذلك فجميعهم يمكن استبدالهم به ، كانت الآنسة جولايتلي تمشّط شعرها بكسل، جهاراً ، يرتسم على ملامحها سيماء السأم المصطنع ، مُشيعةً ـ بالمثال ـ حالة

❖ أحد أشهر مطاعم نيويورك وأكثرها شعبية (المترجم) .

Twitter: @ketab_n

من الفتور في جو الإثارة الّذي استشعرته من الضجة التي ترتفع من المكان الأنيق. في ليلة أخرى في عز الصيف، أرسلتني حرارة الغرفة للانطلاق بالشوارع. تمشيت من الجادة الثالثة إلى شارع 51، حيث يقع متجر للتحف الأثرية يعرض في واجهته شيئاً أثار إعجابي: قفص طيور على هيئة قصر، مسجد بمآذن ومآوٍ من الخيزران تتلهف كي تملأها ببغاوات ثرثارة، لكن السعر كان ثلاثمائة وخمسين دولاراً. في طريق عودتي للمنزل لفت انتباهي سائق عربة أجرة يستحثّ حشداً أمام ملهى بي.جي.كلارك الليلي، مشدوهاً على ما يبدوأمام مجموعة مبتهجة من ضباط الجيش الأسترالي الثملين يصدحون: أرقصي الفالس يا ماتيلدا، وفي ما يتغنون يلفّون فتاة رقصة الدوّامة فوق بلاط الشارع أسفل خطوط السكك الحديدية العلوية، والفتاة، الآنسة جولايتلي بلا شك، قد طفت بين أذرعهم خفيفة كأنّها وشاح.

لكن إذا كانت الآنسة جولايتلي قد ظلّت غير واعية لوجودي، عدا كجرس باب ملائم، فقد صرت على العكس، خلال الصيف، مُلمّاً بكل ما يخصّها. اكتشفت من ملاحظة سلّة المهملات خارج بابها، أنّها تقرأ بانتظام الصحف المصغرة ومطويات السفر وجداول التنجيم، وأنّها تدخن سجائر غير شائعة اسمها بيكايونيس، وأنّها تعيش على الجبن الأبيض وشرائح الخبز المحمّص، وأنّ شعرها متعدِّد الألوان من ابتكارها. المصدر نفسه كشف بصورة واضحة أنّها تلقّت رُزُماً من خطابات الحب من الجنود، وهي الخطابات التي دائماً ما كنت تُمزّق إلى شرائح مثل قصاصات الكُتب. كنت قد اعتدت أحياناً أنّ ألتقط قصاصة أثناء مروري. كانت كلمات مثل: *أذكرني وأفتقدك* ومطر *وأكتب رجاءً وتباً واللعنة*، تتكرر أغلب الأحوال في تلك القصاصات، فضلاً عن *شاعرة بالوحشة والحبّ*.

لديها أيضاً قط، وهي تعزف على القيثارة. وهكذا، في الأيام التي تشتد

Twitter: @ketab_n

فيها حرارة الشمس ، تغسل شعرها وتجلس برفقة قطّها البرتقالي المخطط سوياً على سلم الطوارئ ، تقلّب أوتار القيثارة ريثما يجف شعرها . كنتُ متى تناهى إلى سمعي صوت الموسيقى ، أخف إلى النافذة لأقف في هدوء . كانت تعزف بمهارة وأحياناً كانت تغني أيضاً . تغني بنبرات حزينة مبحوحة كصوت غلام عند البلوغ . كانت مُلمّة بكل أغاني المسرحيات الاستعراضية الشائعة ، كول بورتر وكيرت فيل ، وكانت تحب على الأخص أغاني مسرحية *أوكلاهوما* ، والتي كانت تعرض حديثاً هذا الصيف في كل مكان . لكن كانت ثمّة لحظات حين تغني ، تجعل المرء يتساءل أين تعلمت تلك الأغاني ، ومن أين هي حقاً. ألحان شاردة شحيحة تصاحبها كلمات تفوح منها رائحة غابات الصنوبر والبراري ، أحدها : *لا أريد النوم ، ولا أريد الموت ، يكفيني السفر عبر مراعي السماء* ، وقد بدا أن تلك الأغنية كانت تروق لها أكثر من سواها ؛ لأنها كثيراً ما كانت تظل ترددها حتى بعد أنّ يجف شعرها ، وبعد أنّ تغيب الشمس وتُضاء النوافذ عند الغَسَق .

لكن تعارفنا لم يحرز تقدماً لغاية أيلول/ سبتمبر ، في ليلة تتدفّق فيها لسعات برد الخريف الأولى . كنت عائداً من مشاهدة فيلم ، وقد دلفت إلى الفراش برفقة كأسي الأخير من البربون وآخر روايات سيمنون : كنت أخطط لقضاء أمسية مُريحة ، فلم أتمكن من فهم شعور بالقلق راح يتضاعف لدرجة تمكنت معها من سماع دقات قلبي . كان شعوراً قرأت عنه ، أوكتبت عنه ، لكن لم أجربه أبداً، الإحساس بأنّك مُراقب ، من شخص ما في الغرفة . ثمّ : طرقة مباغتة على النافذة، ولمحة من طيف رمادي جعلاني أريق كأس البربون . احتجت بعض الوقت كي أسترد أنفاسي وأفتح الشباك ؛ لأسأل الآنسة جولا يتلي عمّا أرادته .

قالت ، واثبةً من سلّم الطوارئ إلى داخل الحجرة : «لديّ في الأسفل أكثر الرجال إثارة للذُعر .. أعني أنّه يكون لطيفاً حين يكون صاحياً ، لكن دعه يجرع

Twitter: @ketab_n

النبيذ ، ويا الله من هذا الحيوان ! لو أنّ ثمة شيئاً أمقته أكثر من غيره فهو الرجال الّذين يعضون .» أرخت رداءً صوفياً ناعماً رمادي اللون كاشفةً كتفها لتُريني دليلاً لما يحدث حين يعض الرجل ، كان الرداء هو كل ما تلبسه . «آسفة إنْ كنت قد أخفتك ، لكن حالما أصاب الوحش الضجر الشديد سارعت فحسب بالهرب من الشباك . أظنّه يفكر أنّني في الحمّام ، لست أبالي بأفكاره اللعينة ، فليذهب للجحيم ، سيصيبه التعب وينام ، يا إلهي .. لابد أن ينام ، لقد شرب ثمانية كؤوس مارتيني قبل العشاء وما يكفي لغسيل فيل من النبيذ . اسمع ، يمكنك إلقائي من النافذة إذا أردت ؛ فقد أقحمت نفسي بوقاحة عليك بتلك الطريقة ، لكن سلّم الطوارئ اللعين هذا كان يُجمد الدّم في العروق ، ولقد بدوتَ حميماً ، مثل شقيقي فريد . أعتدنا النوم أربعة على سرير واحد ، وكان فريد الوحيد الّذي يسمح لي باحتضانه في الليالي الباردة . بالمناسبة، هل تمانع لو دعوتك فريد ؟» كانت داخل الغرفة الآن ، وقد توقفت هناك ، تحدّق بي. لم يسبق لي قبلاً أن رأيتها بدون نظارتها الداكنة ، وقد صار من الواضح الآن أنها عدسات طبية، بدونها تعاني عيناها من انحراف ما ، كالّذي للجواهرجي. كانت عيناها واسعتين ، زرقاوين قليلاً ، وخضراوتين قليلاً ، منقطتين بقليل من اللون البني مُتعددة الألوان كشعرها ، وقد ومضتا ببريق دافئ نابض بالحياة.

«أفترض أنّك تظنني وقحة ، أو *مجنونة جداً* . أوما شابه . »

«كلا .. على الإطلاق . »

تراءى لي أنّه خاب أملها . «بل أنت تظن ذلك . الجميع يفعلون ، لكنني لا أبالي؛ فهو أمر مفيد .»

جَلَسَت على واحد من الكراسي المفككة المُنجدة بالمخمل الأحمر ، ثانيةً ساقيها أسفلها ، ثم ألقت نظرة على الحجرة ، وضاقت عيناها بوضوح أكثر .

«كيف يتأتّى لك تحمل تلك الحجرة ؟ إنّها أشبه بغرفة الرعب .»

Twitter: @ketab_n

قلت مُنزعجاً من نفسي : «أوه ، سرعان ما تعتادين كل شيء» ، فقد كنت مبتهجاً بحق بالمكان .

«لن يحدث . لن أعتاد على أي شيء أبداً ، ومن يفعل ربما يكون في عداد الأموات .» عاينت عيناها المتقدتان الحجرة مرة أخرى . «ماذا تفعل هنا طيلة اليوم ؟»

أومأتُ إلى طاولة تغطيها الكتب والأوراق . «أكتب أشياء .»

«كنت أظن أن الكُتّاب عجائز جداً . طبعاً ساروريان ليس عجوزاً ؛ فقد قابلته في إحدى الحفلات ، ولم يكن حقاً عجوزاً أبداً . في الحقيقة ..»

ثمّ تابعت مستغرقةً في التفكير.«فقط لو منح نفسه حلاقة على فترات متقاربة... بالمناسبة ، هل همنجواي عجوز ؟. »

«في الأربعينيات ، حسبما أظن .»

«ليس بالأمر السيئ . لا يجذبني الرجل حتى يبلغ الثانية والأربعين . أعرف هذه الفتاة المعتوهة التي ظلّت تكرر على مسامعي أنني ينبغي أن أذهب إلى طبيب نفساني ، مُدعيةً أنني أعاني من عقدة الأب ، وهو *أمر بالغ السوء* . لقد مَرّنت نفسي ببساطة على الإعجاب بالرجال الأكبر سناً ، وهو أكثر ما فعلته براعة . كم يبلغ عمر وليام سومرست موم ؟ . »

«لست مُتأكداً . ربما ستين والقليل من السنوات .»

«هذا ليس بالأمر السيء . أنا لم أضاجع كاتباً أبداً . لا ، مهلاً : هل تعرف بيني شاكليت ؟» قطّبت جبينها حين هززت رأسي نفياً . «إنه لأمر طريف. كان قد كتب عدداً وفيراً من المواد الإذاعية . لكن يا له من جرذ ! قلْ لي ، هل أنت كاتب حقاً ؟»

«هذا يعتمد على مفهومك للكاتب الحقّ .»

Twitter: @ketab_n

«حسناً يا عزيزي ، هل يشتري أحد ما تكتبه ؟»

«ليس لغاية الآن .»

«سأساعدك . أنا قادرة على ذلك . فكِّرْ في كل من أعرفهم وفيمن يعرفونهم بدورهم . سأساعدك لأنك تشبه أخي فريد ، لكن على أصغر . لم أره منذ كنت في الرابعة عشرة عندما تركت البيت ، حينها كان طوله ستة أقدام وبوصتين . أشقائي الآخرون كانوا في طولك تقريباً ، أقزام . إنّها زبدة الفول السوداني ما جعلت فريد بهذا الطول . كان الجميع يظنونه مجنوناً ؛ نظراً للطريقة التي كان يلتهم بها الزّبدة ، لم يكن يبالي بأي شيء في هذا العالم إلا الجياد وزبدة الفول السوداني . لم يكن مجنوناً ، فقط كان لطيفاً وغامضاً وبطيئاً بدرجة رهيبة ، لقد كان عالقاً بالصف الثامن ثلاث سنوات حين هربت . يا لفريد المسكين !. ترى أيسخو الجيش بزبدة الفول السوداني . لقد ذكّرني الأمر بأنني أتضوّر جوعاً .»

أشرت إلى زُبدية مليئة بالتفاح ، وسألتها في ذات الوقت كيف ولماذا غادرت البيت وهي صغيرة جداً . حدجتني بنظرة خاوية ، وحكّت أنفها وكأنها تداعبها: إيماءة كنت أراها تتكرر كثيراً ، وقد صرت أرى فيها إيماءة إلى أنّ شخصاً ما ينتهك خصوصيتها ، مثل كثيرين ممن لديهم ولع وقح للإطلاع على الأسرار التي تُقدَّم طواعيّة ، وهكذا فإنّ أياً كان ما يلوح كسؤال مباشر أو طلب لتفاصيل أكثر ، يضعها على أهبة الحذر . قضمت شيئاً من التفاحة وقالت :

«أحكْ لي شيئاً كتبته ، لتكن قصة مثلاً .»

«هذه واحدة من المشاكل ؛ فما أكتبه ليس من نوعية القصص التي تُحكى .

«هل هي فاحشة بدرجة كبيرة ؟»

«ربما أسمح لك بقراءة إحداها يوماً ما .»

Twitter: @ketab_n

«الويسكي والتفاح ينسجمان معاً ، هيئ لي مشروباً يا عزيزي ، ثمّ بإمكانك أن تقرأ لي واحدةً من قصصك . »

كتّاب قلائل جداً ، خاصة هؤلاء الذين لم يسبق لهم النشر ، بإمكانهم مقاومة دعوة لقراءة كتاباتهم بصوت عال . وأعددتُ شراباً لكلينا ، وجلسنا في كرسيين متقابلين ، ثمّ شرعت بالقراءة لها ، كان صوتي يرتعش بمزيج من رهبة المسرح والحماس : كانت قصة جديدة فرغت منها بالأمس فقط ، ولم يكن أمام هذا الشعور الذي لا مناص منه بالقصور وقت لإصلاحه . كانت القصة عن امرأتين تتقاسمان بيتاً ، وتعملان معلمتين ، تنشر إحداهما حين تُخْطَبُ الأخرى شائعات مجهولة حول فضيحة تمس الأخرى تحول دون إتمام زواجها . كانت كل لمحة أختلسها من هولي أثناء قراءتي القصة ، تعتصر قلبي . تململت ، فتتَت أعقاب السجائر في المنفضة ، أنفقت وقتاً طويلاً تحدق بأظافرها متكاسلة ، كأنّها تتلهّف لمبرد ، والأسوأ ، حين بدا أنني قد استحوذت على اهتمامها ، كست عينيها برودة مفضوحة ، كأنها في حيرة ما إذا كان من الأفضل شراء زوج من الأحذية رأته في فاترينة ما .

سألتني : «هل هذه هي *النهاية* ؟» وقد أفاقت ، متخبّطة بحثاً عن شيء أكثر تقوله . «أنا طبعاً أحب السحاقيات أنفسهنّ ؛ فهنَّ لا يخفنني أبداً ، لكن القصص عن السحاقيات تصيبني بضجر شديد ، وأنا أعجز عن أنّ أضع نفسي مكانهنّ . صدقني يا عزيزي . » وتابعت ؛ لأنّ حيرتي كانت جليّة .«لو لم تكن تلك القصة عن سحاقيتين من فصيلة الثيران مسترجلتين ، *فعن* أي شيء عساها تكون ؟»

لم أكن في مزاج يسمح لي باقتراف خطأ قراءة القصة ومضاعفته بتورط أكبر في شرحها . نفس العبث الّذي قاد لمثل هذا العرض ، يجبرني الآن لدمغها بالتبلُّد

Twitter: @ketab_n

والتباهي وبالطيش .

وأرْدَفَتَ : «بالمناسبة .. هل حدث *وتعرفت* على أي سحاقية حلوة ؟ فأنا أبحث عن شريكة حجرة . طيب ، لا تضحك . أنا فوضوية بشكل مريع ، وببساطة لا يمكنني تحمل نفقات خادمة ، وفي الحقيقة ، السحاقيات ربّات منزل رائعات؛ فهن يُحببنّ القيام بكل العمل ، لن تُضطرَ للقلق بشأن المِقشّات وإذابة الثلج وإرسال الملابس المتسخة للمغسلة . كانت لدي شريكة حجرة في هوليوود مثّلت في أفلام رعاة البقر ، كانوا يسمونها الجوالة الوحيدة ❖ لكنني سأقول لها : لقد كانت بمائة رجل . بالطبع لم يتمالك الناس أنفسهم واعتقدوا بأنني لا بد أنّ أكون أنا نفسي سحاقية قليلاً ، أنا طبعاً كذلك ، جميعنا كذلك بدرجةٍ ما . وماذا في ذلك ؟ فلم يثبّط هذا همّة رجل حتى الآن أبداً ، بالعكس يبدو أنّه يستحثهم أكثر . أنظر إلى الجوّالة الوحيدة ، لقد تزوجت مرتين . عادة تتزوج السحاقية مرة واحدة فحسب لأجل الحصول على اللقب . إنهنّ يتحملنّ تبعات هذا الختم ليسبق أسماءهنّ في ما بعد لقب السيدة . شيءٌ آخر . هذا ليس حقيقياً!.» كانت تتفرّس بمنبه موضوع على الطاولة . «لا يمكن أنّ تكون الساعة الرابعة والنصف صباحاً !»

كانت النافذة تتحول للون الأزرق ، في ما نسيم الشروق يتقاذف الستائر .

«في أي يوم نحن ؟»

«الخميس .»

«*الخميس* ، يا إلهي .» نهضت قائمة ، ثمّ عادت تجلس مصدرةً أنيناً. «إنّه يوم رهيب .»

❖ Lone Ranger : جوّال مُقنّع بطل عرض إذاعي ومسلسل تلفازي مُبكر عن الغرب الأمريكي.

Twitter: @ketab_n

كنت مُتعباً كفاية ليفارقني الفضول؛ فتمددت فوق الفراش وأغمضت عيني، لكنها كانت لا تزال أخاذة. «ما الرهيب في الخميس؟»

«لا شيء، عدا أنني أفشل في تذكّر متى يأتي. كما ترى، في أيام الخميس يجب أن أكون هناك في موعد الانطلاق في الثامنة وخمس وأربعين دقيقة؛ فهم شديدوالتدقيق بشأن ساعات الزيارة، وهكذا إذا ذهبت في العاشرة فكل ما لديك هو ساعة قبل أن يتناول الرجال الفقراء غداءهم. فكّر في ذلك، الغداء في الحادية عشرة. يمكن أن تذهب في الثانية بعد الظهر، وقد فعلت ذلك كثيراً، لكنّه يُفضل أن يراني في الصباح؛ يقول إن رؤيتي تجعله أفضل باقي اليوم. لابد أن أبقى صاحية.» وأردفت قولها بقرص خَدَّيها حتى أحمرّا. «لا وقت للنوم، سأبدو مرهقة، وسأتمايل كبيوت الفقراء، ولن يكون هذا عادلاً: لا تقدر بنت على الذهاب لسجن سينغ سينغ بوجه نضر.»

«أفترض العكس.» كان الغضب الّذي شعرت به تجاهها بسبب ردة فعلها من قصتي ينحسر؛ لقد استولت على مشاعري مجدداً.

«كل الزوار يبذلون قصارى جهدهم ليبدوا في أفضل حالاتهم، وهذا شيء رقيق جداً، عذب جداً؛ فالطريقة التي ترتدي بها النساء أجمل ما لديهن، أعني النساء العجائز والفقيرات منهنّ أيضاً، يبذُلن أغلى مسعى لتكون طلّتهنّ حسنة ورائحتهنّ ذكية هي الأخرى، وأنا أحبهنّ لذلك. أحبّ الأطفال أيضاً، على الأخص الملونين منهم، أعني الأطفال الذين تجلبهن الزوجات. لابد وأنّه أمر مؤسف، رؤية الأطفال هناك، لكن الأمر ليس كذلك؛ فالشرائط المُلونة تُزين شعورهنّ وكثير من اللمعان يبرق على أحذيتهنّ المصقولة، ستظن أنّه سيكون ثمة آيس كريم، وأحياناً يكون هذا ما يجري في حجرة الزيارة، احتفال. على كل حال الأمر مختلف عمّا يحدث بالأفلام: همس متجهم عبر حاجز من قضبان حديدية. ليس ثمّة قضبان، فقط طاولة بينك وبينهم يُمكن للأطفال الوقوف

Twitter: @ketab_n

فوقها ليُحتَضَنوا ، وكل ما يلزم عمله لتُقبِّل شخصاً هوأنّ تتكئ فوق الطاولة . ما أحبّه أكثر هوفرحتهم برؤية بعضهم ، وقد ادخروا الكثير للحديث عنه ، لا مكان هنا للملل ، بل ضحك متواصل وأياد تتشبث بأياد . لكن الصورة تختلف في ما بعد .» وتابعت : «أراهم في القطار . يجلسون بهدوء يحدِّقون في النهر الّذي يمرُّ من أمامهم.» شدّت جديلة من شعرها إلى زاوية فمها وقضمتها بتأمّل : «لقد سهرت كثيراً بسببي الليلة . فلتنم الآن .»

«أرجوكِ ، لقد أثرت اهتمامي .»

«أعرف . لهذا السبب أريد أن تنام ؛ لأنني لوتابعت سأحكي لك عن سالي. لست متيقنة إن كان ذلك سلوكاً نبيلاً ...» ومضغت شعرها بصمت. «لم *يطلبوا* مني أبداً ألا أُخبر أحداً ولومجازياً ، وهي حكاية مُسليّة ، ربما يمكنك صياغتها في قصة بأسماء مُختلفة وأيّ شيء آخر . أنصت يا فريد .» وأردفت في ما تناولت تفاحة أخرى . «يجب أنّ تُقسِم وتُقبّل مرفقك ...»

يمكن للبهلوانات تقبيل مرافقهم ، لابد لها وأنّ تقبل بشيء قريب .

قالت بفم ملؤه تفاح : «طيب .. ربما تكون قد قرأت عنه في الصُحف . اسمه سالي طوماطو، وأنا أتكلم اليديشية أفضل مما يتكلم هوالإنجليزية ، لكنه عجوز حبيب ، ورع جداً ، ربما يبدوكناسك لولا أسنانه الذهبية ، يقول إنه يصلي لأجلي كل ليلة ، طبعاً لم يكن عشيقي أبداً ، وبقدر ما تستمر الحكاية، لم أكن أعرفه على الإطلاق حتى دخل السجن فعلاً . لكنني أهيم به الآن ، عموماً أنا أذهب لرؤيته كل خميس منذ سبعة أشهر ، وأظن أنني سأذهب لرؤيته حتى ولو لم يدفع لي . عاطفية.» وألقت باقي التفاحة خارج النافذة . «بالمناسبة، كنت أعرفه شكلاً فقد اعتاد المجيء لحانة جو بيل والجلوس قريباً من الركن : لا يتكلم مع أحد ، فقط يقف هناك ، كنوعية الرجال الّذين يعيشون في غُرف

Twitter: @ketab_n

الفنادق . لكن من المُضحك تَذكُّر وإدراك لأي درجة كان يراقبني عن كثب ؛ لأنه بعد أنّ أرسلوه للسجن مباشرة (لقد أراني جو بيل صورته في الصحيفة . اليد السوداء . المافيا . وكل هذا الهراء : ثمّ أصدروا حكماً بسجنه خمس سنوات) سرعان ما جاءت تلك البرقية من محام ، كانت تقول إنني يجب أنّ أتصل به فوراً من أجل الحصول على معلومات لمصلحتي .»

«أكيد فكرتِ أنّ شخصاً ما ترك لكِ مليون دولار .»

«على الإطلاق . بل حسبت متجر بيرجدورف يحاول جمع ديونه . لكنني جازفت ورحت لرؤية هذا المحامي (لوكان محامياً حقاً ، وهوما أشك فيه ؛ لأنه لا يبدوأنّه يمتلك مكتباً ، فقط يقوم بتوفير خدمة تقديم استشارة قانونية، وهو دائماً ما يلتقي زبائنه بمحل هامبورج هيفن : لأنه بدين ويستطيع التهام عشر شطائر هامبورغر وطاستين من المُقبّلات وفطيرة ليمون مُحلاة كاملة) . سألني كيف أُدخِل البهجة على عجوز وحيد ، وفي نفس الوقت أتقاضى مائة دولار كل أسبوع . قلت له أنظر يا عزيزي ، لقد التقيت الآنسة جولايتلي الخطأ ؛ لست ممرضة تعقد صفقات على الهامش . لم أكن معجبة بالمكافأة أيضاً، بوسعك كسب مبلغ مماثل من التردد على الحمام : أي رجل بقليل من الأناقة سيدفع خمسين دولاراً لامرأة عادية ، ودائماً ما أطلب أجرة التاكسي أيضاً ، وهذه خمسون أخرى . لكنه أخبرني لاحقاً أنّ زبونه هوسالي طوماطو . قال إن سالي العجوز الغالي يُكنّ إعجاباً منذ عهد بعيد بي من طرف واحد ، لذا أليس في زيارته مرة كل أسبوع صنيع حقيقي أُسديه له ؟ لم أستطع الرفض : كان هذا شيئاً رومانسياً جداً .»

«لا أدري ، لكنه لا يبدو بالأمر الصائب . »

ابتسمت : «هل تظن أنني أكذب ؟»

Twitter: @ketab_n

«لسبب واحد ، هوأنّهم ببساطة لن يسمحوا *لأي أحد* بزيارة سجين .»

«أوه .. هم لم يسمحوا لي بذلك . في الحقيقة أثاروا ضجة كبيرة مثيرة للسأم، لذا يُفترض بي الآن أنني ابنة أخته .»

«وسارت الأمور بالسهولة التي تصفينها ؟ مقابل حديث يمتد ساعة أعطاكِ مائة دولار ؟»

«بل أعطاها لي المحامي ، أرسلها السيد أوشانيسي بالبريد نقداً بمجرد أن فرغت من إرسال تقرير الطقس.»

«أظنك معرضة للوقوع في الكثير من المشاكل.» قلتُ وأطفأت المصباح؛ فلم تكن ثمة حاجة له الآن ، كان نور الصباح قد دخل الحجرة وكان الحمام يهدل على سلم الطوارئ .

سألتني بجديّة : «كيف ؟»

«لابد من وجود شيء بالقانون يخصّ انتحال الشخصية ، وقبل أي شيء أنت *لست* ابنة أخته . وماذا عن تقرير الطقس هذا ؟»

تثاءبت . «إنه لا شيء . محض رسالة أمررها لخدمة الاستشارة عبر الهاتف يتأكد من خلالها السيد أوشانيسي أنني ذهبت للسجن ، يخبرني سالي كل مرة بمحتواها، وتكون كلمات من مثل : *ثمّة إعصار في كوبا* ، أو *الثلج يسقط في باليريمو... لا تقلق يا عزيزي* .» قالت ، وكانت تتجه صوب الفراش «أنا أعتني بنفسي منذ عهد بعيد .» بدا وكأن ضوء الصباح يتكسّر عليها : وفي ما تجذب أغطية السرير إلى ذقني ، ومضت مثل طفلة شفافة ، ثم رقدت بجانبي . «هل تمانع ؟ أريد فحسب أنّ أرتاح قليلاً . لذا لا تقل كلمة أخرى . نَمْ .»

تظاهرت بالنومُ ، جعلت أنفاسي ثقيلة ومنتظمة . كانت أجراس برج الكنيسة المجاورة تدق كل نصف ساعة . كانت الساعة السادسة عندما وضعت

Twitter: @ketab_n

يدها على ذراعي ، لمسة رقيقة حريصة على عدم إيقاظي . ثم همست ، وقد بدا وكأنها تكلمني ، لكنّها لم تكن توجه كلامها لي فعلاً .

«يا لفريد المسكين ! أين أنت ، الجو قارص البرودة ، ثمّة ثلج .. رياح .» ثمّ أرتاح خدها على كتفي ، خفيفاً دافئاً نديّاً .

«لماذا تبكين ؟»

وثبت للخلف ناهضة . «أوه .. يا ربي .» قالت ، وانطلقت صوب النافذة وسلم الطوارئ . وأردفت : «كم أكره التطفل .»

❖ ❖ ❖

في اليوم التالي ، الجمعة ، عُدّت للمنزل لأجد أمام بابي سلّة بالغة الفخامة من تشارلز وشركاه مع بطاقة منها : *الآنسة هوليداي جولا يتلي ، مسافرة* : وقد خربّشت على ظهرها بخط أخرق غريب كما لو كانت لا تزال في الروضة: *باركك الله عزيزي فريد ، أرجوك أغفر لي ما جرى الليلة الماضية ، لقد كنت ملاكاً في كل تصرفاتك . بالغ العطف ـ هولي*. حاشية : *لن أزعجك مرة أخرى* . وقد أجبت ، *أرجوك أزعجيني* ، وتركت هذه الملحوظة عند بابها مع ما استطعت تدبيره : باقة من البنفسج من بائع في الشارع . لكن بدا جليّاً أنّها عنت ما قالته؛ فلا رأيتها ولا سمعتها بعد ذلك ، وحسبت أنّها وصلت لهذا الحد من أجل الحصول على مفتاح الطابق السفلي . على أية حال هي لم تعد ترن جرسي ، وقد افتقدت ذلك : ومع تلاحق الأيام بدأت أشعر باستياء ما متكلّف تجاهها ، كأنّي أتعرض للاستخفاف من أعز أصدقائي ، وبدأت وحشة مُقلقة تحل في حياتي ، إلا أنّها جعلتني أزهد في أصدقاء تجمعني بهم معرفة شخصيّة أطول : تراؤا الآن بلا طعم ، حِمية خالية من السكر . مع مجيء يوم الأربعاء ، كانت أفكاري حول هولي وسجن سنغ سنغ وسالي طوماطو، وعن عالم يدفع فيه رجال أكثر من خمسين دولاراً من أجلٰ غرفة الحمام ، قد سيطرت على تفكيري بدرجة أعاقتني

Twitter: @ketab_n

عن العمل . في تلك الليلة تركت رسالة في صندوق بريدها : *غداً الخميس*، وكافأني الصباح التالي بورقة كُتب عليها بخطها الطفولي: *باركك الله لأنّك ذكرتني . هل تمانع في مشاركتي الشراب الليلة في السادسة ؟* .

انتظرت حتى السادسة إلا عشر دقائق ثم أخّرت نفسي خمس دقائق زيادة .

ردّ مخلوق على الباب ، تفوح منه رائحة السيجار وكولونيا نيس . يُعلّق بحذائه كعبان عاليان ، وبدون تلك البوصات الإضافية ، ربما لا يعيره المرء انتباهاً . رأس قزم ضخم أصلع يملؤه النمش تتصل بها أذنان مدببتان لجنّي حقيقي . عينان ضيقتان خاليتان من الرحمة ومنتفختان بعض الشيء . وقد نبتت خصلات من الشعر من أذنه ومن أنفه ، وكست لحية الجزء الأخير من العمر فوديه بالشيب ، وتكاد مصافحته أنّ يغطيها الفراء .

«الصبيّة تأخذ حماماً .» قال ، مشيراً بسيجاره صوب صوت ماء يهسهس في الغرفة المجاورة . كانت الحجرة التي فيها (كنّا نقف لأنّه لم يكن ثمّة ما نجلس عليه) قد بدت وكأنّها قد أُخليت من الأثاث لتوّها ، ولربما تتوقع رائحة طلاء طري . كانت الحقائب والصناديق المفتوحة هي الأثاث الوحيد المُتاح ، وقد أُستخدمت الصناديق كطاولات ، إحداها تحمل المارتيني والأخرى مصباحاً وهاتف ليبرتي ، وواحدة تحمل قط هولي الأحمر ومزهريّة بها زهور صفراء . تغطي خزانات الكتب حائطاً واحداً يحتوي على نصف رفّ خُصص للأدب. أبهجتني الحجرة منذ الوهلة الأولى، أحببت طابعها الّذي يشي بالاستعداد للرحيل في أي لحظة .

تجشأ الرجل «أنت على موعد ؟»

وجد إيماءتي غير أكيدة ، تفرستني عيناه الباردتان صانعةً حزوزاً استكشافية مُتقنة في النفس .

«أشخاص كثيرون يأتون هنا ، بلا موعد . هل تعرف الصبيّة منذ فترة طويلة؟»

Twitter: @ketab_n

«ليس من فترة طويلة .»

«إذن فمعرفتك بها قصيرة ؟»

«أسكنُ بالطابق العلوي . »

بدت إجابتي شافية حتى يشعر بالاسترخاء . «هل لديك نفس التصميم في شقتك ؟»

«بل أصغر كثيراً .»

نفض رماد سيجاره على الأرضيّة . «هذا المكان نفاية ، غير معقول . لكن الصبيّة لا تعرف كيف تعيش حتى لو امتلكت المال .»

كان لحديثه إيقاع رنّان متشنّج كأنه مبرقة كاتبة . «إذن وماذا عنك ، هل تظنها كذلك أم لا ؟»

«لا ماذا ؟»

«زائفة . »

«لا أعتقد ذلك .»

«أنت مخطئ . إنها زائفة . لكن من جانب آخر أنت مُحقّ ، هي ليست زائفة لأنّها زائفة حقيقية ؛ فهي تؤمن بكل هذا الهراء الّذي تؤمن به ، ولن تُفلِح في إقناعها بالعدول عن هذا الإيمان ، لقد حاولت والدموع تنهمر على وجهي. بيني بولان ، الّذي يحظى باحترام الجميع ، بيني بولان حاول . خَطَر بباله أن يتزوجها لكنّها لم تحاول اقتناص الفرصة ، لقد أنفق ربما آلاف الدولارات لعرضها على أطباء نفسيين ، حتى الشهير منهم يا ولدي، الّذي لا يتحدث سوى الألمانية ، استسلم. صدّقني، لن تُفلِح في إثنائها .» ـ وعقد قبضته كأنّه ينتوي سحق شيء غير مرئي .. «الأفكار . حاول تجربة الأفكار في وقت ما ، أجعلها تروي لك شيئاً من الأمور التي تؤمن بها . جرّب .» وأردف : «أنا أحبّ

Twitter: @ketab_n

الصبيّة ، كثيرون يحبونها، لكن ثمّة كثيرون أيضاً لا يُكنون لها نفس الشعور . أنا أُكنُّ لها هذا الإحساس، أحبها بصدق . أنا مرهف الحسّ، وهذا هو السبب . ينبغي أنّ تكون مُرهف الحسّ كي تُقدّرها : نزوة الشاعر . لكن سأتلو عليك الحقيقة . أفعل ما بمقدورك لأجلها ، تعطيك روث الخيول في طبق . سأهبك مثلاً ـ من غيرك رآها اليوم؟ إنّها بالضبط امرأة ستقرأ عنها يوماً كيف انتهى بها المطاف في قاع زجاجة سيكونال❖ ، لقد رأيت ذلك يحدث أكثر مما رأيت أنت أصابع قدميك : وهؤلاء الصِّبية ، ليسوا حتى الحمقى ، بل هي الحمقاء .»

«لكنها لا تزال صغيرة ، وينتظرها الكثير .»

«إن كنت تعني المستقبل ، فأنت تخطيء مجدداً . قبل عامين من الآن ، على الساحل ، كان ثمّة زمن ربما مُغاير . آنئذ كان لديها من يعمل لأجلها ، كانوا مهتمين بها وكان من الممكن أن تُسيِّرُ أمورها حقاً . لكن حين تهجر مهنة كتلك لا تستطيع العودة إليها . اسأل لويز رينر . رينر كانت نجمة ، بالتأكيد ، في حين لم تكن هولي سوى فتاة مغمورة ، حتى ذلك الحين لم تكن قد غادرت قسم الصور الدعائية أبداً . لكن ذلك كان قبل فيلم *قصة الدكتور واسيل* . كان من الممكن أنّ تنجح.أعرف ، أعني ذلك ، لأنني كنت الرجل الّذي يدعمها ..» ، وأشار بسيجاره لنفسه : «أو.جي.بيرمان .»

توقّع مني اهتماماً خاصاً ، ولم أتدبّر إكرامه ، كانت الأمور على أحسن ما يرام بالنسبة لي ، عدا أنني لم أسمع من قبل أبداً عن أو.جي.بيرمان . وهو ما تجلّى تالياً أنّه كان وكيل ممثلين في هوليوود .

«أنا أول من رآها ، في سانتا آنيتا . كانت تتسكّع حول حلبة السباق كل يوم. ثار انتباهي : مهنياً . اكتشفت أنّ لديها رفقة مع خيّال ما مُحترف ، تعيش مع الرجل قصير القامة . قلتُ له أن يدعها وشأنها إذا لم يكن يرغب في حديث مع

❖ حبوب منوّمة .

Twitter: @ketab_n

شرطة الآداب : أنظر ، البنت في الخامسة عشرة . لكنها أنيقة: البنت جيدة ، وتأتي مصادفة . حتى حين تضع نظارة بهذا السُمك، حتى حين تفتح فمها ولا تعرف ما إذا كانت ريفيّة أوعاملة زراعيّة مُهاجرة أوماذا . لا أدري حتى الآن . تخميني أنّه لا أحد سيعرف أبداً أصلها. ما هي إلا كاذبة لعينة، ربما هي نفسها لا تعلم من هي . سوى أنّ الأمر استغرقنا عاماً كاملاً لصقل مخارج حروفها. وكيف فعلنا ذلك في النهاية ، أعطيناها دروساً في اللغة الفرنسية : وبعد أنّ تمكنت من محاكاة نطق الفرنسية ، لم تستغرق وقتاً طويلاً حتى نجحت في محاكاة النطق الإنكليزي . جعلناها تلبس على نمط الممثلة مارجريت سوليفان ، لكنّها تمكنت من إضافة لمستها الخاصة ، استحوذت على انتباه المحيطين ، الكبار منهم وعلى رأسهم بيني بولان ، الرجل الّذي يحترمه الجميع، أراد بيني الزواج منها. هل يمكن لوكيل ممثلين أن يطلب المزيد ؟ ثم حدث الانفجار المدوي! *قصة الدكتور واسيل* . هل شاهدت هذا الفيلم . المخرج سيسل بي . ديميل . الممثل جاري كوبر . يا للمسيح . أنا أقتل نفسي ، هل حدث هذا حقّاً: عموماً، هم الآن على وشك اختبارها لمشاهد ممرضة الدكتور واسيل ، إحدى ممرضاته. ثم بوم ! رنّ التليفون.»، والتقط سماعة تليفون وهميّة من الهواء ووضعها على أذنه :«تقول ، أنا هولي ، أقول يا حلوتي تبدين بعيدة ، وترد أنا في نيويورك ، أقول وماذا بحق الجحيم عساك تفعلين في نيويورك إذا كان اليوم هوالأحد ولديك اختبار غداً ؟ تجيب أنا في نيويورك لأنني لم يسبق لي أنّ زرتها من قبل أبداً . قلت ضَعي نفسك في أول طائرة وعودي إلى هنا ، قالت لا أريد . أقول ما هي وجهتك يا طائشة؟ تقول لقد تدبّرت الأمور كي تسير لمصلحتي لكنني لا أرغب في ذلك . أقول طيب ، وماذا بحق الجحيم تريدين ، تردّ حين أكتشف ستكون أول من يعرف . أفهمتَ ما أعنيه بقولي : روث الخيول في طبق .»

وثب القط الأحمر من فوق صندوقه وحكّ ساقه . رفع القط فوق أصبع

Twitter: @ketab_n

حذائه ونقره بحركة مفاجئة ، كان يكره ذلك لكنّه بدا واعياً فحسب لاهتياجه وليس للقط .

«أهذا ما تريده هي ؟» قال ، مُشيحاً بذراعه . «الكثير من الأشخاص غير المتوقع مجيئهم ؟ تعيش على البقشيش . التسكّع برفقة الأوغاد ، إذن ربما تستطيع الزواج من رستي ترولر؟ لابد أنّ تمنحها ميدالية من أجل ذلك ؟»

تريث ، غاضباً .

«آسف . أنا لا أعرفه .»

«إذا كنت لا تعرف رستي ترولر ، فأنت لا تعرف الكثير عن الصبيّة . معادلة سيئة .» وأردف ولسانه يقرق كصوت الدجاجة داخل رأسه الضخم . «كنت آمل أن يكون لك تأثير على الصبيّة قبل أنّ يفوت الأوان . »

«لكن حسب كلامك ، فقد فات الأوان فعلاً . »

نفخ حلقة من الدخان وتركها تتلاشى قبل أنّ يبتسم ، بدّلت الابتسامة وجهه ، ولطّفت الأجواء . «أستطيع أنّ أجعلها تعود ، مثلما قلت لك .» قال ، وقد بدا الآن صادقاً .«أنا أحبّ الصبيّة بصدق .»

هنا طرطشت هولي الماء داخل الحجرة ، تخوطها تقريباً منشفة فيما تقطر قدماها المُبتلتان الماء تاركةً أثر قدميها على الأرضيّة . «ترى ما هي الفضائح التي تذيعها يا أو.جي ؟»

«المعتاد وحسب ، أنّك حمقاء . »

«فريد يعلم ذلك فعلاً . »

«لكنّك لا تعلمين . »

«أشعلْ لي سيكارة يا عزيزي .» قالت ، وانتزعت عن رأسها قبعة الحمّام

Twitter: @ketab_n

ونفضت شعرها : «لا أقصدك أنت يا أو.جي. فما أنت إلا أخرق ، ولعابك دائم السَيَلان .»

حوّطت القط بكفيها وأرجحته فوق كتفها ، فجثم فوقه بتوازن طائر ، واشتبكت مخالبه بشعرها كأنّها تحيك غزلاً ، مع ذلك ، وبرغم هذه الألاعيب المتحببة ، كان قطاً شرساً بوجه قرصان سفّاح ، إحدى عينيه معتمّة والأخرى تتألق بأفعال سوداء .

توجهت بالحديث إليّ ، ملتقطةً السيكارة التي أشعلتها «أو.جي. أخرق .. لكنّه يعرف عدداً رهيباً من أرقام التليفونات . ما هورقم ديفيد أو. سلزنيك يا أو.جي ؟.»

«مفصول . »

«أنا لا أمزح يا عزيزي . أريدك أنّ تتصل به وتخبره عن نبوغ فريد . لقد كتب كماً هائلاً من القصص الأكثر إثارة للدهشة . طيب ، لا تستحي يا فريد : أنت لم تقل أنّك نابغة ، أنا من قال . هيا يا أو. جي. ماذا لديك لفريد لتجعله ثرياً ؟»

«أفترض أنّك ستدعيني أسوّي هذا الأمر مع فريد . »

قالت ، وهي تغادرنا «تذكّر .. أنا وكيلته . شيء آخر : إذا صحتُ ، تعال وشدّ سحّابي ، وإذا قرع أحدهم الباب ، أفتح له .»

وقد فعل كثيرون . ففي خلال الربع ساعة التالية توافد عدد هائل من الرجال إلى الشقّة ، عديدون منهم في زيّ رسمي . أحصيتُ اثنين من ضبّاط البحريّة وكولونيل بسلاح الطيران ، سوى أنّهم تواروا وراء الحُلل الرمادية لرجال من رُتَب مُختلفة . وباستثناء غياب الشباب ، لم يكن بين الضيوف ما يجمعهم. بدوا غرباء بين غرباء ، في الواقع ، كل وجه لدى دخوله ، كان يكافح لإخفاء رعبه عند رؤية آخرين . كأنّ المُضيفة وزعّت دعواتها أثناء جولاتها بين حانات

Twitter: @ketab_n

متباينة، وربما كانت تلك هي الحالة ؛ فبعد نظرات عابسة مبدئيّة، امتزجوا دون تذمّر، خصوصاً أو.جي. بيرمان الذي استغل الرفقة الجديدة بشراهة لتجنب مناقشة مستقبلي الهوليودي . تُرِكتُ وحيداً مع أرفف الكتب ، التي كانت أكثر من نصفها عن الخيول والباقي عن البيسبول . منحني التظاهر بالاهتمام بكتاب «*خيل الركوب وكيف تروّضها*»، فرصة كافية للإنفراد من أجل تكوين رأي عن أصدقاء هولي .

توّاً ، صار واحد منهم بارزاً . كان طفلاً في أواسط العمر لم يذرف بعد دهن طفولته ، مع أنّ خياطاً ما ماهراً قد نجح تقريباً في تمويه مؤخرته السمينة الصالحة للصفع . ما من شك بوجود عظم في جسده. وجهه ، الّذي يخلو من أية ملامح منمنمة وسيمة ، يحوز سمة عذريّة غير مستخدمة : كأنّه ولِد ثم مُطّ، فبقي جلده بلا ملامح كبالونة منفوخة . أما فمه ، فمع جهوزيته للصراخ وإعلان الغضب، فقد كان ذات تجاعيد لطيفة ومدللة . لكن ليس المظهر هو ما يختصّ به دون غيره ، فالأطفال المُعتنى بهم ليسوا بهذه الندرة . بل ، بالأحرى ، سلوكه ؛ كان يتصرّف كأنّ الحفل حفله : كإخطبوط نشط ، كان يرجّ زجاجات المارتيني، يعرّف الضيوف ببعضهم ، يدير الفونغراف . لكن للعدل ، كانت أغلب نشاطاته بإملاء من المضيفة نفسها : *رستي هل تمانع* ، *رستي ممكن لوسمحت* . وإذا افترضنا أنه مغرم بها فمن الجلي أنّه يكبح غيرته ؛ فأي رجل غيور ربما يخرج عن طوره وهو يشاهدها تنزلق بخفّة بين أرجاء الغرفة ، تحمل قطها في يد وتترك الأخرى حرّة لتسوي ربطة عنق أوتنزع نسالة من طيّة صدر سترة ، لقد كان كولونيل سلاح الطيران يعلق ميدالية في حاجة للتلميع حقاً .

كان الرجل يدعى رثرفورد (رستي) ترولر . فقد والديه عام 1908 ، مات والده ضحية فوضوي وأمه نتيجة الصدمة ، وهي المحنة المزدوجة التي خلّفت رستي يتيماً ، مليونيراً وشهيراً ، كل ذلك وهو في سن الخامسة . منذ ذلك الوقت

Twitter: @ketab_n

وهو البديل الجاهز بكل ملاحق الصحف التي تصدر أيام الأحد وهي العاقبة التي حشدت زخماً كالإعصار حين تسبب، وهو لا يزال تلميذاً، لكفيله القيّم على أملاكه بالاعتقال بتهمة اللّواط. بعد ذلك زود الزواج والطلاق اخباره في صحف الفضائح. زوجته الأولى سخّرت نفسها ونفقتها كمطلّقة لمنافسة مؤسس حركة السلام العالمية. الثانية تبدو غير مجهولة. لكن الثالثة قاضته في ولاية نيويورك بحقيبة كاملة من الشهادات التي تستلزم وقف الأملاك. وقد طلّق بنفسه زوجته الأخيرة مدام ترولر، وكانت شكواه الأساسية قائمة على أنّها قادت تمرداً بالقرب من يخته، قائلاً إن التمرد تسبب في وجود رواسب بيخته دراي طورتوكاز. ومع أنّه ظلّ أعزباً منذ ذلك الحين، إلا إنّه من الواضح أنّه وقبل نشوب الحرب قد طلب يدّ يونيتي ميتفورد للزواج، على الأقل يُفترض أنّه قد أرسل لها برقية يعرض فيها الزواج منها لو لم يفعل هتلر ذلك. ويُقال إن هذا هو السبب الذي دعا وينشلّ للإشارة إليه بالنازي، فضلاً عن حقيقة انكبابه على سباقات سيارات في يوركفيل.

لم يخبرني أحد بهذه الأشياء، بل قرأتها في *دليل البيسبول*، خيار آخر من رفّ هولي والّذي يبدو أنّه يستخدم كسجِل قصاصات؛ فبين الصفحات كانت مقالات صُحف أيام الأحد مطوية سوِياً مع قصاصات مُنتزعة من أعمدة النميمة. *رستي ترولر وهولي جولايتلي معاً فوق المشى بحفل افتتاح فيلم «لمسة واحدة من فينوس»*. جاءت هولي من الخلف وأمسكت بي متلبّساً بقراءة: *الآنسة هوليداي جولايتلي، سليلة آل جولايتلي ببوسطن، تجعل من كل يوم عطلة لمدة أربع وعشرين ساعة للثري رستي ترولر.*

«مُعجب بذيوع شهرتي أم أنك محض هاوٍ للبيسبول؟.» قالت، وهي تضبط نظارتها الداكنة كلما نظرت لي من فوق كتفي.

قلت: «ماذا كان تقرير طقس هذا الأسبوع؟»

Twitter: @ketab_n

غمزت لي ، لكنّها كانت غمزة خالية من روح الدعابة : غمزة تحذير .
«أنا مُغرمة حتى النخاع بالخيول ، لكنني أشمئز من البيسبول.» لكن الرسالة البديلة الكامنة في صوتها كانت تقول إنها تتمنى أنّ أنسى أي شيء ذكرته بشأن سالي طوماطو. «أنا أكره صوت مبارياته بالراديو، لكنني مضطرة للإنصات ؛ فهذا جزء من بحثي . ثمّة أشياء قليلة جداً يسع الرجال الحديث عنها . وحال وجود رجل يكره البيسبول فلابد أنّه يُفضل الخيل ، ولوكان يكرههما معاً ، أكون أنا ساعتها في ورطة : لأنه ساعتها يكون لا يحب النساء . إلام انتهيت مع أو.جي. ؟.»

«افترقنا على اتفاق متبادل .»

«إنّه فرصة ، صدقني .»

«أصدقك ، لكن ماذا لديّ لأقدمه حتى أقتنص تلك الفرصة ؟»

قالت مثابرة : «أذهب إليه وأدخلْ في روعه أنّ مظهره غير لطيف . يمكنه مساعدتك فعلاً يا فريد .»

«فهمت أنّك لم تقدريه كثيراً .» بدت مشوشة إلى أن قلت : «*قصة الدكتور واسيل* .»

«لا يزال متذمّراً.» قالت ، وهي ترمي بنظرات حنونة على بيرمان عبر الحجرة.

«لكن لديه حقّ ، لابد أن يراودني شعور بالذنب . لا لأنهم كانوا سيعطونني الدور أولأنني كنت سأكون بحال أفضل : ما كانوا ليفعلوا ولا أنا . لوكان لي أنّ أشعر بالذنب ، أظن أنّ السبب هوأنني تركتهم يحلمون في الوقت الّذي لم يراود خيالي فيه أي حلم . فقط أغوتني فكرة إجراء تحسينات على نفسي : كنت أعرف جيداً أنّي لن أكون نجمة سينما . إنه أمر بغاية الصعوبة ، ولوكنتَ ذكياً ستجده مُربكاً أيضاً . عُقَدي ليست بالوضاعة الكافية : أنّ يكون المرء نجم سينما

Twitter: @ketab_n

وامتلاك أنا متضخمة يُفترض بهما المضي يداً بيد . في الواقع ، من الضروري عدم امتلاك أي أنا مطلقاً . لا أعني أنني أمانع في أن أكون ثريّة أو شهيرة . فجدولي يحوي الكثير من ذلك ، ويوماً ما سأحاول الاقتراب منهما ، لكن لو حدث ذلك فأنا أفضّل أنّ تلحق أناي بقربي . أريد أنّ أبقى أنا حين أصحو في صباح جميل وأتناول إفطاري أمام محل مجوهرات تيفاني . أنت بحاجة لكأس ..» وأشارت ليدي الفارغة «رستي ، هلاّ أحضرت لصديقي شراباً .»

كانت لا تزال تحتضن القط . «ساذج مسكين .» قالت وهي تداعب رأسه.. «ساذج مسكين بلا اسم . أمر مزعج قليلاً ألا يكون بلا اسم . سوى أنني لا أملك الحق في منحه اسماً : سيكون لزاماً عليه الانتظار حتى ينتمي لشخص ما . كلانا كأنّه التقى الآخر بجوار نهر ذات يوم ، لا أحد منّا ينتمي للآخر : هو حرّ وكذلك أنا . لا أرغب بامتلاك أي شيء حتى أعرف أنني وجدت المكان حيث أنتمي أنا والأشياء سوياً . لست على يقين أين هو تحديداً حتّى الآن . سوى أنّني أعلم كيف يكون .» وابتسمت ، تاركةً القط يفرّ إلى الأرضيّة .. «إنّه يشبه محل تيفاني . ليس إعجاباً مني بالحُلي . الماس ، بلى . لكنّها بهرجة أنّ تلبس الماس قبل أنّ تبلغ الأربعين ، وحتى في ذلك العمر ففي الأمر مُخاطرة . إنّهم يتفرّجون فحسب على العجائز الحقيقيات . ماريا أوسبنسكايا ، تجاعيد وعظام، شعر أبيض وماس : لا أستطيع الانتظار . لكن ذلك ليس السبب في هوسي بتيفاني. اسمع . أنت تعرف هذه الأيام حين تهاجمك النوبات الحمراء الشريرة. »

«أهي كالاكتئاب ؟»

قالت ببطء : «كلا.» وأردفت «نوبات الاكتئاب تكون بسبب البدانة أو ربما لأنّها أمطرت لفترة طويلة ، وتكون فيها حزيناً ، هذا كل ما في الأمر . لكن النوبات الحمراء كريهة، يداهمك الخوف وتعرق كأنّك في الجحيم ، دون أنّ تعرف لماذا تخاف ، عدا إحساسك بأنّ سوءاً سيحدث ، فقط أنت لا تدري ما هو . هل

Twitter: @ketab_n

جربت هذا الشعور من قبل؟.»

«غالباً . بعض الناس يسمونه *حالة خواء* .»

«ماشي . *حالة خواء* . لكن كيف تتصرف حيالها ؟»

«قد يُجدي معها الشراب . »

«جربته . وجربت الأسبرين أيضاً . رستي يعتقد أنني يجب أنّ أدخن الماريجوانا، وقد جربتها فترة ، لكنها جعلتني أقهقه فحسب . اكتشفت أنّ أكثر الحلول فائدة هو أنّ أضع نفسي في أول سيارة أجرة وأنّ أتجه إلى تيفاني . يبُث هذا الأمر السكينة في أوصالي على الفور ، الهدوء والإباء الباديان على واجهته يبثان الطمأنينة في أوصالك بأن ليس من ثمّة سوء يمكن أن يحدث لك هناك ، ليس مع وجود هذه النوعية من الرجال في حُللهم الأنيقة ، وتلك الرائحة المُبهجة للفضة والمَحافظ المصنوعة من جلد التمساح . لو أستطيع العثور على مكان حقيقي يجعلني أشعر بمثل ما أشعر لدى تيفاني ، إذن لاشتريت بعض الأثاث ومنحت القط اسماً . لقد فكّرتُ أنّه ربما بعد الحرب ، فريد وأنا ...»رفعت نظارتها الداكنة ، وقد اكتسبت عيناها بألوانها المُختلفة ، الرماديات ونُتف الأزرق والأخضر ، حدّة وقوة في البصر . «زرتُ المكسيك مرة . بلد رائع لتربية الخيول ، رأيتُ هناك مكاناً بالقرب من البحر . . فريد ماهر في التعامل مع الخيل .»

جاء رستي ترولر حاملاً كأس مارتيني ، ناولني إيّاه دون أنّ يعيرني التفاتاً .

«أنا جائع .» قال مُعلناً بصوت متردد كصاحبه ، مُصدراً نحيب طفل مثير للأعصاب، وبدا كأنّه يلقي اللوم على هولي . «إنّها السابعة والنصف ، وأنا جائع. وأنت تعرفين ما قاله الطبيب .»

«بلى يا رستي . أعرف ما قاله الطبيب .»

«طيب ، فضّ الحفل ، وهيا نخرج .»

Twitter: @ketab_n

«أريد منك التصرّف بشكل لائق .» كانت تتحدث بنعومة لكن بنبرة تهديد بالعقاب جعلت وجهه يتورد بوهج من الرضا والعرفان بالجميل .

«أنتِ لا تحبيني . » قال مُتذّمراً كأنّهما بمفردهما .

«لا أحد يحب الشقاوة . »

كان من الواضح أنّها قالت ما يرغب بسماعه ، وهوما أثاره وجعله يسترخي في آن ، وقد واصل وكأنّها شعائر تؤدى . «هل تحبيني ؟»

ربّتت عليه : «أهتم بما تقوم به يا رستي ، وحين أكون جاهزة سننطلق لتناول الطعام في أي مكان تريده . »

«الحيّ الصيني .»

«لكن ألا يعني هذا لحم ضلع الخنزير الحلو والحامض . أنت تعرف ما قاله الطبيب .»

وفيما عاد لمهامه يتهادى راضياً ، لم أستطع مقاومة تذكيرها أنّها لم تُجب على سؤاله : «هل تحبينه ؟. »

«سبق وقلت لك : تستطيع دفع نفسك لحب أي شخص . عدا أنّ لديه عادات طفولية كريهة .»

«إذا كانت كريهة لتلك الدرجة ، فلماذا يتشبث بها ؟»

«استخدمْ عقلك . ألا ترى أنّ رستي يشعر بأمان أكثر في الحفاضات أكثر مما لوكان يرتدي تنورة ؟ وهوخياره حقاً ، لكنه شديد الحساسية لهذا الأمر فحسب. لقد حاول طعني بسكين الزبدة لأنني قلت له إنه يجب أن ينضج ويواجه الحقيقة ، يستقر ويعيش مع سائق شاحنة أبوي لطيف . وحتى يحدث ذلك ، سأضعه في عيوني ، الأمر الّذي لن يسبب لي أي مشاكل ، فهوغير مؤذٍ ،

Twitter: @ketab_n

ويعتقد ببساطة أنّ الفتيات محض دُمى .»

«الشّكر لله .»

«طيب . لوكانت تلك رؤية أغلب الرجال للأمر ، سيصعب عليّ شكر الله.»

«أعني الشكّر لله لأنك لن تتزوجي السيد ترولر .»

رفعت حاجباً وقالت : «بالمناسبة ، لست أدعي أنني لا أعرف أنّه ثري . حتى الأرض في المكسيك تكلّف شيئاً . والآن ..» ، وأومأت لي إلى الأمام «هيا بنا نرى أين أو.جي.»

تسمّرت بمكاني وأنا أُعمل عقلي لأجد سبباً للتأجيل ، ثمّ تذكّرت «لماذا هي *مُسافرة* ؟»

بدا عليها الارتباك .

«على بطاقتي ؟» وأردفت : «هل تراها مُضحكة ؟»

«كلا ليست مُضحكة ، إنّها مُستفزة .»

هزّت كتفيها غير مُكترثة : «على أي حال ، كيف أعرف أين سأعيش غداً؟ لذلك طلبت منهم وضع «مُسافرة» . عموماً ، كان طلب تلك البطاقات تبذيراً، عدا على أنّ شعوراً روادني بأنني مدينة لهم بشراء أي شيء ولو بسيط ، إنها من محل تيفاني .» مدّت يدها إلى كأس المارتيني خاصتي ، وكنت لم ألمسه ، وأفرغته في جوفها على دفعتين ، ثمّ أمسكت يدي . «توقف عن المماطلة ، فأنت بسبيلك لكسب صداقة أو.جي.»

طرأت حادثة عند الباب . كانت امرأة شابة وقد دخلت كأنّها رياح هوجاء، حفيف أوشحة وصلصلة ذهب . هتفت وهي تهزّ أصبعاً أثناء تقدّمها «هـ..

Twitter: @ketab_n

هـ .. هولي .. يا لك من مُدخرةٍ بائسة . تستأثرين بكل هؤلاء الرجال الجذابين وحدك !»

كان طولها يتجاوز الستة أقدام بكثير ، متفوقة على أغلب الرجال الموجودين، الّذين استووا مُعتدلين ، شافطين بطونهم . كانت ثمّة مباراة شاملة لموازاة طولها المتمايل .

قالت هولي بشفاه مشدودة كوتر مرسوم : ماذا تفعلين هنا ؟

«لِـماذا ، لـ ..لـ ..لا شيء يا سُكّر . كنت بالطابق العلوي أعمل مع يونيوشي أشياء تتعلق بعيد الميلاد للسوق الخيرية . لكنّك تبدين مُغتاظة يا سُكّر ؟.» مُخفيةً ابتسامة ماكرة . «ر..ر ..رجالك ليسوا غاضبين من وجودي في ح..ح.. حفلتك .»

ضحك رستي ترولر ضحكة مكبوتة ، وأعتصر ذراعها كأنّه يُعلن إعجابه بقوتها ، وسألها إنّ كنت تحب أنّ يُعد لها شراباً .

«بالتأكيد .. أعد لي كأس بوربون .»

عاجلتها هولي : «لا *يوجد* بوربون .»

عندئذٍ أقترح كولونيل سلاح الطيران أنّ يخرج ويشتري زجاجة .

«أوه .. ها أنا أُعرب عن رغبتي بعدم إحداث ضجة . يكفيني ماء النشادر، يا هولي يا عسل .» ثمّ دفعت هولي قليلاً . «لا تقلقي بشأني . أستطيع التعريف بنفسي .» وتوقفت قُرب أو.جي.بيرمان، والذي مثل كثيرين من الرجال قِصار القامة في حضرة امرأة فارعة ، ملأت عينيه غشاوة التّوق . «أنا ماج و..و.. وايلدوود من وايلدوود بأركنسو . بلد التلال.»

بدا الأمر كرقصة ، أدى خلالها بيرمان بعض حركات القدمين المتوهمة ليتقي سخرية منافسيه اللاذعة ، سوى أنّه فقدها لصالح رقصة رباعية بين شركاء

Twitter: @ketab_n

التهموا نكاتها المتلعثمة كحبات ذُرة صفراء أُلقيت لحمام . كان نجاحاً يُمكن فهمه . كانت قد حققت انتصارها على القُبح ، المُسلي جداً في الغالب أكثر من الجمال الحقيقي ، لولا احتوائه على تناقض فحسب . وفي حالة ماج وايلدوود، كنقيض للنهج المُدقق الّذي يُلازم الذائقة الحسنة الصريحة وأصول التبرج ، كانت الحيلة قائمة على المبالغة في إظهار العيوب ؛ فقد أضفت عليها زخرفة بإفساح المجال لعيوبها كي تُطِل بجرأة . كعوب ، تُشدّد على طولها ، عالية جداً لدرجة أرتجف معها كاحلاها . صدريّة ضيقة مُسطّحة في إشارة لقدرتها على ارتياد شاطئ في لباس الرجال للسباحة ، شعر ملموم للوراء يُبرِز نحول وهُزال وجه يصلُح كوجه عارضة أزياء . حتى التأتأة ، الحقيقية بلا ريب، لا تزال مُدبّرة قليلاً ، وقد تحولت إلى مزية . لقد كانت تلك التأتأة هي الضربة القاضية؛ لأنّها كانت تحتال لجعل كلماتها العادية تبدو مُبتكرة بطريقةٍ ما، وثانياً، برغم طولها الفارع ووقاحتها ، فقد كانت تُلهِب شعوراً بالحماية لدى مستمعيها من الذكور. من أجل التوضيح : كان على بيرمان أنّ يضرب من الخلف لأنّها قالت :

«من يدلّني على م..م..مكان الت..ت..واليت ؟»

ثمّ ، وكي تكتمل الدائرة ، عرض ذراعاً ليرشدها بنفسه .

قالت هولي «ليس ضرورياً أنّ تدلّها ؛ لقد كانت هنا من قبل ، وهي تعرف أين هو.»

كانت تُفرِغ منافض السجائر ، وبعد أنّ غادرت ماج وايلدوود الحجرة، أفرغت منفضة أخرى ، ثمّ قالت ، أو بالأحرى تنهّدت «إنّه لأمرٌ مُحزن للغاية.»

توقفت طويلاً بما يكفي لتحسب عدد عبارات الاستفهام ، وكانت كافية .

«وغامضة جداً . ربما تظن أنه سيتكشّف المزيد ، لكن الله يعلم ، فهي *تبدو* بصحة جيدة . وبالتالي ، بلى ، *خالية* من الأمراض الجنسية ، وهذا هوالجزء

Twitter: @ketab_n

الاستثنائي . أليس كذلك ؟» وجهت سؤالها الأخير باهتمام ، لكن ليس لأحد بعينه .

«ألم تكن لتقل أنت أنّها *تبدو* خالية من الأمراض الجنسية المُعديّة ؟»

سعل أحد الموجودين ، وابتلع كثيرون ريقهم ، بمن فيهم ضابط البحرية الّذي كان يحمل كأس ماج وايلدوود ، ووضعه الآن جانباً . وأردفت هولي «سوى أنّني سمعت أنّ كثيرات من هؤلاء النساء الجنوبيات تعانين من نفس المشكلة .» ارتجفت قليلاً ، قبل أنّ تتجه صوب المطبخ طلباً لمزيد من الثلج .

لم تستطع ماج وايلدوود فهم هذا الغياب المباغت للدفء لدى عودتها . كانت الأحاديث التي بدأتها قبل ذهابها للحمام تسلك الآن مسلكاً يشبه جذوع الشجر الأخضر : تُطلِق دخاناً دون أنّ تُشعِل ناراً . لكن ما لا يُغتفر أكثر من غيره هو أنّهم كانوا يغادرون دون أنّ يأخذوا رقم هاتفها . وقد فرّ كولونيل سلاح الطيران وهي تدير ظهرها ، وهوما كان بالنسبة لها القشّة التي قصمت ظهر البعير : كان قد طلب رفقتها على العشاء . أعماها الغضب فجأة . وكما ينقلب السحر على الساحر ، فيما تغمر الدموع أهدابها ، اختفت جاذبيتها على الفور ، وأساءت للجميع دون تفرقة . أطلقت على مضيفتها مُنحلّة هوليوود، ودعت رجلاً في الخمسين للعراك ، وقالت لبيرمان إن هتلر كان على حق ، وأبهجت رستي ترولر بأنّ زنقته بذراعها في ركن ، وقالت دون أية تأتأة «أتعرف ما سيجري لك ؟» وأردفت : «سأجرّك لحديقة الحيوانات وأُطعمك لثور التبت.» بدا مُستعداً بكل جوارحه ، لكنها خيّبت آماله حين انزلقت إلى الأرضية ، حيث قعدت تهمهم .

قالت هولي وهي تشدّ قفازاً: «أنتِ مملة . هيا ، أنهضي من هناك .» كان الباقون من الحفل ينتظرون لدى الباب ، وعندما لم تتزحزح المرأة المملة، رمت

Twitter: @ketab_n

لي هولي نظرة اعتذار .«هلا أسديت لي صنيعاً أيها الملاك فريد؟ ضعها في سيارة أجرة وأرسلها حيث تعيش في وينسلو. »

«كلا . أعيش في باربيزون . ريجنت بارك وهاتفي 5700 - 4 . إسألي عن ماج وايلدوود .»

«أنت ملاك يا فريد .»

كانوا قد غادروا . كان مشهد اصطحاب أمازونية داخل سيارة أجرة مطموساً ، أياً كان الاستياء الّذي أشعر به . لكنها حلّت المشكلة بنفسها ، حين نهضت معتمدة على قواها وتفرّست فيّ بشموخ مُترنّح ، وقالت «هيا بنا إلى نادي ستورك . نلحق منطاداً محظوظاً .» ووقعت من على الفور مثل شجرة بلوط قُطعت بفأس. أول ما خطر ببالي هواستدعاء طبيب ، لكن الفحص كشف أنّ نبضها طبيعي وتنفسها منتظم . كانت ببساطة نائمة . وهكذا ، بعد أنّ عثرت على وسادة تضع رأسها عليها ، تركتها تخلد للنوم .

❖ ❖ ❖

بُعَيد ظهر اليوم التالي ، اصطدمت بهولي على الدّرَج . كانت تمضي مُسرعةً ومعها لفافة من الصيدلي عندما قالت «أنت .. إنّها هناك ، على شفير أنّ تُصاب بالالتهاب الرئوي . إنّه كالسيف المُصْلَت ، هو والنوبات الحمراء الشريرة على رأسه.» استنتجت من كلامها أنّ ماج وايلدوود كانت لا تزال في شقتها ، سوى أنّها لم تمنحني فرصة لأتحرى تعاطفها المُذهل . وخلال نهاية الأسبوع ، صار اللغز أعمق . في البداية ، كان الرجل اللاتيني الّذي طرق بابي بطريق الخطأ ، يستعلم عن الآنسة وايلدوود . واستغرق تصحيح خطئه فترة من الوقت ؛ فقد بدت لهجتانا مشوشتين بشكل مُتبادل ، لكن بعد الوقت الّذي أمضيناه ، صرت

Twitter: @ketab_n

مفتوناً. كان تكوينه قد أُعِدّ بعناية ، رأسه الأسمر وجسده الشبيه بجسد مصارع ثيران كانا متناسقين وناضجين ، مثل تفاحة أو برتقالة أو أي شيء آخر طبيعي مضبوط. فضلاً عن ، وعلى سبيل الزينة ، بذلة انجليزية وكولونيا مُنعشة ، ولا يزال غير لاتيني أكثر ، أسلوب خجول . كان متورطاً مرة أخرى في الحدث الثاني بنفس اليوم . كان الوقت قبل المساء ، ورأيته في طريقي للعشاء بالخارج ، وكان السائق يساعده مُترنحاً في حمل حقائب سفر ممتلئة إلى المنزل . منحني هذا الأمر شيئاً ألوكه : ومع مجيء يوم الأحد كان فكاي مُجهدين تماماً .

ثمّ صارت الصورة أكثر قتامةً ووضوحاً .

كان يوم الأحد يوماً خريفياً جميلاً ، الشمس قوية ونافذتي مفتوحة ، وقد تناهت إلى مسامعي أصواتِ قادمة من سلم الطوارئ. كانت هولي وماج تجلسان ممددتين هناك أسفل بطانيّة والقط بينهما . كان شعرهما المغسول لتوه يتدلى مسترسلاً. كانتا مُنشغلتين ، هولي تطلي أظافر قدميها ، وماج تحيك سترة. كانت ماج تتكلم. «لو سألتني ، أظن أنّك م..م..محظوظة. على الأقل لديك ما تقولينه بشأن رستي. أنه أمريكي .»

«مرحى له !»

«*يا سُكر* . ثمة حرب دائرة .»

«وحين تنتهي ، سأكون قد رحلت .»

«لا أشعر بالأمر على هذا النحو. أنا ف..ف..فخورة ببلدي . كان رجال عائلتي جنوداً عِظاماً . ثمّة تمثال لباباداي وايلدوود يقف شامخاً في وسط وايلدوود .»

«فريد هوالآخر جندي . سوى أنّ شَكّاً يراودني في مسألة أنّ يُقام له تمثال يوماً ما . ممكن . يقولون كلما ازددتِ غباءً ازددتِ شجاعة . إنّه غبي جداً.»

Twitter: @ketab_n

«فريد، الرجل الّذي يسكن بالطابق الأعلى ؟ لم أدرك أنّه جندي . لكنّه يبدو غبياً حقاً .»

«ياللشفقة . ليس غبياً . لديه رغبة رهيبة أنّ يكون داخل زمرة المحدقين بالخارج : أي امرؤ يحشر أنفه في ما لا يعنيه عُرضة لأن يُرى غبياً . عموماً ، هو فريد مُختلف عما أعنيه . ما أعنيه فريد شقيقي .»

«تصفين ل..ل..لحمك ود..د..دمك بالغبي ؟»

«إذا كان غبياً فهو غبي .»

«إنّها لذائقة سيئة أنّ تتلفظي بذلك الكلام . إنّه رجل يحارب من أجلك وأجلي وأجلنا جميعاً .»

«ما هذا : خطبة لجمع التبرعات لأجل الحرب ؟»

«أردت فقط أنّ تعرفي أين أقف . أنا أُقدِّر النُكتة ، لكن خلاف ذلك أنا شخصية ج..ج..جادة ، أفتخر بكوني أمريكية ، لهذا السبب أرثى بشأن خوسيه.» ونحت جانباً إبر التريكو. «أنتِ تعتقدين *حقاً* أنّه وسيم جداً ، أليس كذلك ؟» همهمت هولي ، وهي تضرب شاربي القط بفرشاة اللك . «لو فقط أتمكن من التأقلم مع فكرة الز..ز..زواج من برازيلي ، وأكون أنا نفسي برازيلية . إنّه وادٍ لا بد عبوره ، ستة آلاف ميل ، دون دراية باللغة ..»

«اذهبي إلى بيرليتز .»

«ولماذا يدرِّسون البرررتغاليّة؟ كأنّ لا أحد يتكلمها . كلا ، فرصتي الوحيدة هي أنّ أحاول إقناع خوسيه بنسيان السياسية وأنّ يصير أمريكياً . إنّه لأمر عديم الفائدة للرجل أن يطمح في أنّ يصبح ر..ر..رئيساً للبرازيل .» تنهدت والتقطت ما تحيكه . «لابد أن أكون مجنونة بحبه ، لقد رأيتينا معاً . هل تظنين أنني مجنونة بحبه؟»

Twitter: @ketab_n

«هل يَعُضّ ؟»

تخلّت ماج عن غرزة كانت على وشك عملها وسألت : «يَعُضّ؟»

«يَعُضّك . في الفراش .»

«لماذا ، لا . هل يجب عليه ذلك؟» ثمّ أسرّت لها : «لكنه يضحك أثناء العملية.»

«جيد . هذا ينم عن روح صالحة . أحب الرجل الّذي يرى ما في العملية من سخافة ، فأغلبهم ، بل جميعهم يلهثون وينفخون . »

سحبت ماج شكواها ، وقبلت التعليق باعتباره إطراءً ينعكس عليها : «بلى. أتصور ذلك .»

«لا بأس . لا يعُضّ ، ويضحك . وماذا أيضاً ؟»

أحصت ماج غرزة راحت في الفراغ وبدأت مرة أخرى ، تحيك وتطرِّز ، وتطرِّز .

«كنت أقول ..»

«لقد سمعتك . وليس الأمر أنني لا أريد إخبارك . لكنه من الصعب التذكّر؛ فأنا لا أبقى طويلاً مع تلك الحالة ، كما هو الأمر بالنسبة لك على ما يبدو. كلها تغيب من رأسي كأنّها حلم . أظن ذلك هو الحال العادي .»

«ربما كان عادياً يا عزيزتي ، لكنني أريده بالأحرى طبيعياً .» توقفت هولي عن صبغ بقيّة شاربي القط باللون الأحمر ، وتابعت: «اسمعي . إذا كُنتِ عاجزة عن التذكّر . جرّبي أن تتركي الأنوار مضاءة .»

«أرجوكِ أفهميني يا هولي . أنا شخصية *تقليدية* جداً .. جداً .. جداً .»

«أوه ، ما الخطأ في نظرة مهذبة إلى جسد رجل عار تحبينه ؟ الرجال جميلون ،

Twitter: @ketab_n

كثير منهم كذلك ، وخوسيه أحدهم ، وإذا كنت لا ترغبين حتى في *النظر* إليه ، فاسمحي لي أنّ أقول إنه يضاجع طبقاً بارداً جميلاً من المعكرونة .»

«أ..أ..أخفضي صوتك .»

«ليس من المرجّح أنك تحبينه . والآن ، هل يجيب هذا عن سؤالك ؟»

«كلا ؛ لأنني لست طبقاً بارداً من الم.. م.. معكرونة . أنا امرأة ذات قلب دافئ ، إنّه أساس شخصيتي .»

«لا بأس . لديك قلب دافئ . سوى أنني لو كنت رجلاً في طريقي لمعاشرتك، لفضلت أنّ تكون بالقرب مني قربة ماء ساخنة ، سيكون هذا ملموساً أكثر .»

«لن تسمعي أية شكاوى من خوسيه .» قالت شاعرة بالرضا ، فيما تومض أبرها في ضوء الشمس . وتابعت : «الأكثر من ذلك . *أنا واقعة* في غرامه . هل تعين ما يعنيه أنّ أحيك عشرة أزواج من الجوارب في أقل من ثلاثة أشهر ؟ وها هي السترة الثانية .» وفردت السترة ونحتها جانباً . «ما المغزى مع ذلك؟ سترات في البرازيل. لابد وأن أحيك بدلاً منها قبعات واقية من الش..ش..شمس .»

استلقت هولي للخلف وتثاءبت : «لابد من مجيء الشتاء في وقت ما .»

«إنّها *تُمطر* ، أعلم ذلك . حرارة شديدة ومطر وأ..أ..أدغال .»

«حرارة شديدة وأدغال . في الحقيقة أحب هذه الأجواء .»

«هي أفضل لك أكثر مما هي لي .»

رددت هولي وهي تتناوم : «بلى .. أفضل لي أكثر مما هي لك .»

❖ ❖ ❖

صبيحة الاثنين ، عندما نزلت لأرى بريد الصباح ، كانت البطاقة على صندوق هولي قد أُبدلت وأُضيف اسم : الآنستان جولايتلي ووايلدوود مسافرتان الآن

Twitter: @ketab_n

سوياً . ربما كان هذا الأمر ليستحوذ على اهتمامي فترة أطول لولا رسالة وجدتها في صندوقي ، كانت من دورية صغيرة تصدر من الجامعة كنت قد أرسلت لها واحدة من قصصي . أحبوها ، مع ذلك يجب أنّ أتفهّم أنّهم لن يستطيعوا دفع مقابل ، وأنّهم يعتزمون نشرها . نشر : يعني هذا طباعة . دوختني الإثارة ، فهي ليست محض عبارة . لابد أنّ أخبر أحداً : وهكذا ، قافزاً السلالم درجتين بكل مرة ، قرعت باب هولي .

لم أثق في قدرة صوتي على إعلان الأنباء : فبمجرد أنّ بلغت الباب ، دفعت بالرسالة إليها وكانت تغالب النُعاس . غابت طويلاً وكأنّها تقرأ ستين صفحة قبل أنّ تُعيدها مرة أخرى ، وتقول متثائبةً «ما كنت لأدعهم ينشرونها ، إذا لم يدفعوا .» يجوز أنّ وجهي أفصح عن أنّها أساءت فهم الموقف ، وأنني لست في حاجة إلى النُصح بل التهنئة : فقد تغيرت ملامحها من التثاؤب إلى الابتسام. «أوه، أنا أعي ذلك . رائع . طيب ، تعال أدخل .» وتابعت «سَنُعِّدُ قِدْرَ قهوة ونحتفل . كلا . بل سأرتدي ملابسي ونخرج للغداء سوياً.»

كانت غرفة نومها متّسقة مع ردهة شقتها : فهي تكرّس نفس جو الحياة في مُخيم ، أقفاص وحقائب سفر ، كل شيء محزوم وجاهز للرحيل ، كأغراض مجرم يشعر أنّ يد العدالة ليست بعيدة عنه . لم يكن ما في الرّدهة أثاث مألوف ، لكن غرفة النوم كان فيها السرير نفسه ، وقد أُضيف إليه سرير آخر ، مُبهرجان حقاً: خشب أصهب وأجمة من حرير مصقول .

تركت باب الحمام مفتوحاً ، وتحدّثت من هناك بين الاغتسال بالماء المتدفق ودعك الأسنان . كان أغلب ما قالته مشوشاً ، سوى أنّ جوهر الكلام كان عن: إنّها تفترض علمي بانتقال ماج وايلدوود للعيش معها ، وهل ذلك ملائم ؟ لأنّك لو كنت مُتخذاً رفيقة بالسكن ، وفي حال ما إذا كانت غير سحاقية ، فثاني

Twitter: @ketab_n

أفضل خيار هو أن تكون مُغفلة صرفة ، وهوما كانته ماج ؛ لأنّه ساعتها يسعك التخلص من الإيجار على حسابها وإرسالها بالملابس المُتسخة للمغسلة .

يُمكن للمرء تبيُّن أنّ لدى هولي مشكلة غسيل : كانت الملابس مُبعثرة فوق كل شبر بالحجرة ، كأنّها جمنازيوم للفتيات .

«... وكما تعرف ، فهي تعمل موديلاً وناجحة جداً : أليس ذلك *رائعاً* ؟ إنّه كذلك .» خرجت تعرج من الحمام وهي تُثبّت رباط جورب ، وتابعت : «من شأن هذا أنّ يُبقيها بعيدة عني طيلة اليوم ، ولن تكون ثمّة منافسة على الرجال؛ فهي مخطوبة لرجل وسيم ، أيضاً . مع ذلك ثمّة اختلاف ضئيل في الطول : يُمكن القول قدماً ، ماله حظوة لديها . أين بحق الجحيم ..» ، كانت منكفئة على ركبتيها تفتش تحت السرير . بعد أنّ وجدت ما كانت تبحث عنه ، حذاء ليزارد، كان عليها البحث عن بلوزة وحزام ، وكان هذا موضوعاً للتأمّل ، كيف تؤلف من هذا الحُطام الشكل النهائي : النقاء الرصين المشبع ، كأنّها خضعت لعناية وصيفات كليوباترا . قالت : «اسمع ..» ، وكوّبت كفها أسفل ذقني «أنا سعيدة بقصتك . سعيدة بحق .»

❖ ❖ ❖

هو ذاك الاثنين من شهر أكتوبر/ تشرين الأول عام 1943 . يوم جميل تملؤه بهجة الطيور ، بدأناه بارتشاف كوكتيل مانهاتان بحانة جو بيل ، الّذي دعانا لدى سماعه الأنباء السعيدة على كوكتيل شمبانيا بالمنزل . لاحقاً ، تسكّعنا صوب الجادة الخامسة حيث ثمّة استعراض عسكري . تراءت الرّايات التي تطوّحها الرياح ، الإيقاع الثقيل الّذي تعزفه الفرق والأقدام العسكريّة ، كأنّ لا شأنّ لها بالحرب الدائرة ، بل ، بالأحرى ، لحن قصير بالبوق يُعزف على شرفي الخاص.

تناولنا الغداء بكافيتريا في السنترال بارك . ثمّ ، متحاشين المرور بحديقة

Twitter: @ketab_n

الحيوان (كانت هولي تقول إنها لا تُطيق رؤية كائناً ما كان حبيس قفص) فهقهنا، ركضنا، وغنينا طوال الطريق إلى المرفأ الخشبي القديم، الّذي زال حتّى الآن. كانت أوراق الأشجار طافيّة فوق مياه البحيرة، وعلى الشاطئ كان حارس المتنزه يهوِّي ناراً مضطرمة بتلك الأوراق، فيما كان الدخان المتصاعد كإشارات هنديّة الضباب الوحيد في الهواء المتراقص. لم تكن شهور نيسان/ إبريل تعني كثيراً بالنسبة لي أبداً، فيما تتبدى لي فصول الخريف مواسم لبعثٍ جديد. كان الربيع هو ما شعرته لدى جلوسي بالقرب من هولي فوق درابزين شرفة المرفأ. فكّرت بالمستقبل، وتكلّمت عن الماضي؛ لأن هولي أرادت التعرّف على طفولتي. كانت قد تكلّمت عن طفولتها أيضاً، سوى أنّها كانت طفولة مراوغة لا اسم ولا مكان لها، محض سرد لانطباعات مُغايرة لما قد يتوقعه المرء، حكايات ملؤها بهجة للحواس عن السباحة والصيف، أشجار عيد الميلاد، أبناء عمومة وسيمون وحفلات، باختصار، سعادة لم تذقها، كما لم تكن أبداً، يقيناً، تجربة بنت فرّت من منزلها وهي لم تزل بعد صغيرة. بمعنى آخر سألتها، أليس حقيقياً أنّها هجرت منزل الأسرة واعتمدت على ذاتها منذ كانت بالرابعة عشرة من عمرها؟. حكّت أنفها. «بلى. ما حكيته كان زيفاً. لكن لعلمك يا عزيزي، أنتَ صنعت من *طفولتك* مأساة لم أرغب في منافستها.»

قفزت عن الدرابزين. «عموماً، لقد ذكّرني الأمر بضرورة أن أبعث لفريد بعضاً من زبدة الفول السوداني.» قضينا بقيّة الأصيل ننقّب شرقاً وغرباً بين دكاكين بقالة المعلبات عن زبدة فول سوداني. كنّا نجابه بالنفي بسبب نقص المؤن وقت الحرب، وقد حطّ الظلام قبل أنّ نتمكن من جمع نصف دزّينة من مرطبانات الزبدة. كان المرطبان الأخير في دكان يبيع المعلبات بالجادة الثالثة، بالقرب من متجر أنتيكات يعرض بالفاترينة قفص طيور على هيئة قصر. أخذتها إلى هناك

Twitter: @ketab_n

لتراه، أعجبها الأمر، وكذلك الغَرابة فيه: «لكنه يَظّل قفصاً.»

تشبثت بذراعي لدى مرورنا على متجر وولورث. «هيا نسرق شيئاً.» قالت وهي تجرّني داخل المتجر، ليتراءى لنّا على الفور وكأن ثمّة إلحاحاً من العيون المُحدّقة، وكأننا كنّا موضع شبهات حقاً. «هيا.. لا تخف.» راقبتُ منضدة تكدّست فوقها أوراق مزركشة على شكل يقطينات وأقنعة عيد القديسين. كانت موظفة المبيعات مشغولة بمجموعة من الراهبات كنّ يجربنّ الأقنعة؛ فالتقطت هولي قناعاً ولبسته خلسة. اختارت قناعاً آخر ووضعته على وجهي، ثمّ أمسكت يدي ومشينا خارجين. جرى الأمر بتلك البساطة. في الخارج، ركضنا مجتازين عدة بنايات، أظنّها لإضفاء مزيد من الدراما، لكن أيضاً بسبب، حسبما اكتشفت، بهجة السرقة الناجحة. تساءلت إذا ما كانت تسرق كثيراً.

قالت: «إحدى عاداتي.. أعني كنت أضطر لو احتجت شيئاً، سوى أنني لا أزال أفعل ذلك بين الحين والآخر، اليد البطّالة نجسة.»

ارتدينا القناعين طيلة الطريق للمنزل.

❖ ❖ ❖

ثمّة ذِكرى أملكها تجمعني بهولي بكل مكان. حقاً، في لحظات فريدة كنّا نقضي وقتاً طويلاً سوياً، لكن بصفةٍ عامة، كانت ذِكرى زائفة. كنتُ قد عثرت في نهاية الشهر على عمل بدوام كامل: هل هناك ما يُقال؟ ما قلّ ودل، عدا أنّ العمل كان ضرورياً ويدوم من التاسعة صباحاً للخامسة مساءً، وهو ما جعل الساعات التي نقضيها، هولي وأنا، مختلفة لأبعد حدّ.

نادراً ما تكون هولي مُستعدة حين أجيء لشقّتها، باستثناء الخميس، يوم سجن سينج سينج الخاص بها، أو أنّ تكون قد مضت للمتنزّه لركوب الخيل، وهو ما كانت تفعله بين الحين والآخر. أحياناً، متوقفاً هناك، أشاركها قهوتها

Twitter: @ketab_n

المنبهة فيما تتزيّن استعداداً للسهر . كانت باستمرار في طريقها للخروج ، ليس برفقة رستي ترولر دائماً ، إنّما في الغالب ، وفي الغالب أيضاً ، يكونان برفقة ماج وايلدوود والبرازيلي الوسيم خوسيه إبارّا ييجار : كانت أمّه ألمانيّة . وكلحن رباعي ، كانوا يعزفون نوتة تعوزها الهارمونيّة . في المقام الأول كان النشاز يتمثّل في إبارّا ييجار الّذي بدا نشازاً رفقتهم ، مثل كمان في فرقة جاز . كان ذكيّاً ، بهي الطلعة ، وقد بدا وثيق الصِلة بعمله الّذي كان مُتعلّقاً بالحكومة على نحو غامض ، مبهم الأهميّة ، ويحمله على قضاء بضعة أيام أسبوعياً بواشنطن . إنّ المرء ليعجب كيف ، بعدئذٍ ، يقدر على البقاء ليلة بعد ليلة في La Rue , El Morocco منصتاً ل..ل..لغو وايلدوود ومحدِّقاً بوجه رستي الطفولي الأبله الأشبه بردفين؟ ربّما ، مثل كثيرين منّا في بلد أجنبي ، كان عاجزاً عن تصنيف النّاس ، وانتقاء إطار لكلٍ منهم ، كما قد يفعل في وطنه ، ومن ثمّ لابد وأنّ كل الأمريكيين قد خضعوا للتقدير على قدم المساواة بتأثير نور جذّاب، وعلى هذا الأساس يتضح أنّ رفاقه نماذج مقبولة من اللون المحلي والشخصيّة القومية . ربما يفسّر هذا الكثير، ويفسّر عزم هولي الباقي .

بينما أنتظر باص الجادة الخامسة في وقت متأخر من بعد ظهر يوم ما ، لاحظت سيارة أجرة تتوقف بالجانب الآخر من الشارع ريثما تهبط فتاة صعدت درج المكتبة العامة بشارع 42 جرياً . كانت قد عبرت الأبواب قبل أن أتعرّف عليها، وهو ما يمكن غفرانه ؛ لأنّ إقامة علاقةً ما تربط هولي بالمكتبات ليس بالأمر اليسير . تركت الفضول يقودوني بين الأسدين* أفكّر ما إذا كان الأفضل أنّ أعترف بأني ألاحقها أم أدّعي أنّها صدفة . في النهاية لم أفعل لا هذا ولا ذاك ، بل أخفيت نفسي على بُعد عدة طاولات منها في حجرة القراءة العامة،

* تمثالان لأسدين يحرسان مدخل مكتبة نيويورك العامة .

Twitter: @ketab_n

حيث جلست وراء نظارتها الداكنة وكومة ضخمة من الأدب حشدتها فوق المنضدة. كانت تتنقل بسرعة من كتاب لآخر ، وتتريث قليلاً بين الحين والآخر عند صفحة ، ودائماً عابسة ، كأنّ الصفحات مطبوعة بشكل مقلوب . كانت تمسك بيدها قلم رصاص يراوح فوق ورقة ـ وقد بدا أن لا شيء أسترعى خيالها، وراحت أحياناً ، وكأنّه عمل نابع من الجحيم ، تدون خربشات مجدّة، بهدوء. ذكّرتني رؤيتها بفتاة كنت أعرفها في المدرسة ، الكادحة، ميلدريد غروسمان : بشعرها النديّ ونظارتها الزلقة ، وأصابعها المبقعة التي شرّحت ضفادع وحملت القهوة لخطوط الإضرابات ، بعينيها المنطفئتين اللتين لا تلتفتان إلا للنجوم فحسب ؛ لحساب حمولتها الكيماوية . إنّ الأرض والهواء لا يسعهما أن يكونا أكثر تناقضاً من ميلدريد وهولي ، برغم ما يقرّ في رأسي من أنّهما توأمتان سياميتان ، وقد جرى خيط الفكرة التي رتقتهما سوياً على هذا النحو: أنّ الشخصيّة العاديّة تتشكّل بصورة متكررة كل عدة سنوات ، حتى أجسادنا تخضع للمراجعة الكاملة ـ مرغوبةً كانت أم لا ؛ فالتغيير أمر طبيعي. طيب ، لدينا هنا شخصيتان ما كانتا لتتغيرا ، وهوما تشترك فيه ميلدريد غروسمان وهولي جولايتلي : أنّهما لن تتغيرا أبداً لسبب بسيط هو أنّهما مُنحتا شخصياتيهما للتو، الأمر الّذي ـ كثراء مباغت ـ يؤدي لافتقار الاتساق : واحدة تحاول لفت الأنظار إليها كواقعية من الوزن الثقيل، والأخرى خياليّة غير متزنة . تخيّلتهما في مطعم في المستقبل ، لا تزال ميلدريد تدرس القائمة وتحسب القيمة الغذائيّة بكل صنف بها ، وهولي أيضاً لا تزال نهمة لكل ما فيها . لن يختلف الأمر عن ذلك أبداً . ستمشيان عبر الحياة والموت بنفس الخطوات العازمة التي لا تلقي بالاً بالمنحدرات على جانب الطريق . استغرقتني تلك الأفكار العميقة لدرجة جعلتني أنسى أين أنا وما جئت لأجله، وأفقت لأجد نفسي في ظلمة المكتبة ، واندهشت مجدداً لرؤية

Twitter: @ketab_n

هولي هنا. كانت الساعة قد تجاوزت السابعة، وكانت تنعش أحمر شفاهها وتتأنّق معدّلةً مظهرها مما تظنه صالحاً لمكتبة، عبر ضمّ شيء من الوشاح وبعض الأقراط، ما تعتبره ملائماً لملهى كولوني. حين غادرت، اتجهت صوب المنضدة حيث بقيت كتبها، التي كنتُ أرغب برؤيتها. «*جنوباً برفقة طائر الرعد*». «*خبايا البرازيل*». «*العقل السياسي لأمريكا اللاتينية*». وهلم جرا.

عشيّة عيد الميلاد، أقامت هولي وماج حفلاً، وطلبت هولي مني الحضور باكراً للمعاونة في تزيين شجرة العيد. لا أزال للآن أجهل كيف ناورتا لإدخال تلك الشجرة إلى الشقة، فالأغصان العلوية منها كانت مسحوقة بالسقف، والسفليّة منها تمتد من الجدار للجدار. ما كانت تختلف إجمالاً عن شبيهتها العملاقة بروكفلر بلازا. علاوة على ذلك، ما تجاوز زينة شجرة روكفلر؛ فقد أُغرقت شجرة هولي بالدمى وأشرطة الزينة كثلج ذائب. اقترحت هولي أن تخرج وتنفذ إلى متجر وولورث وتسرق بعض البالَونات. وقد فعلت، ونجحتا في صنع شكل مناسب للشجرة. أعددنا نخباً لأجل عملنا، وقالت هولي: «اذهب لغرفة نومي؛ ثمّة هدية لأجلك.»

كنت أحمل هديةً لها أيضاً: لفافة صغيرة في جيبي تضاءلتُ أكثر حين رأيتُ، متربعاً على الفراش، ملفوفاً بشريط أحمر، قفصَ الطيور الجميل.

«لكن هولي! هذا كثير!»

«لا يسعني سوى تأييدك، لكنني فكّرت أنك تريده.»

«لكن ثمنه! ثلاثمائة وخمسون دولاراً!»

قالت مُستهجنة: «محض زيارات إضافية لحجرة التواليت. لكن عدني، عدني ألا تضع به مخلوقاً حيّاً أبداً.»

بدأت أقبّلها، سوى أنّها مَدّتْ يَدها قائلةً: «هات.» ونقرت النتوء البارز في جيبي.

Twitter: @ketab_n

قلت : «أخشى ألا يكون بالكثير .» وقد كان : ميدالية القديس كريستوفر ، لكنها على الأقل من متجر تيفاني .

لم تكن هولي بالمرأة التي تقدر على الاحتفاظ بشيء ، ومؤكد أنّها الآن قد أضاعت تلك الميدالية ، ربما تركتها في حقيبة أودرج فندق ما . لكن قفص الطيور لا يزال معي ؛ حملته بمشقّة إلى نيو أورليانز ونانتكيت وكل أنحاء أوروبا والمغرب وجزر الويست إنديز ، رغم أنّني نادراً ما أتذكّر أنّ هولي هي من أهدته لي ؛ لأنّني عند نقطة معينة اخترت أن أنسى : كنّا قد تعاركنا . ومن بين الأمور التي تعاقبت في بؤرة إعصارنا كان قفص الطيور ، وأو.جي.بيرمان، وقصتي التي أهديت لهولي نسخة منها منشورة باليونيفرسيتي ريفيو.

كانت هولي في أحد أيام فبراير/ شباط قد خرجت في رحلة شتويّة برفقة رستي وماج وخوسيه إبارّا بيجار ، وقد نشبت مشادّتنا بمجرد رجوعها . كان لونها بنيّاً مثل اليود ، وقد أبيّض شعرها بفعل الشمس واستحال إلى لون شبحي، كانت قد أمضت وقتاً لذيذاً ..«أول شيء فعلناه ... ذهبنا إلى مدينة كي ويست، وقد أثار رستي حفيظة بعض البحارة ، أو العكس . على أية حال سيتعيّن عليه ارتداء دعامة للعمود الفقري ما تبقى له من عمر . الغالية ماج ، انتهى بها الأمر في مستشفى أيضاً ؛ حروق من الدرجة الأولى . صارت مقزّزة : فكلها تغطيها الفقافيق والأترجية لدرجة لم نُطِق تحمّل رائحتها . وهكذا ، غادرتُ وخوسيه إلى هافانا . طلب مني التمهّل ريثما أرى ريو، لكن بقدر ما يتعلق الأمر بي تستطيع هافانا ابتلاع نقودي لفورها . كان لدينا دليل لا يُقاوم ، أغلبه زنجي والباقي صيني، وفيما استبقيت نفسي على مسافة واحدة منهما ، كانت التركيبة جذّابة على نحو رائع: فتركته يداعب ركبتي بركبتيه تحت الطاولة ، لأنّي بصراحة لم أجده مُبْتّذلاً على الإطلاق . لكن في ليلة تالية اصطحبنا لمشاهدة فيلم إباحي ، وخمّن

Twitter: @ketab_n

ما رأيناه؟ لقد *كان* هو بطل الفيلم . طبعاً حين عدنا إلى كي ويست ، كانت ماج مُحِقّة في ظنّها أنّي قضيت كل وقتي أضاجع خوسيه . وكذلك رستي : لكنّه لم يُعر الأمر انتباهاً . كان يريد فحسب سماع التفاصيل . في الحقيقة ، كانت ثمّة أجواء مشحونة بالتوتر إلى حدٍ ما حتى تصارحت مع ماج .»

كنّا في الحجرة الأماميّة ، حيث ، وبرغم أنّ شهر مارس/ آذار كان على الأبواب ، كانت شجرة عيد الميلاد الهائلة قد استحال لونها للبني وصارت بلا رائحة ، وباتت بالوناتها الضامرة كضروع بقرة عجوز ، لا تزال تشغل أغلب المكان . كانت ثمّة قطعة أثاث بارزة قد أضيفت للحجرة : سرير جيش متحرك، وهوّلي ، في سعيها للحفاظ على مظهرها الاستوائي ، قد استلقت تحت أشعّة الشمس .

«وأقنعتيها ؟»

«أنّي لم أضاجع خوسيه ؟ يا ربي ، بلى . لقد قلت لها ببساطة ـ سوى أنّك تعلم: لابد أنّ يبدو هذا كاعتراف مُبَرّح ـ قلت لها ببساطة إني سحاقيّة .»

«لابد أنّها لم تصدّق .»

«اللعنة . لماذا إذن برأيك ذهبت واشترت سرير الجيش هذا ؟ دعها لي : فأنا دائماً الرأس الكبير في قسم الصدمات . كن حبّوباً يا عزيزي ودلّك ظهري ببعض الزيت .» تابعت ، فيما أفي بهذه الخدمة «أو.جي.بيرمان هنا في المدينة، اسمع ، لقد أعطيته قصتك المنشورة في المجلة . لقد أثارت إعجابه جداً ، وهو يظن أنّك ربما تستحق العون . لكنّه يقول إنك في المضمار الخطأ . زنوج وأطفال : من يهتم ؟»

«ليس هذا رأي السيد بيرمان حسب ظنّي .»

«طيب . أنا أتفق معه . لقد قرأت القصة مرتين . صبيان وزنوج . أوراق مرتعشة .

Twitter: @ketab_n

تصوير . هذا لا يعني شيئاً .»

تراءى لي أنَّ كفي ، فيما يُدلّك جسمها بالزيت ، كأنّه ينساب من تلقاء نفسه: فهو يتلهّف لإثارة ما وأن يرتاح على ردفيها . قلت بهدوء : «أعطني مثالاً لأمر يعني شيئاً في رأيك .»

قالت بلا تردد : «مرتفعات وذرنج .»

كانت الإثارة في كفي قد تجاوزت حدّ السيطرة . «لكن هذا غير معقول . فأنتِ تتحدثين عن عمل عبقري .»

«هو فعلاً كذلك ، أليس كذلك ؟ حبيبتي كاثي الجامحة . يا ربي ، لقد بكيت دموعاً تملأ دلاءً . لقد شاهدته عشر مرات .»

قلت : «آه». بارتياح واضح ، آه بتغيّر عالٍ مفضوح في طبقة الصوت : «الفيلم .»

تحجرت عضلاتها ، وصار ملمسها يشبه حجراً سخّنته الشمس . «لابد وأن يشعر المرء بالتعالي على شخص ما . لكن العادة جرت على تقديم إشارة قبل أن تنال هذا الامتياز .»

«أنا لا أقارن نفسي بك أو ببيرمان . لذلك لا أحسّ بهذا التعالي . كلٌّ منا يريد أشياء متباينة . »

«ألا ترغب في كسب المال ؟»

«لم أضع هذا في حسباني إلى الآن .»

«هذا هو حال قصصك . كأنّك كتبتها دون أنّ تعرف النهاية . لا بأس ، سأقول لك : يجدر بك أن تكسب نقوداً . لديك مخيّلة غالية . لن تجد كثيرين يهدونك أقفاص طيور .»

«معذرة . »

Twitter: @ketab_n

«ستعتذر لو كنت قد ضربتني . لقد أردت ذلك منذ دقيقة : شعرت بذلك من يدك ، وأنت تريد ذلك الآن .»

أردت فعلاً وبشدّة ، وكانت يدي وقلبي يصطكان فيما أعيد غطاء قنينة الزيت . «آه لا . ما كنت لآسف على ذلك . أنا آسف فحسب لأنكِ أضعتِ نقودكِ عليّ : فرستي ترولر طريقة عسيرة للغاية لكسب هذا المال .»

هنا ، جلست على حافة سرير الجيش . وجهها ، وثدياها العاريان تكسوهما زرقة باردة في نور الشمس . «من المفترض أن يقتضيك الأمر حوالي أربع ثوان لتمشي من هنا للباب . سأهبك اثنتين .»

❖ ❖ ❖

صعدتُ مباشرةً إلى شقّتي ، أخذتُ قفص الطيور ، ونزلت به لأتركه أمام بابها . بهذا تعادلنا ، أو هكذا تخيّلت حتى الصباح التالي حين ، وفيما أغادر للعمل ، رأيت القفص قابعاً في صندوق مهملات على الرصيف ينتظر الزبّال . باستحياءٍ ما ، أنقذت القفص وحملته عائداً إلى حجرتي . كان إذعاناً لا يُقلل من تصميمي على إخراج هولي جولايتلي نهائياً من حياتي . كانت قد باتت بالنسبة لي «استعراضيّة فجّة» و«مُضيّعة للوقت» و«زيفاً خالصاً» ، شخصاً لن أخاطبه مرة أخرى أبداً .

ولم أفعل ، على الأقل ليس لفترة طويلة . كنّا نمرُّ متجاورين بالدَرَج بعيون مطأطئة . كانت إذا دخلت حانة جو بيل من باب ، أخرج من باب آخر . لكن عند نقطةٍ ما ، مَرَرَتْ مدام سافيا سبانيلا ، مغنية الأوبرا المتحمّسة للتزلّج والتي تعيش بالطابق الأول ، التماساً بين ساكني براونستون الآخرين طالبةً منهم الانضمام إليها لطرد الآنسة جولايتلي : كانت ، حسب مدام سبانيلا ، «كريهة أخلاقياً» و«مسؤولة عن الإعداد للحفلات الليلية التي تهدد سلامة

Twitter: @ketab_n

واستقامة جيرانها». لكن رغم رفضي التوقيع ، كنت أشعر بيني وبين نفسي أنّ مدام سبانيلا لديها الحقّ في الشكوى . في النهاية فشلت في تحقيق مرادها ، ومع انتهاء أبريل/ نيسان وبشائر مايو/ أيار ، توهجت ليالي الربيع الدافئة ، المفتوحة النوافذ ، بصخب الحفلات وصوت الفونوغراف العالي وضحكات المارتيني المنبعثة من الشقّة رقم 2 .

لم يكن شيئاً جديداً أن ألتقي نماذج مشبوهة بين زائري هولي ، بل على العكس تماماً . لكن يوماً ما نهاية هذا الربيع ، أثناء مروري بمدخل البراونستون ، رأيت بطرف عيني رجلاً مثيراً للاستفزاز يتفحّص صندوق بريدها . رجل في أوائل الخمسينيات من عمره بوجه متحدِّر قاس تتوسطه عينان رماديتان بائستان ، وقد ارتدى قبعة رمادية عتيقة لطّخها العرق ، وبدت بذلته الصيفيّة الرخيصة باهتة الزرقة ، مفرطة الاتساع بالنسبة لهيكله النحيل . أمّا حذاؤه فكان بنيّاً وجديداً بلمعته . بدا وكأنّه لا يُعير اهتماماً لمسألة رنّ جرس هولي ، وببطء ، كأنّه يقرأ بطريقة بريل ، واصل حكّ أصبعاً بالكتابة المزخرفة لاسمها .

ذلك المساء ، وفي طريقي للعشاء ، رأيت الرجل مجدداً . كان يقف في الجهة المقابلة من الشارع ، مستنداً إلى شجرة يحدّق بنوافذ هولي ، الأمر الّذي دفع بالأفكار المشؤومة للتزاحم برأسي . هل هومُخْبِر ؟ أو وسيط ما من عالم الجريمة على صلة بصديقها سجين سينج سينج ، سالي توماتو؟ أنعش الموقف مشاعري العطوفة تجاه هولي . كان الوقت مناسباً لإنهاء حالة العداء التي دامت طويلاً؛ بحجة تحذيرها أنّها مُراقبة . شعرت بتركيز الرجل مسلطاً عليّ، وأنا أمشي قاصداً ناصية الشارع شرقاً صوب محل هامبورج هيفن بالجادة التاسعة والسبعين وماديسون . على التوّ ، دون أنّ ألتفت ، عرفت أنه يلاحقني . كنت أستطيع سماعه يصفر لحناً ، ليست مقطوعة عادية ، بل لحن البراري الحزين الّذي تعزفه هولي أحياناً على القيثار : *لا أريد النوم ، ولا أريد الموت* ، يكفيني

Twitter: @ketab_n

السفر عبر مراعي السماء . تواصل الصفير عبر جادة بارك شارع ماديسون . مرّة، وأنا أنتظر أن يتبدّل لون إشارة المرور ، شاهدته بطرف عيني وقد انحنى ليداعب كلب بوميرانيان رخيص ، مُخاطباً صاحبه بلهجة ريفيّة متشدّقة ، وبصوت أجشّ: «ياله من حيوان رفيع الشأن ، هذا الّذي تقتنيه .»

كان محل هامبورج هيفن خالياً من الزبائن . ومع ذلك ، اختار مقعداً بجواري على المنضدة الطويلة . فاحت منه رائحة التبغ والعرق . طلب فنجان القهوة ، لكن حين جاء لم يلمسه ، بل راح يلوك عود تخليل أسنان فيما يدرسني عبر مرآة الحائط المقابلة .

قلت ، أخاطبه عبر المرآة : «عفواً .. لكن ماذا تريد ؟»

لم يربكه السؤال ؛ بل بدا وكأنّ السؤال قد خفف الأمر عليه ، وقال : «أنا بحاجة لصديق ، يا بني .»

ثمّ أبرز حافظة بالية كيديه النحيلتين ، مكرمشة تقريباً ، وكذلك كانت الصورة الفوتوغرافيّة الضبابيّة المحطّمة الهشّة التي ناولها لي. كان ثمّة سبعة أشخاص بالصورة ، يحتشدون جميعاً خلف الشرفة المنخفضة لمنزل خشبي مُقفر، وكذلك الأطفال ، عدا الرجل نفسه الّذي أحاط ذراعه بخصر فتاة صغيرة ممتلئة شقراء تحجب بكفها أشعة الشمس عن عينيها .

أشار لنفسه ، قائلاً : «هذا أنا .. وهذه هي ..» ونقر فوق الفتاة الممتلئة . «وهذا الآخر هنا ..» مشيراً لصبي أشقر فارع الطول: «هذا شقيقها ، فريد . »

تأملتها مرة أخرى : بلى ، الآن أراها ، صورة جنينيّة من هولي الطفلة الممتلئة الخدود الحولاء . وفي نفس اللحظة ، أدركت ما يجب أن يكونه الرجل .

«أنت *والد* هولي .»

طَرَف ، وعَبَس . «اسمها ليس هولي ، بل لولاماي بارنز ، أو هكذا كان .»

Twitter: @ketab_n

قال ، مُنقّلاً عود تخليل الأسنان في فمه . «حتى تزوجتني . أنا زوجها ، دوك جولايتلي ، طبيب خيول ، أعالج الحيوانات وأقوم أيضاً ببعض أعمال الفلاحة أحياناً . بالقرب من تيوليب بولاية تكساس . لماذا تضحك يا ولدي ؟»

لم يكن ضحكاً حقيقياً : بل هستيريا . جرعت بعض الماء وشرقت ؛ فدقّ على ظهري . «صهٍ يا ولدي ؛ فهذه ليست مسألة هزلية . أنا رجل مجهد . منذ خمس سنوات وأنا أفتش عن امرأتي ، وبمجرد أن جاءني هذه الخطاب من فريد ، الّذي يدلني على مكانها ، اشتريت تذكرة على الجرايهوند ؛ كي تعود لولاماي لبيتها مع زوجها وأطفالها .»

«أطفال ؟»

«هؤلاء أطفالها .» قال ، صائحاً تقريباً . كان يعني الوجوه الأربعة الصغيرة الأخرى بالصورة، بنتان حافيتان وولدان يلبسان أفرولات. طبعاً ، كان الرجل مُختلاً .

«لكن مُحال أن تكون هولي أمّ هؤلاء الأطفال ؛ فهم أكبر منها سنّاً وحجماً.»

أجاب بصوت مُتعقّل «الآن يا ولدي .. أنا لا أدّعي أنهم أطفالها الّذين ولدتهم طبيعياً ؛ فأمهم الغالية ، زوجتي الحبيبة ، فليحفظ المسيح روحها ، ماتت في الرابع من يوليو/ تموز ، يوم الاستقلال ، عام 1936 . عام الجفاف . حين تزوجت لولاماي ، وكان هذا في ديسمبر/ كانون الأول 1938 ، كانت ابنة أربعة عشر ربيعاً . يجوز أن المرء العادي ، حين يكون في الرابعة عشرة من عمره ، لا يتمتع برجاحة العقل المفترضة . سوى أنّ لولاماي كانت امرأة استثنائية . كانت تعي جيداً ما تفعل حين وعدت أن تصبح زوجتي وأمّ أطفالي . لقد حطمت قلوبنا حقّاً حين هربت.»

رشف قهوته الباردة ، وألقى نظرة سريعة عليّ بحثاً عن علامات جديّة .

Twitter: @ketab_n

«الآن يا ولدي، هل تشكّ في حديثي؟ هل تصدّقني؟»

صدّقته. كان عسيراً ألا أصدّقه، فضلاً عن تماشيه مع وصف أو.جي. بيرمان لهولي التي صادفها أول مرة في كاليفورنيا «لا تعرف ما إذا كانت ريفيّة، أم عاملة زراعيّة مُهاجرة أم ماذا» لا يمكن إلقاء اللوم على بيرمان لأنّه لم يخمّن أنّها زوجة طفلة من تيوليب بتكساس.

«لقد حطمت قلوبنا حقّاً حين هربت.» قال طبيب الخيول مردداً، وتابع: «لم يكن ثمّة سبب يدفعها للهرب. كانت بناتي يؤدين الأعمال المنزليّة. كانت تعيش حياة سهلة: تتعارك وتغسل شعرها أمام المرايا. كانت يا ولدي تنعم برغد حقيقي في العيش فصارت سمينة: بقراتنا وحديقتنا ودجاجنا وخنازيرنا. كذلك استحال شقيقها فريد الّذي باتَ عملاقاً. ما يختلف كليةً عن صورتهما حين رأيناهما أول مرة. تلك ابنتي الكبرى نيللي، كانت هي من أدخلتهما المنزل. جاءت لي ذات صباح وقالت: «بابا، لقد حبست صغيرين طائشين بالمطبخ، أمسكت بهما بالخارج يسرقان الحليب وبيض الديوك الروميّة.» تلك حقيقة لولاماي وفريد. باختصار، لن ترى أبداً من هو أحقر منهما. أضلاع بارزة بكل مكان، سيقان سقيمة بالكاد يقفان عليها، أسنان مخلخلة تعيقهما عن المضغ. كانت قصتهما كالتالي: ماتت أمهما بالسلّ وكذلك أبوهما وكل أخوتهما، الأسرة برمّتها؛ فأرسلوا للتقلب في العيش مع ناس أشرار مختلفين. الآن، تعيش لولاماي وشقيقها برفقة أناس ما أشرار تافهين على بُعد مائة ميل شرق تيوليب. كان لديها سبب وجيه للهرب من هذا المنزل، وهوما لم يكن لديها حين هربت من منزلي. لقد كان بيتها.» استند بمرفقيه على الطاولة وضغط عينيه المغمضتين برؤوس أصابعه، وتنهد: «لقد سمنت لتصير امرأة حقيقية جميلة. نابضة بالحياة، أيضاً. تتحدث كطائر صدّاح، لديها شيء ذكي تقوله في كل موضوع: أفضل من المذياع. أول شيء ..:أتعرف، أخرج لأقطف لها الزهور. روّضت

Twitter: @ketab_n

لها غراباً وعلمته أن يصيح باسمها . علمتها كيف تعزف على القيثار . كانت مجرد رؤيتها تجعل الدموع تثب إلى مقلتيّ . وفي الليلة التي اعتزمت فيها طلبها للزواج ، كنت أبكي كطفل . قالت «لماذا تبكي يا دوك ؟ سنتزوج ، طبعاً لم يسبق لي الزواج من قبل أبداً .» لا بأس ، كان لابد أن أضحك ، أحضنها وأعتصرها : *لم يسبق لها الزواج من قبل أبداً !* .» ضحك ، ماضغاً عود تخليل الأسنان لبرهة ، ثمّ تابع بلهجة تحد .«لا تقل لي أنّ تلك المرأة لم تكن سعيدة . كلنا شغفنا بها . لم يكن عليها أن ترفع أصبعاً إلا لتأكل جزءاً من فطيرة ، أولتمشّط شعرها وترسل طلباً لكل المجلات . لابد وأن لدينا ما قيمته مائة دولار من المجلات في المنزل . تسألني، هذا ما فعلته. تحدّق بصور تتباهى بجمالها ، تفسير أحلام . كان الأخير ما جعلها تدوس الطريق ، في كل يوم كانت تمشي أكثر قليلاً : ميلاً ثمّ تعود للبيت ، ميلين ثمّ تعود ، حتى جاء يوم مشت فيه ولم تعد .» غطّى بكفيّه عينيه مرة أخرى ، وقد ارتفع صوت تنفسه بشكل مثير . «الغراب الّذي أهديته لها طار بعيداً ، وفي كل صيف أسمعه ، في الحوش ، في الحديقة ، في الغابات . كل صيف كان هذا الطائر اللعين يصيح : لولاماي ، لولاماي .»

ظلّ محنياً وساكتاً ، كأنّه يجتر صوت الصيف البعيد . حملت فاتورتينا إلى أمين الصندوق ، لحقني وأنا أدفع . غادرنا سوياً ومشينا حتى جادة بارك. كان مساءً بارداً معبأً بالنسيم ، وقد راحت مظلات أنيقة ترفرف بفعل النسيم . تواصل الصمتُ بيننا حتى قلت: «لكن ماذا عن شقيقها ؟ ألم يرحل ؟»

ردّ ، مُنقيّاً حنجرته : «ظلّ فريد معنا حتى أخذوه للجيش . إنّه صبي رائع . وهو ماهر بالجياد، لكنّه لم يكن يعرف ما يعتمل بداخل لولاماي ، كيف استطاعت أن تهجر شقيقها وزوجها وأطفالها . بعد أن التحق بالجيش ، مع ذلك ، بدأت أخبارها تبلغ فريد، وفي اليوم التالي كتب لي عنوانها . وهكذا ، جئت من أجلها. أعلم أنّه يتألم لما فعلته ، وأعلم أيضاً أنّها ترغب في العودة .» بدا لي وكأنه يطلب

Twitter: @ketab_n

مني موافقته الرأي . قلتُ له أني فكّرت أنّه ربما يجد هولي، أو لولاماي ، مختلفة بعض الشيء . قال ، وكنّا قد بلغنا درجات البراونستون «اسمع يا ولدي ، لقد أطلعتك على حاجتي لصديق ؛ لأني لا أرغب في مفاجأتها ، أو إرعابها . لذلك نأيت بنفسي . كن صديقي : وأخبرها أني هنا .»

كانت لفكرة تقديم مدام جولايتلي لزوجها جوانبها المُرضية . تمنيت ، وأنا ألقي نظرة خاطفة على نافذتها المضيئة ، أن تكون برفقة أصدقائها ؛ فربما أشهد المصافحة التكساسيّة مع ماج ورستي وخوسيه الّذي لا يزال أكثر إرضاءً . لكن عيني دوك جولايتلي الأبيتين الجادتين وقبعته التي بقّعها العرق ، جعلتني أشعر بالخجل من نفسي لمثل تلك الأفكار . تبعني داخل البيت واستعد للانتظار أسفل الدَرَج . «هل أبدو بشكل جيد .» همس ، نافضاً أكمامه ، شاداً عقدة ربطة عنقه .

كانت هولي بمفردها . ردّت على الباب على الفور. في الحقيقة ، كانت في طريقها للخروج ـ بحذاء رقص خفيف أبيض مصقول وكميات من العطر دلّت على نوايا باحتفال صاخب . قالت ، وهي تضربني خفيفاً بكيس نقودها مداعبةً : «لا بأس ، يا خائب .» وتابعت : لكنني في عجلة شديدة من أمري وليس لدي وقت للصلح . سندخن البايب غداً . ماشي ؟»

«طبعاً ، يا لولاماي. إذا مكثتِ هنا للغد .»

خلعت نظارتها الداكنة وحدّقت بي بعينين نصف مغمضتين. كانت ألوان عينيها وكأنها تشظّت ، وصارت النقط الزرقاء والرمادية والخضراء ككسرات مهشمة من الشرر .

قالت بصوت ضعيف مرتعش : «هو أخبرك باسمي ؟» وتابعت : «آه ، أرجوك ، أين هو؟»

Twitter: @ketab_n

ركضت تتجاوزني إلى الردهة ، وصاحت بأسفل الدرج : «فريد ! فريد ! أين أنت يا حبيبي ؟»

تناهى إلى مسامعي صوت خطى دوك جولايتلي يصعد الدّرَج . ظهر رأسه فوق الدرابزين ، وتراجعت هولي بعيداً عنه ، ليس عن خوف ولكن كأنّها تنسحب لداخل قوقعة من الإحباط . ثمّ توقف أمامها ، بائساً وخجولاً . وقد استهل اللقاء بقوله : عجباً يا ، لولاماي .»

بدأ متردداً أمام تحديق هولي به بوجه خالٍ من التعبير ، وكأنّها عاجزة عن التعرّف عليه . تابع : «رفقاً يا حبيبتي ، ألا يطعمونك هنا ؟ لقد نحلت للغاية ، صرت أشبه بأول مرة رأيتك فيها ، وغارت عيناكِ كثيراً .»

تلمّست هولي وجهه ، وتحققت أصابعها من حقيقة وجود ذقنه ولحيته القصيرة الخشنة ، ثمّ قالت برقّة : «أهلاً دوك .» وقبلته على خده . ثمّ كررت بسعادة ، فيما رفعها عن الأرض في عناق طويل. وهزته شهقات ضحك نمّ عن ارتياح:«عجباً يا لولاماي . إنّ الدنيا لا تسعني .»

لم يلتفتا لي حين مررت من جانبهما وصعدت لغرفتي ، ولا بدا عليهما الانتباه لمدام سافيا سبانيلا ، التي واربت بابها وهتفت : «إخرسا ! ياله من عار ، اذهبا ومارسا عهركما بعيداً .»

❖ ❖ ❖

«*طلّقته* ؟ طبعاً لم أطلّقه أبداً ، لقد كنت في الرابعة عشرة فحسب ، لله . لا يُعقل أنّ يكون هذا زواجاً شرعياً .» نقرت هولي فوق كأس مارتيني فارغ ، وتابعت : «اثنان آخران يا عزيزي سيد بيل .»

قبل جو بيل ، الّذي كنا نجلس في حانته ، الطلب على مضض ، وقال متذمّراً فيما يقرمش دواءه المهدئ للمعدة «تصخبين وتتصرفين بطيش ولا يزال الوقت

Twitter: @ketab_n

باكراً .»

لم نكن قد بلغنا منتصف اليوم بعد ، حسب الساعة المصنوعة من خشب الماهوجني الأسود المُعلقة خلف البار ، وكان قد دار علينا بالفعل بثلاثة كؤوس لكلينا .

قالت : «لكنه الأحد ، سيد بيل ، والساعات بطيئة أيام الأحد . فضلاً عن أنّي لم أدلف لفراشي حتى الآن .» ثمّ أفضت إليّ : «لم أنَمْ» ، وأحمرّت خجلاً فاستدارت شاعرةً بالذنب . لأول مرة منذ عرفتها ، تتراءى لي شاعرةً بالحاجة لتبرير نفسها . «بلى ، كان لابد أن نمارس حُبّاً . دوك يحبني فعلاً وأنا أحبّه . ربما بدا عجوزاً رثّاً لك ، لكنك لا تعرف مدى عذوبته ، والثقة التي يمنحها للطيور والأطفال والأشياء الهشّة المماثلة . وأيما امرؤ منحك ثقة ، أنت مدين له بالكثير . إنني أذكر دوك دائماً في صلواتي . أرجوك كفّ عن تكلّف الابتسام ! .» وأتبعت طلبها باستخراج سيكارة : «أنا أؤدي صلواتي .»

«أنا لا أتكلّف الابتسام ، أنا أبتسم ؛ فأنت أكثر شخص مدهش على وجه الأرض .»

«أفترضُ ذلك . » قالت وقد شحب وجهها ، بالأحرى أكتسب مظهراً مرضوضاً في نور الصبح ، لامعاً ، وصففت شعرها الأشعث وقد سطعت ألوانه مثل إعلان شامبو. «لا بد أنّي أبدو رديئة ، لكن من منّا ليس كذلك ؟ لقد أمضينا بقيّة الليلة نجول حول محطة الباص . وحتى اللحظات الأخيرة كان دوك يظن أني سأعود برفقته ، رغم مصارحتي له بالحقيقة «لكن ، دوك ، أنا لم أعد في الرابعة عشرة ، ولست لولاماي». سوى أنّ الجزء المفزع (وقد أدركته حين كنّا نقف هناك) هو أنا .لا زلت أسرق بيض الديوك الروميّة وأهرب عبر رُقعة بريّة . الآن فحسب أدعوها معاناة النوبات الحمراء .»

Twitter: @ketab_n

وضع جو بيل كؤوس المارتيني الجديدة أمامنا بازدراء.

«لا تعشق أبداً شيئاً جامحاً ، يا سيد بيل .» نصحته هولي ، وتابعت : «لقد كان هذا هو خطأ دوك . كان يجرّ دائماً للديار أشياء جامحة . صقر بجناح مجروح. مرّة جاء بوَشق ناضج بساق مكسورة . لكنّك لا تستطيع منح قلبك لمخلوق جامح : كلما أعطيت أكثر ، زادت قوته، حتى نقطة ما يصير فيها قوياً بما يكفي للهرب إلى الغابات ، أو الطيران فوق شجرة ، ثمّ إلى شجرة أعلى ، ثمّ إلى السماء، وتصير تلك نهايتك يا سيد بيل . لو أحببت شيئاً جامحاً ، سينتهي أمرك محدّقاً بالسماء . »

«لقد سكرت .» ، قال جو بيل .

أقرّت هولي : «بدرجة محدودة .» وتابعت : «لكن دوك عرف ما أعنيه ، لقد شرحت الأمر له بعناية ، وكان شيئاً يستطيع استيعابه . تصافحنا وواصلنا سيرنا وقد تمنى لي حظّاً سعيداً .» وألقت نظرة على الرصيف ، ثمّ تابعت : «لابد وأنّه في الجبال الزرقاء الآن .»

سألني جو بيل : «عما تتحدث ؟»

رفعت هولي كأس المارتيني خاصتها : «هيا نرجو له حظّاً طيباً أيضاً» ، ولمست بكأسها حافة كأسي: «حظّاً طيباً ، وصدّقني أيها العزيز دوك ـ إنّه لمن الأفضل التحديق بالسماء عن العيش هناك ، في مثل هذا الخلاء ، المبهم جداً ، محض بلاد ترعد وتختفي بها الأشياء .»

❖ ❖ ❖

ترولر يتزوج للمرّة الرابعة . كنت في قطار أنفاق بمكانٍ ما في بروكلين حين رأيت هذا المانشيت . كانت الصحيفة التي تصدرها هذا العنوان تخصّ راكباً آخر ، وكان الجزء الوحيد من النص الّذي تمكنت من قراءته هو: رذرفورد

Twitter: @ketab_n

«رستي» ترولر ، المليونير اللعوب الّذي كثيراً ما أُتهم بالولاء للنازي ، قرّ إلى جرينيتش برفقة حسناء ... ـ لم يكن ذلك ما أردت قراءته بأي شكل . تزوجته هولي : حسناً ، حسناً . تمنيت لو دهستني عجلات القطار ، سوى أنّي كنت أتمنى ذلك قبل أنّ تقع عيناي على الصحيفة ؛ لعدد من الأسباب منها : أنّي لم أرى هولي ، حقّاً ، منذ يوم الأحد الّذي جمعنا سكيرين في بار جو بيل ، وقد منحتني الأسابيع التي تلت ذلك حالتي الخاصة من النوبات الحمراء الشريرة. أولاً طُردت من عملي : وكنت أستحق ذلك بسبب جرم مُسلٍّ بسيط ، لكنّه مّعقّد بحيث يتعذّر سرده هنا . من جانب آخر كانت قُرْعة تجنيدي لا تبشّر ؛ وبالنظر لكوني هربت لتوي من النظام الصارم لبلدة ضيّقة ، كانت فكرة دخول شكل جديد من الحياة المنضبطة تصيبني بالإحباط . وفي ظلّ الضباب الّذي اكتنف موقفي من التجنيد ونقص خبرتي النوعيّة ، لم يتراءى في الأفق قرب حصولي على وظيفة . هذا ما كنت أفعله في قطار الأنفاق في بروكلين : العودة من لقاء مثبّط مع مُحرر الصحيفة التي انقرضت الآن، *PM* . كل هذا مجتمعاً مع حرارة المدينة في الصيف ، أجبرني على الخضوع لنوبة كسل عصبية . وهكذا، كنت أعني ما قلت بدرجة كبيرة حين تمنيت أنّ يدهسني قطار ، وقد جعل المانشيت الرغبة أكثر قوة ؛ فإذا كانت هولي قادرة على الزواج من هذا «الجنين السخيف» ، إذن فلربما يزحف فوقي جيش الضلال المنتشر بكل العالم . أو، والسؤال واضح ، هل غضبي في جزء منه نابع من كوني أنا نفسي صريع هوى هولي ؟ يجوز ، لأنّي كنت أحبُّها ، فقط كما هوالأمر مع طاهية أمي ، الكهلة الملونة ، وساعي البريد الّذي سمح لي بمرافقته في جولاته ، وعائلة كاملة كان اسمها ماكيندريك . فهذا النوع من الحب يولّد الغيرة ، أيضاً .

اشتريت نسخة من الصحيفة حين بلغت المحطة ، وقرأت بقيّة الجملة؛ لأكتشف أنّ عروس ترولر كانت : *فتاة غلاف حسناء من تلال أركنسو* هي

Twitter: @ketab_n

الآنسة مارجريت تاتشر فيتسهيو وايلدوود . ماج ! ترنّحت ساقاي ارتياحاً فاستقليت سيارة أجرة بقية الطريق للمنزل .

هناك ، اصطدمت بمدام سافيا سبانيلا في الردهة ، بعينين مسعورتين تلوّح بيديها أن : «أركض» ، وتابعت : «أحضر الشرطة ، إنّها تقتل أحداً ! إنّ أحداً يقتلها !»

بدا الأمر حقيقياً . وكأنّ نموراً طليقة في شقّة هولي . صخب زجاج يتهشم، اندفاعات عنيفة وسقوط وأثاث ينقلب . لكن لم يكن ثمّة أصوات عراك بين الضجيج ، ما جعله يبدو غير طبيعي . عادت مدام سبانيلا تصرخ بي وهي تدفعني دفعاً : «أركض .. أخبر الشرطة أنّ ثمّة جريمة قتل تحدث !»

جريت ، لكن للطابق الأعلى فحسب ، إلى باب هولي . وقد تمخّض قرعي العنيف للباب عن نتيجة واحدة : همد الصخب . توقف تماماً . لكن كل حججي من أجل السماح لي بالدخول راحت سُدى ، كذلك جهودي لكسر الباب كبدتني فحسب كتفاً مكدوماً . ثمّ تناهى لمسامعي مدام سبانيلا بالأسفل تأمر قادماً ما جديداً أن يذهب طلباً للشرطة ، سوى أنّ القادم صرخ بها: «إخرسي ! أغربي عن وجهي .»

كان خوسيه إبارّا ييجار . كان مظهره أبعد ما يكون عن دبلوماسي برازيلي أنيق، بل يغمره العرق والخوف . أمرني بإفساح الطريق له ، أيضاً . و، مستخدماً مفتاحه ، فتح الباب . قال : «من هنا دكتور غولدمان .» مُشيراً لرجل يرافقه .

ولأن ما من أحد أعترض طريقي ؛ فقد تبعتهما إلى داخل الشقّة ، التي كانت مُحطّمة بشكل مروّع . على الأقل ، كانت شجرة عيد الميلاد مُفككة ، بمعنى الكلمة : كانت فروعها البنيّة الجافة متناثرة في فوضى كُتب ممزقة ، مصابيح وتسجيلات فونغراف مكسورة . حتى الثلاجة كانت مفرغة ، وقد طُرِحت

Twitter: @ketab_n

محتوياتها أرضاً بكل أرجاء الحجرة : بيض نيئ يغطي الجدران ، وفي غمرة هذا الحطام كان قط هولي الّذي لا يحمل اسماً يلعق بركة من الحليب ، بهدوء .

في حجرة النوم ، كممت أنفاسي اتقاءً لرائحة عطور هولي التي تصاعدت من زجاجاتها المحطمة . دست على نظارة هولي الداكنة ، كانت مُلقاة على الأرض ، وقد تهشمت عدستيها فعلاً ، وتحطّم إطارها لنصفين .

ربما لهذا السبب حدّقت هولي ، جسداً متخشّباً في الفراش ، في خوسيه بصورة عمياء ، وقد تراءى وكأنّها لا ترى الطبيب ، الّذي دندن وهويقيس ضغطها : «أنت شابة مجهدة . مجهدة جداً . وفي حاجة ماسة للنوم . أليس كذلك؟ نامي .»

حكّت هولي جبهتها ، تاركةً مسحة من دم نزف من أصبع مجروح . قالت: «أنام.» ونشجت كطفل مُشاكس مُنهك . «هو الوحيد على الإطلاق الّذي من شأنه أن يسمح لي . يسمح لي بمعانقته في الليالي الباردة . رأيتُ مكاناً في المكسيك ، مليء بالجياد ، بمحاذاة البحر .»

«مليء بالجياد ، بمحاذاة البحر .» ، قال الطبيب مهدهداً ، وهو يختار من حقيبته السوداء محقناً تحت الجلد .

تجنّب خوسيه رؤية الإبرة ، حساسية . سأل : «مرضها محض أسى ؟»

كانت إنجليزيته الصعبة تضيف للسؤال تهكماً غير مُتعمّد : «متأسيّة فحسب؟»

قال الطبيب مستفسراً ، فيما يربّت على ذراع هولي بقطعة من القطن : «لم توجِع أبداً ، والآن هل توجعت ؟»

اقتربت بقدرٍ كاف من الطبيب ، ورددت : «*كل شيء يجرح* . أين نظارتي؟»

لكنها لم تكن في حاجة إليها ؛ فقد أغمضت عينيها طوعاً .

كرر خوسيه بإصرار : «متأسيّة فحسب ؟»

Twitter: @ketab_n

كان صبر الطبيب قد نفد فقال : «أرجوك يا سيدي أن تدعني وحدي برفقة المريضة .»

انسحب خوسيه من الحجرة ، حيث صبّ انفعالاته المشحونة على الوجود المُتلصص لمدام سبانيلا . : «لا تلمسني ! وإلا استدعيت الشرطة .» قالت مُنذرة فيما تتراجع نحو الباب أمام سبابه البرتغالي .

كان يفكر في طردي أنا الآخر ، أيضاً ، أوهكذا ظنّنت من سحنته ، لكنه بدلاً من ذلك دعاني للشراب . كانت الزجاجة المكسورة الوحيدة التي وجدناها تحتوي على دراي فيرموث . قال مُفضياً لي : «ينتابني شعورٌ بالقلق ... ينتابني شعورٌ بالقلق من أن ينجم عن هذا الأمر فضيحة . تحطيمها كل شيء . التصرف كالمجانين . لا ينبغي أن تطالني فضيحة عامة ؛ فاسمي وعملي بالغا الدّقة .»

بدا مبتهجاً لقولي إني لا أرى سبباً لـ «فضيحة» ، تُضرُ بممتلكات المرء الخاصة ؛ لما يُفترض أنّه علاقة خاصّة .

كرر بحزم : «مسألة حزن فحسب.» وتابع : «حين جاء الخبر ، قذفت أولاً بالكأس من يدها ، والزجاجة ، وتلك الكتب ، والمصباح . ثمّ أحسستُ بالخوف فهرعت لإحضار الطبيب .»

كنت أريد أن أعرف : «لكن لماذا ؟ ما الّذي يجبرها على أن تحزن على رستي؟ لو كنت مكانها لاحتفلت .»

«رستي ؟»

كنت لا أزال أحمل الصحيفة ، وقد أريته المانشيت .

ابتسم مستهزئاً : «آه .. هذا . لقد أسديانا معروفاً هائلاً بتلك الزيجة . كم ضحكنا على ذلك : كيف ظنّا أنهما يحطمان قلبينا في حين كنّا نتمنى طيلة الوقت أن يرحلا . أؤكد لك أننا كنّا نضحك ملء فاهينا حين جاء الخبر .» كانت عيناه

Twitter: @ketab_n

تفتشان بين الركام الّذي يغطي الأرض، ثمّ التقط ورقة صفراء متكورة وقال: «هذه.»

كانت برقية من تيوليب، تكساس: *بلغتنا أنباء بمقتل فريد في معركة عبر البحار. من زوجك وأطفالك أحر التعازي بمصابنا المشترك. المحب. دوك.*

❖ ❖ ❖

لم تعد هولي تذكر شقيقها أبداً: عدا مرة واحدة. علاوة على ذلك، كفّت عن تسميتي بفريد. حزيران/ يونيو إثر حزيران/ يونيو مضت كل شهور الصيف وقد دخلت بياتاً شتوياً ككائن شتوي لا يعلم أن الربيع قد جاء ومضى. صار شعرها أغمق، وزاد وزنها. صارت بالأحرى مهملة فيما يخص مظهرها: اعتادت الإنكباب على الأطعمة المعلبة وارتداء معطف مطر ولاشيء تحته. انتقل خوسيه لشقّة هولي، وحلّ اسمه محل اسم ماج وايلدوود فوق صندوق البريد. سوى أنّ هولي بمفردها كانت لا تزال رفقة مناسبة؛ فخوسيه كان يُمضي ثلاثة أيام أسبوعياً بواشنطن. وأثناء غيابه لم تستضف أحداً ونادراً ما كانت تغادر الشقّة ـ عدا أيام الخميس، التي كانت تقوم فيها برحلتها الأسبوعيّة لأوسينينغ*.

كانت تلك الرحلات تنطوي على إشارة على عدم فقدانها الرغبة بالحياة. أكثر من ذلك، بدت قانعة أكثر، وإجمالاً أكثر سعادة من أي وقت آخر رأيتها فيه. وسيطر عليها حماس قوي مباغت لا يشبه هولي للتدبير المنزلي أسفر عن عدة مشتريات بعيدة عن طبيعة هولي التي أعرفها: في مزاد بارك بيرنيت حصلت على سجادة مشغولة بمشهد اصطياد ظبي بجوار خليج، ومن عمارة وليام راندولف هيرست** زوج قاتم من الكراسي القوطيّة الهزازة، اشترت المكتبة

❖ مدينة في اللونغ آيلاند بالقرب من سجن سينغ سينغ.

❖❖ William Randolph Hearst (1863-1915). مؤسس لسلسلة من المؤسسات الصحفية ضمّت 25 صحيفة يومية، و11 إصداراً كل يوم أحد توزعت على 19 مدينة.

Twitter: @ketab_n

الكاملة الحديثة ، أرفف من التسجيلات الكلاسيكية ، منتوجات لا تُعد من متحف المتروبوليتان (ضمّت تمثال قط صيني كرهه قطها واستهجنه وأخيراً كسره) ، خلاّط وارينغ ووعاء طبخ بالضغط ومكتبة لكتب الطبخ . كانت تنفق ساعات الأصيل تتقمص دور مدبرة المنزل ، غارقة في عرقها بمعرقة مطبخها الضيق .

«خوسيه يقول إنني أفضل من كولوني . حقّا ، من كان يحلم بأنّي أمتلك مثل تلك الموهبة الطبيعية الرائعة ؟ كنت منذ شهر واحد أعجز عن قلي بيضة.» وكانت لا تزال عاجزة عن ذلك . كانت الأطباق البسيطة ، البفتيك والسَلَطة الحقّة بعيدة عن قدراتها . بدلاً من ذلك ، كانت تطعم خوسيه ، وأحياناً أنا ، حساء الـ Outré (حساء السلاحف السوداء الممزوج بالبراندي في محارات الأفوكاته) أوالإبداعات فائقة الجدة (طائر التَّدْرُج المشوي محشو بالرّمُان وثمار البِرسيمون) والابتكارات الملتبسة (دجاج وأرز بالزعفران مُغطى بصلصة الشوكلاته) : «أكلة شرق هنديّة كلاسيكية ، *يا عزيزي*» فيما كان نظام حصص السكر والقشدة المتبع في زمن الحرب يقيّد خيالها بشأن الحلويات ـ ومع ذلك ، تدبرت مرّة طبقاً اسمه تابيوكا التبغ : من الأفضل ألا أصفه .

لن أصف أيضاً محاولاتها للإلمام باللغة البرتغالية ؛ فقد كانت مِحنة مضجرة لكلينا ؛ فما من مرّة زرتها بها إلا وكانت إحدى أسطوانات تسجيلات لينغوافون لا تكف عن الدوران بالفونوغراف . الآن ، أيضاً ، نادراً ما لا تبدأ كل جملة من حديثها بـ «بعد أن نتزوج ـ» أو«حين ننتقل إلى ريو ـ» على الرغم من أن خوسيه لم يعرض عليها الزواج إلى الآن أبداً . هي اعترفت بذلك . «لكن ، عموماً، هو يعرف أنّي حامل . بلى يا عزيزي . منذ ستة أسابيع مضت . لا أرى سبباً يجعلك تندهش هكذا ؛ فهولم يدهشني . مطلقاً un peu . أنا مبتهجة ، وأرغب بتسعة

Twitter: @ketab_n

أطفال على الأقل . أنا متأكدة أنّ بعضهم سيكون ملوناً ؛ فخوسيه لديه مسحة زنجية ، وأتصوّر أنّك خمنت ذلك ؟ سيكون الأمر رائعاً بالنسبة لي: تُرى ما هوالأجمل من طفل أسمر بعينين خضراوين لامعتين جميلتين ؟ أتمنى ، وأرجو ألا تضحك ـ لكنني أتمنى لو كنت عذراء من أجله ، من أجل خوسيه . لا يتعلق الأمر بالأعداد الغفيرة التي يدّعي بعض الناس أنّي عاشرتهم : فأنا لا ألوم الأوباش على ما يتقولونه ، دائماً ما ألقي بتلك الإدعاءات العنصرية وراء ظهري . حقّاً ، مع ذلك ، أحصيتهم الليلة السابقة ، كان لدي أحد عشر عشيقاً فحسب ـ دون النظر لأي علاقة حدثت قبل أن أبلغ الثالثة عشرة ، فعموماً، هذا مجرد شيء لا يُحتسب . أحد عشر ، هل يجعل هذا العدد مني عاهرة ؟ أنظر لماج وايلدوود . أو هوني تاكر . أو روز إيلين وارد . لقد أصبنّ بالسيلان كثيراً جداً لدرجة تستدعي التصفيق . طبعاً أنا لا أحمل ضغينة *ضد* العاهرات ، باستثناء هذا الأمر : بعضهنّ ربما يملكنّ لساناً صادقاً لكنهنّ جميعاً يملكنّ قلوباً كاذبة . أعني، لا تستطيع استغفال الرجل وحلب محفظته وعلى الأقل *لا تحاول* تصديق أنّك تحبه . لم أكن تلك المرأة أبداً . حتى بينّي شاكليت وكل هؤلاء الفئران . لقد كنت أقودُ نفسي باتجاه التفكير بأن مجرد خستهم لها بعض الجاذبية. في الواقع، باستثناء دوك ، لو أردت احتسابه ، فخوسيه أول رجل حقيقي في حياتي . آه، ليس فكرتي عن فارس الأحلام ؛ فهو يكذب قليلاً ويُقلقه ما يقوله الناس ويتحمحم خمسين مرّة تقريباً يومياً : يحسُن أنّ يحوز الرجال رائحةً ما . هو أيضاً متكلف ومتحفظ، أبعد من أن يكون فارس أحلامي ، ودائماً ما يدير ظهره لخلع ملابسه ويصنع ضوضاء هائلة حين يأكل ولا أحب رؤيته يجري لأنّ ثمّة شيئاً مثيراً للضحك في مظهره حين يجري . لو أنّ لي حرية الاختيار من بين جميع من على وجه الأرض ، أطقطق أصابعي وأقول أنت تعال ، ما كنت لأختار خوسيه. ربما نهرو الأقرب.

Twitter: @ketab_n

ويندلّ ويلكي❖. أقبل بنموذج جاربو❖❖ في أي يوم. ولِـمَ لا ؟ ينبغي على المرء أن يكون قادراً على الزواج من الرجال أو النساء أو اسمع، لو جئتني يوماً وقلت لي إنّك ترغب بقفز الحواجز مع Man o'War ❖❖❖، سأحترم شعورك. كلا، أنا جادة. يجب إفساح المجال للهوى. أنا قلباً وقالباً فداء لذلك. الآن صارت لديّ فكرة ما صالحة عن ماهيته. لأنّني أحب خوسيه ـ سأكف عن التدخين لو طلب مني هذا. شخص ودود، يمكنه إضحاكي على النوبات الحمراء الشريرة، كل ما في الأمر أنها كفّت عن الانقضاض عليّ مطلقاً، باستثناء مرات قليلة. وحتى حينئذٍ، لا تكون تلك النوبات بالغة القبح فأجرع السيكونال أو أضطر لسياقة نفسي لمحل تيفاني: آخذ بذلته للتنظيف، أو أحشو بعض الفطر، فأشعر بتحسن، بحال جيدة تماماً. شيء آخر، لقد رميت خرائط الأبراج. لابد وأنّي أنفقت دولاراً على كل نجم لعين بكل نظام شمسي. أمر مضجر، سوى أنّ الإجابة هي أن الأمور الطيبة تحدث لك فقط لو كنت طيباً. طيبة ؟ كلمة صادقة هو ما أعنيه أكثر. ليست استقامة من النوع القانوني ـ سأسرق قبراً، سأسرق ربع دولار من عيني رجل مدفون في قبره لو خطر ببالي أن ذلك من شأنه إضفاء بهجة على اليوم ـ لكنه صدق من النوع المنفصل عن النفس. كن أي شيء إلا أن تكون جباناً، مُدعياً، محتالاً عاطفياً، عاهرة: أفضّل أن أصاب بالسرطان عن امتلاك قلب مُخادع، ليس عن ورع، بل رغبة عمليّة أكثر، ربما يهدئ السرطان من روعك، لكن المؤكد أن بوسع الآخرين ذلك. آه، دعك من هذا يا جميل ـ

❖ مرشح الرئاسة الأمريكية عام 1944 عن الحزب الديمقراطي.

❖❖ Greta Garbo 1905-1990 ممثلة سويدية تعتبر إحدى نجمات شركة مترو غولدن ماير فترة سينما هوليوود الصامتة وجزء من عصرها الذهبي. WiKipedia

❖❖❖ حصان سباق حصد التاج الثلاثي في سباقات الخيول، وكان يُعد أكبر إنجاز في سباقات قفز الحواجز.

Twitter: @ketab_n

ناولني القيثار وسأغنى لك فادا ❖ بلغة برتغالية لا تشوبها شائبة .

تلك الأسابيع الأخيرة ، الممتدة من نهاية الصيف لبداية خريف آخر ، كانت مشوشة في الذاكرة . ربّما لأن فهمنا لبعضنا بلغ تلك الحلاوة العميقة حيث يتواصل اثنان في صمتهما أكثر من الكلمات : حين تحلّ سكينة حنونة محل التوتر، حين يتمخض اللغو غير المريح والتصيّد لأجل ذلك عن صداقة أكثر جاذبية، ولحظات أكثر ، في إحساسها الخارجي ، دراميّة . كنّا كثيراً ما نقضي سهرات طويلة سوياً ، حين يكون خارج المدينة (كنت قد طورت مواقف عدائيّة *ضده*، ونادراً ما كنت أستخدم اسمه) ، لا نتبادل خلالها ما يتجاوز المائة كلمة، مرّة، تمشينا كل الطريق للحي الصيني ، وأكلنا عشاء شاو- هين، واشترينا بعض الفوانيس الورقية وسرقنا صندوق عيدان بخور ، ثمّ تسكّعنا على جسر بروكلين. حينها ، فوق الجسر ، فيما نتأمّل سفناً تبحر صوب البحر تمر بين سفوح سماء أشعلتها ألوان الغروب ، قالت : «بعد سنوات من الآن ، سنوات وسنوات ، ستعود بي واحدة من تلك السفن ، أنا وأطفالي البرازيليون التسعة . لأنّهم بلى ، لابد وأن يروا هذه الأضواء وهذا النهر - أنا أعشق نيويورك مع أنها ليست لي ، بنفس الطريقة التي تكون لك بها أشياء ، شجرة أو شارع أو بيت ، شيء ما على أية حال ، ينتمي لي لأنّي أنتمي إليه .» وقلت : «كفى .» كنت حانقاً لإحساسي بالإهمال - كقارب لقطر السفن في حوض السفن الجاف ، فيما هي كمسافرة مبتهجة تحتفل بسلامة الوصول بصفّارات يتردد رنينها بالميناء وقصاصات ملونة في الهواء .

هكذا الأيام ، الأيام الأخيرة ، تهب في الذاكرة ، ضبابية ، خريفية ، كلها متشابهة كأوراق تتساقط : حتى جاء يوم لا يشبه يوماً آخر في حياتي كلها .

❖ ❖ ❖

❖ Fada أغنية برتغالية فولكلورية حزينة .

Twitter: @ketab_n

جرى هذا في الخريف بالثلاثين من أيلول/ سبتمبر ، يوم عيد ميلادي. حقيقة لا تأثير لها على الأحداث ، عدا توقّع بعض أشكال التذكارات النقدية من العائلة ، كنت متلهفاً لزيارة ساعي البريد الصباحيّة . في الحقيقة ، نزلت الدَرَج وانتظرته . ولولا أنّي كنت أتسكّع بالردهة ، لما دعتني هولي لمرافقتها ركوب الخيل ، وبالتالي، لما جاءتها الفرصة لإنقاذ حياتي .

قالت حين وجدتني أنتظر ساعي البريد : «تعال .. هيا نتمشّى بحصانين حول المتنزّه .» كانت تلبس سترة قصيرة من الجلد وبنطالاً من الجينز الأزرق وحذاء تنس . خبطت على بطنها لتلفت انتباهي لاستوائها ، وتابعت «لا تظن أنّي أرغب بفقدان الوريث . لكن ثمّة حصان ، عزيزي مابيل مينرفا العجوز ـ لا أقدر على الرحيل دون وداعه .»

«وداعه ؟»

«بعد أسبوع من السبت . لقد اشترى خوسيه التذاكر .» تركتها تقودني عبر الشارع ، مُغبّياً تقريباً . «سنغيّر الطائرة في ميامي ، ثمّ نحلّق فوق البحر ، ومن بعده جبال الأنديز. تاكسي !.»

فوق الأنديز . تراءى الأمر لي ، فيما نركب سيارة أجرة نحو سنترال بارك، وكأنّي أنا الآخر كنت أحلّق مهجوراً ، طافياً فوق قمّة يغطيها الثلج وأرضاً خراباً .

«لكنك لا تستطيعين . فبعد كل شيء ، ماذا عن .. طيب ، ماذا عن .. أنت لا تستطيعين حقّاً الرحيل وترك الجميع .»

«لا أظن أن أحداً سيفتقدني ؛ ليس لي أصدقاء .»

«أنا . سأفتقدك . وكذلك جو بيل ، وآه ـ ملايين ، مثل سالي . المسكين السيد توماتو.»

Twitter: @ketab_n

تنهدت قائلة : «لقد أحببت سالي العجوز .» وتنهدت وتابعت : «أتعلم أنّي لم أزره منذ شهر ؟ كان ملاكاً حين قلت له إني راحلة . *حقّاً* .» وقطّبت جبينها : «بدا *مبتهجاً* لأنّي في طريقي لمغادرة البلاد ، وقال إن ذلك أفضل شيء؛ لأنّه آجلاً أوعاجلاً ستقع المشاكل لواكتشفوا أنّي لم أكن حقّاً ابنة أخته . وهذا المحامي السمين ، أوشانيسي ، أرسل لي خمسمائة دولار ، نقداً، هدية زواج من سالي .»

أردتُ أن أكون قاسياً ؛ فقلت : «يمكنك أن تتوقعي هدية مني ، حين ، وإذا، أُقيم الزفاف .»

ضحكت : «سيتزوجني ، ويكون كل شيء على ما يُرام ، في كنيسة ، وسط عائلته هناك ؛ فلهذا السبب ننتظر حتى نصل ريو.»

«وهل يعرف أنّك على ذمّة رجل فعلاً ؟»

«ما خطبك . هل تحاول إفساد اليوم ؟ إنّه يوم جميل ؛ دعه وشأنه !»

«لكن من الممكن جداً ..»

«لا يمكن . لقد أخبرتك بأنّه لم يكن زواجاً شرعياً ، وما كان له *أن يكون*.»

حكّت أنفها ، و اختلست النظر لي ، متوعدة «وصدّقني يا عزيزي ، ساعتها سأعلقك من أطراف قدميك وأذبحك كخنزير .»

كانت الإسطبلات ـ أظن أن استوديوهات التلفاز حلّت محلها الآن ـ في شارع ويست السادس والستين . اختارت هولي لي فرساً عجوزاً أسود في أبيض مائل الظهر . «لا تخف ، هذه الفرس أكثر أماناً من مهد طفل .»

وهو ما كان في حالتي ضمانةً ضرورية ؛ لأنّ حدود خبرتي بالفروسيّة كانت قاصرة على امتطاء فرس صغيرة نظير عشرة سنتات في ملاهي الأطفال . ساعدتني هولي في رفعي لسرج الفرس ، ثمّ امتطت حصانها الفضي الّذي قادنا

Twitter: @ketab_n

فيما نتهادى عبر طرقات سنترال بارك ويست ودخولنا مساراً مُخصصاً لركوب الخيول تتناثر فوقه أوراق تهزها النسائم .

صاحت : «أرأيت ؟ إنّه أمرٌ رائع .»

وبغتة ، حدث الأمر . بغتة ، وأنا أحملق في أجمّة الألوان بشعر هولي تبرق في النور الأصفر المحمر لأوراق الشجر ، أحببتها كفاية لنسيان نفسي ، ورثائي اليائس لذاتي . صرت راضياً أنّ أمراً تظنه يسعدها في طريقه للتمام . برفق شديد، بدأ الحصانان يعدوان خبباً ، ونسّم علينا الهواء صافعاً وجهينا . غطسنا في بِرك صنعتها الشمس تارة وفي الظل تارةً أخرى ، وبهجة ، حبور الحياة ، ترتج بداخلي كطلقة نيتروجين . جرى هذا برهة ، وأطلعتنا التالية على مهزلة مروّعة .

في وقتٍ واحد ، كأعضاء بدائيين في شَرَك بالأدغال ، وثبت عُصبة من الأولاد الزنوج من الأيك المحاذي للمسار . ينعقون ويسبّون ويقذفون بالحجارة مشبعين كفلي الحصان بالسياط .

صهلت فرسي الأبيض في أسود وارتفعت على ساقيها الخلفيتين ، وترنحت كبهلوان يسير على حبل ، ثمّ رمحت عبر المسار ، مُخرجةً قدمي من الركاب ؛ لتتركني بالكاد متصلاً به . كانت حوافرها تجعل الحصى يطق شرراً . مالت السماء. مرقت أمام عينيّ بسرعة جبارة ، أشجار وبحيرة ممتلئة بمراكب شراعية للأطفال وتماثيل . هرعت مربيات لإنقاذ من يقمن برعايتهم من اقترابنا المرعب، وضجّ رجال ، مشردون وغيرهم بالصياح: أجذب العنان! و: واه .. يا رجل واه! و: أقفز . لم أتذكّر تلك الأصوات إلا لاحقاً ؛ ففي ذلك الوقت كان كل ما يشغل بالي ببساطة هو هولي . صوت ركضها خلفي الأشبه برعاة البقر ، دون أن تلحق بي أبداً ، تستحثني على التجلّد . سادراً في الركض إلى الأمام : عبر المتنزّه وإلى الخارج بالجادة الخامسة : لتفرّ الفرس فزعة أمام حركة المرور التي بلغت ذروتها بعد الظهيرة ، سيارات الأجرة والباصات التي انحرفت مصدرةً صريراً

Twitter: @ketab_n

حاداً . تجاوزت قصر ديوك ومتحف فريك وفندقي بيير وبلازا . لكن هولي كسبت السباق ، بل ما هو أكثر ، انضم رجل شرطة من الخيّالة للمطاردة: قاطعاً الطريق على فرسي ، كل منهما من جانب ، شكلا سوياً كماشة أغرت فرسي بالوقوف . ثمّ كان ، أخيراً ، أن نزلت من فوق ظهرها . نزلت والتقطت أنفاسي ووقفت هناك ، ليس تماماً حيث نزلت . احتشد الناس، ونفخ الشرطي وكتب في أوراقه : كان الآن أكثر تعاطفاً ، وابتسم قائلاً إنه سيتدبر أمر إعادة حصانينا إلى الإسطبل .

وضعتنا هولي في سيارة أجرة ، مستفسرة : «كيف تشعر الآن يا عزيزي ؟»

«بخير .»

أمسكت بمعصمي : «لكن ليس ثمّة نبض .»

«إذن فلابد وأنّي ميت .»

«لا يا مجنون . هذا خطير . أنظر إليّ .»

كانت المشكلة في عجزي عن رؤيتها ، بالأحرى كنت أرى أكثر من هولي ، ثلاثة وجوه جميلة شاهقة البياض يملؤها القلق ، أثلجت قلبي .

«بأمانة . لا أشعر بأي شيء . عدا الخجل .»

«أرجوك . هل أنت متأكد ؟ قلْ لي الحقيقة . ربما فقدت حياتك .»

«لكنني حي . وأشكرك ؛ لأنّك أنقذت حياتي . أنت رائعة . فريدة . أحبك.

«مجنون لعين .»

قبلتني على خدّي . ثمّ صارت أربعة ، وغبت عن الوعي .

❖ ❖ ❖

تصدرت صور هولي هذا المساء الطبعة المسائية من *الجورنال أميريكان*

Twitter: @ketab_n

والطبعات المبكرة من *الديلي نيوز* و*الديلي ميرور* . أهملت الدعاية مسألة الخيول وركزت اهتمامها على قضية أخرى حسبما أظهرت العناوين : **القبض على فتاة لعوب في فضيحة مخدرات** (*الجورنال أميريكان*) **القبض على ممثلة تهرّب أفيوناً** (*الديلي نيوز*) **الكشف عن عُصبة لتهريب المخدرات تقودها امرأة فاتنة** (*الديلي ميرور*) .

بين زخم الأخبار ، رافقت الأنباء أكثر الصور إثارة للدهشة : هولي ، تدخل مخفر الشرطة محشورة بين محققين مفتولي العضلات أحدهما رجل والآخر امرأة. في هذا السياق القذر ، كانت حتى ملابسها (كانت لا تزال ترتدي ملابس الفروسية ، السترة القصيرة والجينز الأزرق) تطرح صورة قاطعة طريق بغيّ : نظارة داكنة غامضة ، شعر منكوش وسيكارة بيكايوني تتدلى من شفاه عابسة لم يخفت بريقهما. كان العنوان الفرعي يقول : *هولي جولايتلي البالغة من العمر عشرين عاماً ، الممثلة الناشئة وسيدة مجتمع المقاهي الشهيرة المدعي العام يوجه لها اتهاماً بأنها الشخصية المحركة وراء عصابة تهريب مخدرات دولية متصلة بالمهرب سالفاتور «سالي» توماتو. تفاصيل . المخبران باتريك كونور وشيلاه فيزّونيتّي (من اليسار إلى اليمين) يرافقانها في مركز الشرطة بشارع 67. اقرأ التتمة صفحة 3* . كانت القصة التي أبرزت صورة رجل عينت هويته بأوليفر «الأب» أوشاونيسي (يحجب وجهه بقبعة فيدورا) تحتل ثلاثة أعمدة كاملة. أنقل هنا ، ببعض التركيز ، الفقرات الوثيقة الصلة بالموضوع: *أصيب اليوم أعضاء مجتمع المقاهي بالصدمة نتيجة القبض على الجميلة هولي جولايتلي ، الممثلة الهوليودية الناشئة البالغة من العمر عشرين عاماً التي حظيت بتغطية إعلامية هائلة بنيويورك . في نفس الوقت ، في الثانية مساءً ، اعتقلت الشرطة أوليفر أوشاونيسي ، 52 عاماً ، بفندق سيبورد ، وشارع 49، أثناء خروجه من محل هامبورج هيفن بجادة ماديسون . يواجه الاثنان اتهامات المدعي العام*

Twitter: @ketab_n

فرانك ل.دونوفان بأنها شخصيتان هامتان في حلقة تهريب دولّية للمخدرات يقودها زعيم المافيا سيء السمعة سالفاتور «سالي» توماتو، الّذي يقضي حالياً عقوبة بالسجن خمس سنوات بسينغ سينغ عن جريمة رشوة سياسية... أوشانيسي، القسيس المخلوع المعروف بشكل مختلف في دوائر عالم الجريمة بـ «الأب» و«القسيس»، له تاريخ مع الاعتقال يرجع لعام 1934، حين قضى عامين بالسجن لإدارته معهداً مُزيفاً باسم معهد رود آيلاند للصحة العقلية، الدير. الآنسة جولايتلي، والتي تخلو صحيفة سوابقها من أية جريمة، قُبض عليها في شقتها الفاخرة بالعنوان الأنيق بالجانب الشرقي.. وعلى الرغم من عدم صدور أي بيان رسمي عن مكتب المدعي العام، إلا أن مصادر مسؤولة تصر على أن الممثلة الشقراء الجميلة، الرفيقة الثابتة من فترة ليست بالطويلة للمالتيمليونير رذرفورد ترولر، قد شكّلت الصلة الوثيقة بين السجين توماتو وكبير مساعديه، أوشانيسي... يُقال إن الآنسة جولايتلي، تحت غطاء إدعائها القرابة بتوماتو، كانت تقوم بزيارات أسبوعية لسجن سينغ سينغ، وأثناء تلك الزيارات يزودها توماتو برسائل شفهية مشفرة تنقلها لأوشانيسي. وعن طريق تلك الصلة، تمكّن توماتو، الّذي يُعتقد أنّه ولد في سيفالو بصقلية عام 1874، من أن يكون صاحب اليد الطولى في عالم تهريب المخدرات دولياً وليكون على رأس القائمين بهذه الأعمال بالمكسيك وكوبا وصقلية وطنجة وطهران وداكار. غير أن مكتب المدعي العام رفض تقديم أية تفاصيل متعلقة بتلك الاتهامات أوحتى تأكيدها.. وشاية، وقد تواجد عدد كبير من المحققين الصحفيين بمركز شرطة شارع 67 لدى وصول المتهمين لاحتجازهما. وقد رفض أوشانيسي، الضخم الجثة ذوالشعر الأحمر التعليق ورفس أحد المصورين في مؤخرته. لكن الآنسة جولايتلي، الحسناء الهشّة، برغم ملابسها الشبيهة بالصبيان في سترة جلدية فضفاضة، بدت غير مبالية نسبياً، وصرحت للصحفيين :«لا يسألني

Twitter: @ketab_n

أحد عما يجري بحق الجحيم» وتابعت : «Parce-que Je ne sais pas,mes chere. (لأنّي لا أعرف يا أعزائي) ـ بلى لقد زرت سالي توماتو. أعتدت رؤيته كل أسبوع ، ما الغلط في ذلك ؟ فكلانا يؤمن بالرب نفسه !» ... ثمّ ، تحت العنوان الفرعي **اعترافات بإدمان المخدرات**: *ابتسمت الآنسة جولا يتلي عندما سألها صحفي عما إذا كانت هي نفسها تدمن المخدرات «تعاطيت الحشيش على خفيف ، ليست له نصف القوة التدميرية كالّتي للبراندي ، وهو أرخص أيضاً ، لكن لسوء الحظ أفضّل البراندي . لا ، لم يذكر السيد توماتو المخدرات أمامي أبداً . تغضبني الطريقة التي يضطهدونه بها هؤلاء الحقراء . إنّه شخص حساس، ورع . عجوز ساحر».*

ثمّة خطأ فادح بشكل استثنائي في هذا التقرير : لم يكن القبض عليها في «شقتها الفاخرة» ، بل في حمامي . كنت أنقع آلام ركوب الخيل في بانيو ماء ساخن ممزوج بالملح الإنجليزي ، وكانت هولي ، المرضة المصغيّة ، تجلس على حافة البانيو بانتظار أن تدلّكني بمرهم سلون ولفّي في الأغطية ، عندما تناهى لمسمعينا طرق على الباب الأمامي ، ولأن الباب كان مفتوحاً ، فقد صاحت هولي تدعو الطارق للدخول . كانت مدام سافيا سبانيلا ، تجرّ خلفها اثنين من المحققين بملابس مدنيّة ، أحدهما كان امرأة تعقد ضفائر شعرها الأصفر الوفير حول رأسها .

دوت مدام سبانيلا ، تقتحم الحمام مصوبة أصبعها إلى هولي ثمّ إلى عربي : «ها هي المرأة المطلوبة » . وتابعت : «أنظرا ، كم هي فاسقة .»

بدا المحقق مُرتبكاً : بسبب مدام سبانيلا وبسبب الموقف ، لكن جذلاً فظّاً كسا وجه زميلته ، التي وضعت يدها بقوة على كتف هولي ، وبصوت طفولي مفاجئ قالت : «هيا معي ، يا اختاه . سنقوم برحلة قصيرة .»

Twitter: @ketab_n

عندئذٍ قالت هولي ببرود : «إرفعي يديك الحقيرتين عني أيتها الشرطية السحاقية .» الأمر الّذي أغاظ المرأة : فصفعت هولي بكل قوتها . بكل قوتها، لدرجة جعلت رأس هولي يلتوي فوق عنقها ، وطارت زجاجة المرهم من يدها، لتتفتت فوق بلاط الأرضية ـ حيث ، فاراً من البانيو لإثراء العراك ، وقفت على أطراف أصابعي ، عارياً ، نازفاً خيطاً من آثار أقدامي الدامية ، ألاحق المعركة حتى الردهة . تدبرت هولي إعلامي فيما يسوقها المخبران إلى أسفل الدرج : «لا تنسى .. أطعم القط ، أرجوك .»

❖ ❖ ❖

طبعاً ، اعتقدت أن اللوم يقع على مدام سبانيلا : فكم من مرّة استدعت السلطات للشكوى من هولي . ولم يقع في روعي أن المسألة يمكن أن يكون لها تلك الأبعاد الرهيبة حتى ذلك المساء عندما أحضر جو بيل الصُحف ملوحاً . كان مستثاراً بدرجة أعاقته عن الكلام على نحو مدرك ، وقد ضجت الحجرة بضربات قبضتيه لبعضهما ، أثناء قراءتي للتفاصيل .

ثمّ قال : «هل تُصدّق ما يُقال ؟ هل ورطت نفسها في هذا الأعمال القذرة؟.»

«إلى حدٍ ما ، نعم .»

فرقع دواءَهُ المهدئ للمعدة في فمه ، محملقاً بي ، يمضغه وكأنه يسحق عظامي. «يا ولدي ، تلك حقارة . ومن المفترض أنّك صديقها . ياله من زيف!.»

«مهلاً . فأنا لم أقل إنها تورطت بعلمها ؛ فهي لم تكن تعرف . لكنها فعلت ما يقولونه ، حملت رسائل وما إلى ذلك ...»

قال : «لديك نظرة هادئة للأمور ، أليس كذلك ؟ حُبّاً لله ، من الممكن أن تُحكم بعشر سنوات سجن ، وربما أكثر .» وانتزع الصحف من يدي . «أنت تعرف أصدقاءها ، هؤلاء الرفاق الأثرياء . هيا نهبط إلى الحانة ونهاتفهم؛ ففتاتنا بحاجة

Twitter: @ketab_n

لمحامين أكثر براعة ؛ بدرجة تفوق قدراتي .»

كنت متقرّحاً وتشملني رعشة تعيقني عن ارتداء ملابسي بنفسي ؛ فساعدني جو بيل . وفي طريقنا عائدين لحانته ، دعمني في كشك الهاتف بمارتيني ثلاثي وكأس براندي ملؤه عملات معدنية . سوى أنّي عجزت عن التفكير فيمن أتصل به . كان خوسيه في واشنطن ، ولم تكن لدي أية فكرة عن مكان وجوده هناك . ورستي ترولر ؟ لا ، ليس ذلك الحقير ! فقط : من هم أصدقاؤها الآخرون الذين أعرفهم . ربما كانت مُحقّة حين قالت إنها بلا أصدقاء ، أصدقاء حقيقيون .

اتصلت هاتفياً بكريستفيو 6958 -5 في بيفرلي هيلز الّذي أوصلني بأو. جي.بيرمان. ردّ الشخص على الطرف الآخر قائلاً إن السيد بيرمان في جلسة تدليك ولا يمكن مقاطعته ، آسف ، حاول الاتصال لاحقاً . كان جو بيل ساخطاً ـ وقال إنه كان يجب أن أخبره أنّها مسألة حياة أو موت ، وأصرّ على أن أهاتف رستي. أولاً، تكلمت مع كبير خدم السيد ترولر ، الّذي أبلغني أن السيد والسيدة ترولر يتناولان العشاء وأنّه يمكنني تحميله رسالة ؟ فصرخ جو بيل في السماعة : الأمر مُلِح يا سِيدي . حياة أو موت . كانت المحصلة أن وجدت نفسي أتكلم وأسمع لآنفة الذكر ماج وايلدوود تسألني «هل أنت مُختل.. فأنا وزوجي سنقاضي بكل تأكيد أي واحد يحاول عقد صلة تربط اسمينا بتلك البنت السـ..ســ..ساقطة الو..و..سخة . كنت دائماً أعرف أنّها مُد..مُد ..منة مخدرات بلا أخلاق أكثر من ساقطة تمارس نزواتها . إنّ السجن هو المكان الّذي تنتمي إليه ، وزوجي يتفق معي في ذلك ألف بالمائة . سنقاضي بكل تأكيد أي واحد..» وضعت السماعة ، تذكرت دوك العجوز في تيوليب بتكساس ، لكن لا ، لن تحب هولي ذلك وستقتلني بكل تأكيد .

هاتفتُ كاليفورنيا مرة أخرى ، كانت كل الخطوط مشغولة ، وظلّت كذلك،

Twitter: @ketab_n

لكن بمرور الوقت صار بيرمان على الخط بعد أن أفرغت عدة كؤوس من المارتيني ، وسألني عن سبب مكالمتي . «عن الصبيّة ، أليس كذلك ؟ أنا على علم فعلاً بما جرى ، وقد تكلمت مع إيجّي فيتلشتاين ، وهوأفضل محام في نيويورك . قلت له أنّ يعتني بها ، وأرسل لي بفاتورة التكاليف ، لكن أجّعل اسمي مجهولاً ، فاهم . على كل ، أدين لها ببعض الأمور . ليس أنّي أدين لها بأي شيء حقّاً ، كما قد يخطر ببالك . إنّها فتاة حمقاء . متصنّعة . لكن متصنّعة حقيقية ، كما تعلم ؟ على كل ، سيطلقون سراحها بكفالة عشرة آلاف دولار . لا تقلق ، سيعود بها إيجّي الليلة ـ ولن يُدهشني أنّ تكون قد عادت الآن للبيت فعلاً .»

❖ ❖ ❖

لكنها لم تعد تلك الليلة ، ولا في الصباح حين نزلت لإطعام قطها . ولأنّي لم يكن لديّ مفتاح شقتها ؛ فقد استخدمت سلم الطوارئ ودخلت عبر النافذة. كان القط في غرفة النوم ، ولم يكن وحيداً ، بل برفقة رجل ينحني على إحدى الحقائب . كلانا فكر في الآخر على أنه لصّ منازل ، متبادلين نظرات غير مريحة أثناء عبوري الشباك . كان له وجه جميل ، وشعر مصقول . كان يشبه خوسيه ، علاوة على ذلك ، كانت الحقائب التي يحزمها تحتوي على ملابس خوسيه التي كان يحتفظ بها في شقتها ، الأحذية والحُلل التي كثيراً ما اعتنت بها ، كانت دائماً ما تُرسل للإصلاح والتنظيف . قلت ، ما لابد أنه كان الآتي .

«هل أرسلك السيد إبارّا ييجار ؟»

أجاب بابتسامة حذرة ولكنة ثقيلة : «أنا قريبه .»

«أين خوسيه ؟»

كرر السؤال كأنّه يترجمه إلى لغة أخرى ، وقال كأنه يطردني ، مستأنفاً أعماله الخدميّة . : «آه ./ين هي ! إنّها تنتظر .»

Twitter: @ketab_n

إذن ، فالدبلوماسي كان يُخطط للهرب . عجباً ! لم أندهش ، أو يراودني أي شعور بالأسف . مع ذلك ، يا لها من حيلة تفطر القلب : «يجب أنّ يُجلد قريبك بالسياط .»

قهقه ابن عمه ، كنت مُتأكداً من أنّه وعى ما قلته . أغلق الحقيبة وأبرز خطاباً.

«لقد طلب مني ابن عمي أنّ أترك تلك الرسالة لها . هل تمانع لو أوصلتها؟»

كان المُغلف مكتوباً عليه : *للآنسة هولي جولا يتلي ـ شكراً لحامله* .

جلست على فراش هولي ، أحتضن قطها ، شاعراً بنفس آلام هولي ، حتى النخاع ، وكأنها هي في هذا الموقف ، وقلت :

«نعم . سأوصلها .»

❖ ❖ ❖

وقد فعلت : دون أدنى رغبة في ذلك . لكنني لم أملك الشجاعة على تدمير الخطاب ، أو الإرادة الكافية للاحتفاظ به في جيبي حين سَأَلَتْ هولي مترددة ما إذا كنت قد صادفتني بأي شكل ، أنباء عن خوسيه . كنّا بعد صباحين من لقائي بقريب خوسيه ، وكنت أجلس بجانبها في غرفة عبقة برائحة اليود ومدافئ السرير القوية ، غرفة مستشفى قضت بها منذ ليلة القبض عليها . «حسناً يا عزيزي» رحبت بي فيما أقترب منها على أطراف أصابعي حاملاً كرتونة سجائر بيكايونيس وباقة من زهور بنفسج الخريف الجديد ، «لقد فقدت الوريث». بدت وكأنها بالثانية عشرة : شعرها الانسيابي الشاحب يسترسل على ظهرها، عيناها، اللتان لوهلة سقطت عنهما النظارة الداكنة ، صافيتان كماء المطر ـ لا يستطيع المرء تصوّر لأي درجة كانت مريضة .

مع ذلك كانت مريضة حقّاً : «يا يسوع ! كنت قاب قوسين أو أدنى من الموت . دون خداع ، كادت المرأة البدينة أن تقتلني . كانت تثرثر بإصرار قوي

Twitter: @ketab_n

كعاصفة . أظن أنّه لم تتح الفرصة مسبقاً لأحكي لك عن المرأة البدينة ، ربما لأنّي لم أعرف بأمرها أنا نفسي إلا بعد موت أخي . آنذاك ، كنت أتساءل أين ذهب، وماذا يعني أن فريد قد مات ، ثمّ رأيتها . كانت معي بالغرفة تحمل مهد فريد على ذراعها ، ساقطة بدينة خرجت من أحد كوابيسي تتأرجح في كرسي هزّاز تحتضن فريد وتضحك كفرقة آلات نحاسية . السخرية في الأمر أنّها قبل كل ذلك ، يا صديقي : تلك الممثلة الهزليّة بانتظارك لتحمّلك النقد العنيف . أرأيت الآن لماذا أصابني الجنون وصرت أحطم كل شيء ؟» .

كنت ، عدا المحامى الّذي وكّله أو. جي. بيرمان ، الزائر الوحيد الّذي سمحت له بزيارتها . شاركتها الغرفة مريضات أخريات ، ثلاث سيدات متشابهات رحن يتفحصنني باهتمام ليس فظّاً لكن شامل ، ويخمنّ هويتي بإيطالية مهموسة ، وقد شرحت هولي ذلك : «إنّهن يعتقدن أنك الرجل الّذي جعلني أحبل ، الرفيق الّذي عاشرني » ، ورداً على اقتراح بأن تفسّر لهن الحقيقة ، قالت : «مُحال. إنهنّ لا يعرفنّ الإنجليزية ، وعموماً لا أريد إفساد متعتهنّ» ثمّ سألتني عن خوسيه .

فور أن رأت الخطاب ، ضاقت عيناها وزمّت شفتيها بابتسامة صغيرة صارمة جعلت عمرها عسيراً على التحديد . ثمّ قالت تطلب مني : «عزيزي ، هل تفتح هذا الدُرج هناك وتناولني حقيبتي . إنّ فتاة مثلي لا يمكنها قراءة مثل تلك الرسائل دون أنّ تصبغ شفتيها» .

تبرّجت مسترشدة بمرآة مدمجة ، صابغة كل ركن بوجهها ذي الاثنتي عشرة سنة. حددت شفتيها بأنبوب ولونت خديها من آخر . كحّلت حواف جفنيها وصبغت البقية باللون الأزرق ، ثمّ رشّت عنقها بعطر 4711 ، علّقت حلق لؤلؤ بأذنيها واتخذت نظارتها الداكنة. تدرّعت إذن ، وبعد تقييم كُله استياء لحال تقليم أظافرها المزرية ، شقّت الخطاب تفتحه وتركت عينيها تجري فوق

Twitter: @ketab_n

سطورها فيما كانت ابتسامتها الحجرية تتصاغر وتقسو. في النهاية طلبت مني سيجارة بيكايوني ، سحبت نفساً : «مذاقها مروّع ، لكنه سماوي»، ورمت الخطاب صوبي :«ربما يفيدك هذا ـ إذا رغبت بكتابة قصة رومانسية رديئة . لا تكن خنزيراً واقرأه عالياً . أريد أن أسمعه بنفسي » .

كان يبدأ بـ : «صغيرتي العزيزة ... » .

قاطعتني هولي فورا ، كانت تريد أن تعرف رأيي في خط يده ، وكانت فكرتي عادية : خط معتدل واضح جداً مُحكم . قالت تؤكد : «إنّه هو حقّاً . مُتأنق لدرجة الإصابة بالإمساك ..استمرْ» .

«صغيرتي العزيزة ، كنت أحب فيك اختلافك عن الأخريات . لكن تصوّري كَمّ اليأس الّذي أصابني لدى اكتشافي بتلك الطريقة القاسية والمشاع مقدار التباين الكبير بينك وبين المرأة التي يطمح رجل له مثل إيماني ووظيفتي أن تصير زوجة له . من غير ريب ، حزنت للخزي الّذي يحيط بظرفك الحالي ، ولم يطاوعني قلبي بإضفاء المزيد من إداناتي للإدانات الملمّة بك بالفعل . لذا ؛ فأنا أرجوألا تدينيني أنا الآخر أيضاً . لدي عائلة يجب عليّ حمايتها ، فضلاً عن اسمي ، وأعترف بجبني حيال أي شيء يزج بتلك الأمور . إنسني أيتها الطفلة الجميلة . لم أعد هنا ؛ فقد عدت للديار . لكني أدعوالله أن يرعاك أنت وطفلك. عسى أن يكون الله أرحم بك مني ـ خوسيه » .

«حسناً ؟»

«بشكلٍ ما يبدوصادقاً تماماً . بل ربما يمس المشاعر .»

«يمس *المشاعر* ؟ هذا سقط المتاع المُزيّف .»

«لكن عموماً ، هو يعترف بجبنه . ومن منظوره للأمور ، ينبغي أن تفهمي...»

كانت هولي ، مع ذلك ، لا ترغب بالاعتراف بتفهمها ، رغم أن ملامحها،

Twitter: @ketab_n

خلف تخفّيها وراء قشرة من مساحيق التجميل ، قد فضحتها . «لا بأس ، ليس فأراً بلا سبب ، فأر بالحجم العائلي ، فأر بحجم كينج كونج مثل رستي وبيني شاكليت . لكن ويحك يا هولي ...» قرنت كلامها بحشو قبضتها في فمها كرضيع يصرخ : «لقد/حببته . الجرذ».

تخيلت النسوة الإيطاليات الثلاث أنهنّ يشهدن *أزمة* عاشقة ، وصببن لومهن حيث شعرن بأنّه يستحقه ، وبدا استهجانهن واضحاً لي . كنت مشبعاً بالرضا : مبتهجاً أنّ أحداً ظن أن هولي تهتم بأمري . هدأت عندما عرضت عليها سيجارة أخرى، وابتلعت ريقها ثمّ قالت : «ليباركك الرب أيها الغلام ، وليباركك لكونك ذلك الفارس الرديء . لو لم أُصرّ على لعب دور كالاميطي جين* لكنت الآن قابعة في بيت ماما لغير المتزوجات . تمرين شاق ، وقد أوفى بالغرض . لكنني خشيت الخراء La merde الخارج من المخفر لدى قولي إن إجهاضي كان بسبب صفع الآنسة دايكرو لي . بلى يا سيدي ، بمقدوري مقاضاتهم بالكثير من التُهم ، بما في ذلك الاعتقال الخطأ» .

حتى تلك اللحظة ، كنّا نتحاشى ذكر أكثر محنها شرّاً ، وهذه الإشارة المازحة لها بدت مروّعة ، ومثيرة للأسى ، وكشفت بشكل لا ريب فيه عجزها عن إدراك الحقائق الكئيبة المحدقة بها . قلت : «الآن يا هولي» مفكّراً : كُن قوياً ، ناضجاً وناصحاً . «الآن يا هولي . نحن لا نقدر على التعاطي مع الأمر كمزحة . لابد أن نحتاط .»

«لا زلت صغيراً جداً على الفساد ، وضعيفاً كذلك . بالمناسبة ، هذا شيء الا يخصك» .

«لا شيء . عدا صداقتي لك ، وأشعر بالقلق . أقصد حيال معرفتي ما تنوينه.»

---

* إحدى فتيات الغرب الأمريكي في أفلام رعاة البقر .

Twitter: @ketab_n

حكّت أنفها وحدّقت بالسقف، وقالت: «اليوم الأربعاء، أليس كذلك؟ لذا أفترض أنّي سأنام حتى السبت، *نوماً* عميقاً حقّاً. صباح السبت سأفرّ للمصرف، ثمّ سأتوقف بالشقّة لالتقاط ثوب للنوم أواثنين وطاقم الحلي الأنيقة. ثمّ إلى مطار أيدلوايد، حيث، كما تعلم جيداً، لدي حجز ممتاز على متن طائرة بالدرجة الأولى. ولأنّك صديق فسأدعك تلوّح لي. *أرجوك* كفّ عن هزّ رأسك.»

«هولي. هولي. لا يمكنك فعل ذلك.»

«Et pourquoi pas? ـ ولِـمَ لا؟ ـ لن أحفى وراء خوسيه، إذا كان هذا ما تفكر فيه؛ وحسب تقديري، فهومواطن عالمي تام. كل ما في الأمر: لماذا أهدر تذكرة رائعة؟ مدفوعة فعلاً؟ فضلاً عن أنّي لم تسبق لي زيارة البرازيل أبداً.»

«لكن... أي نوع من الحبوب يعطونها لك هنا؟ ألا تدركين أنّك تواجهين اتهاماً جنائياً، وأنهم إذا ما اكتشفوا أنّك تتخطين الكفالة، سيزجون بك بالسجن ويلقون بالمفتاح. وحتى لونجحت في الهروب؛ فلن تتمكني من العودة للديار مرة أخرى أبداً.»

«هكذا إذن، إنّه أمرٌ بغيض. لكن عموماً، الوطن حيث تشعر بأنّك في الوطن. وأنا لا زلت أفتش.»

«لا يا هولي، هذه حماقة. أنت بريئة، ويجب أن تبرهني على تلك البراءة.»

قالت: «مرحى، مرحى» ونفخت دخان سيجارتها في وجهي. كان حديثنا قد خلّف في نفسها انطباعا قوياً، مع ذلك، اتسعت عيناها برؤى حزينة وكأنها عيناي أنا: حجرات من صفيح، أروقة فولاذية بأبواب تنغلق الواحد تلوالآخر. «أوه.. دعك من هذا.» دسّت سيجارتها بين شفتيها، وتابعت: «لديّ فرصة معقولة/*لا يمسكوا* بي، بشرط أن تغلق فمك Bouche Fermez.

Twitter: @ketab_n

أنظرْ، لا تستخف بي، يا عزيزي...» وضعت يدها فوق يدي وضغطتها بصدق هائل مفاجئ، وتابعت: «ليست لديّ خيارات كثيرة. لقد تحدثت بشأن ذلك مع المحامي: آه، لم أخبره شيئاً عن ريو. إنه مستعد لدفع بقشيش للشرطيين بدلاً من أنّ يفقد أتعابه، ناهيك عن السنتات التي عرضها أو.جي. للكفالة. نعم القلب قلب أو.جي، سوى أنّي أعنته مرّة بالساحل الغربي على الفوز بأكثر من عشرة آلاف دولار بلعبة بوكر واحدة: صرنا متعادلين. كلا، سأفاجئك: جُلّ ما يريده الشرطيون مني هواغتصابين مجانيين وخدماتي كشاهدة إدعاء ضد سالي - لا يعتزم أحد مقاضاتي؛ فليس هناك شبح قضية. حسناً، يجوز أنّي عفنة حتى النخاع، شاذة، لكن: الشهادة ضد صديق هوما لن أفعله، إلا لو أثبتوا أنّه خدّر الراهبة كينّي*. المحك عندي كيف يعاملني المرء، وسالي العجوز، صحيح أنّ أياديه لم تكن دائماً بيضاء معي، قُل إنّه استغلني بدرجة طفيفة، لا يُعقل أن يصير المقابل هو تقديم سالي للإعدام، كنت أرجوأن تختطفني المرأة البدينة عاجلاً على أن أساعد رجال القانون على تعليقه.»

أمالت مرآتها المدمجة فوق وجهها، وراحت تصقل أصبع أحمر الشفاه بخنصر مُنْحَن، وقالت: «وبصراحة، ليس هذا كل ما في الأمر. بعض الظلال من النور الوهّاج يخرّب مظهر أي فتاة. وحتى لومنحني المحلّفون ميدالية القلب الأرجواني؛ فليس لتلك الجيرة مستقبل: فهم موجودون بكل مكان من لارو إلى بار بيرونا وغريلّ - صدقني، سأصير منبوذة شأني كشأن السيد فرانك إ.كامبل**. لوكنت قد تعيّشت من مواهب كمواهبي يا كوكي؛ إذن لفهمت

---

* فاعلة خير شهيرة خدمت كممرضة أثناء الحرب العالمية الأولى، نالت شهرتها بعد اكتشافها علاجاً ناجعاً لمرض شلل الأطفال.

** Frank E.campbell: مؤسس لوكالة خاصة بإجراءات الدفن ومراسمه، في شارع ماديسون في مانهاتن، منذ العام 1898.

Twitter: @ketab_n

نوع الإفلاس الّذي أصفه . آه ، آه ، لست مولعةً فحسب بزوال أجد نفسي عبره أتاجر بعِرضي بأنحاء روزلاند برفقة الريفيين بالجهة الغربية ، في الوقت الّذي تتبختر فيه سعادة مدام ترولر بغمدها دخولاً وخروجاً من متجر تيفاني . لن أتحمل ذلك . أفضل لي أن تنال مني المرأة البدينة .»

أطلعتنا ممرضة ، خفّت إلى حجرتنا ، بأن ساعات الزيارة قد انتهت . راحت هولي تتذمّر ، لكنها بترت تذمرها حين حشرت الممرضة ميزان حرارة في فمها . سوى أنّها لم تمنع نفسها أثناء رحيلي عن أن تقول: «اصنع لي معروفاً يا عزيزي . اتصل *بالتايمز* أو أي صحيفة أخرى وأحصل لي على قائمة بأغنى خمسين رجلاً في البرازيل . لا أمزح . أغنى خمسين : لا يهم العِرق أو اللون . معروف آخر ، نقّب بأنحاء الشقّة حتى تعثر على تلك الميدالية التي أهديتها لي ، ميدالية سانت كريستوفر ؛ سأحتاج إليها في رحلتي .»

❖ ❖ ❖

كانت السماء حمراء ليلة الجمعة ، أرعدت ، ويوم السبت ، يوم الرحيل، ترنحت المدينة تحت أمطار شديدة كأنّها عاصفة ، إلى درجة ربما ترى معها أسماك قرش سابحة خلال الهواء ؛ الأمر الّذي جعل من غير المرجح أن تستطيع طائرة النفاذ عبره .

لكـن هولي ، متجاهلة قناعتي المنشرحة بأن رحلتها ستلغى ، واصلت توضيباتها ـ مُزيحة عبئها الأكبر ، من الضروري البوح بذلك ، عن عاتقها إلى كاهلي ؛ لسبب بسيط هوأنها رأت أنّه من غير الحكمة أن تظهر بالقرب من البراونستون . وهوما كانت مُحقّة بشأنه ، أيضاً : كانت ترزح تحت نير المراقبة، سواء الشرطة أوالصحفيون أوطغمة المهتمين الآخرين ممن لا يعلمهم المرء ـ ببساطة هناك رجل ، وأحياناً رجال ، يتحلقون في الأرجاء . وهكذا خرجت من المستشفى لمصرف ثمّ إلى حانة جو بيل مباشرة . «إنّها لا تعي أنّها مُراقبة .»

Twitter: @ketab_n

باح لي جو بيل حين جاء إليّ يحمل رسالة من هولي مفادها رغبتها لقائي هناك بأسرع وقت ممكن ، خلال نصف ساعة على الأكثر ، ومعي «حُليّها . قيثارتها . فرشاة أسنانها وأمتعة . وزجاجة براندي مُعتقة عمرها مائة عام : تقول إنك ستعثر عليها مُخبأة في قاع سلّة الملابس الوسخة . آه ، والقط. تريد القط . لكن تبّاً .» وتابع : «لا أعلم ما إذا كان ينبغي علينا مساعدتها في ذلك من الأصل . لابد أن نحميها من نفسها . بالنسبة لي ، أشعر برغبة في إبلاغ الشرطة. يجوز لوعدت وأعددتُ لها تركيبة خمور ، ربما أستطيع جعلها مخمورة كفاية لإلغاء فكرة السفر . »

تدبرت مُتعثراً ، مُتدحرجاً فوق وتحت وعبر دَرَج الطوارئ بين شقّة هولي وشقّتي ، أتأرجح في مهب الريح مُبللاً حتى النخاع (بخدوش ثخينة أيضاً؛ لأن القط لم يحبذ هذا الإجلاء ، خصوصاً في مثل هذا الطقس العاصف) عملية تجميع سريعة من الطراز الأول لأمتعتها اللازمة للسفر . حتى ميدالية سانت كريستوفر وجدتها . كدّست كل شيء في أرضية حجرتي ، هرم مُثير من حَمّالات الصدر وأحذية الرقص الخفيفة وأغراض جميلة حزمتها في حقيبة هولي الوحيدة. كانت ثمّة فوضى مُتبقية لابد أن أضعها في أكياس البقالة الورقية ، وقد عجزت عن التفكير في الكيفية التي أحمل بها القط ، حتى خطرت بعقلي فكرة أن أحشوه داخل أحد أكياس المخدات .

ناهيك عن السبب ، لكن ذات مرّة مشيت من نيوأورليانز إلى نانسيز لاندنج بالميسيسيبي ، أقل قليلاً من خمسمائة ميل . كانت تجربة لاهية تُبهج القلب مقارنة بالرحلة لحانة جو بيل . امتلأ القيثار بالمطر ، مطرَ شبَّع الأكياس الورقية التي تهرأت لينسكب العطر فوق الرصيف، وتتدحرج لآلئ في بالوعة : في الوقت الّذي كانت فيه الرياح تتدافع. والقط يخربش ، صرخ القط ـ لكن الأسوأ ، كان

Twitter: @ketab_n

خوفي ، جبن يشبه ما أحس به خوسيه: أن هذه الشوارع العاصفة تراءت وهي تعج بحضور غير مرئي ينتظر الإيقاع بي في الشرك ، واعتقالي بتهمة مدّ يد العون لخارجة على القانون .

قالت الخارجة على القانون : «لقد تأخرت يا فتى . هل أحضرت البراندي؟»

أما القط ، فقد أنطلق ووثب وقعد فوق كتفها : مؤرجحاً ذيله كأنه عصا تؤدي موسيقى عاطفية . تراءت هولي ، هي الأخرى ، مسكونة برجيع لحن مرح يتمنى رحلة سعيدة bon voyage . قالت وهي تنزع فلينة البراندي . «كان من المُفترض أن تكون تلك الزجاجة جزءاً من صندوق زفافي . كانت فكرتي أن نرتشف منها جرعة كبيرة كل عام يمر على زواجنا . حمداً لله أنّي لم أشترِ الصندوق أبداً . سيد بيل ، وأنت يا سيدي ، هيّا إلى ثلاثة كؤوس .»

ردّ بيل : «لن تحتاجي سوى لاثنين ؛ فلن أشرب نخب حماقتك .»

كان ، كلما تملّقته أكثر : «آه ، سيد بيلّ . لا ترحل السيدة كل يوم ، ألن تشرب نخبها ؟» يزداد فظاظة : «لن أشارك في هذا الأمر أبداً . لوكنت في طريقك للجحيم ، فهذا جراء تفكيرك وحدك ، بلا أدنى عون زيادة منّي .» كانت عبارة جافتها الدّقة : ما هي إلا ثوان لاحقة إلا وكان قد تدبّر لها سيارة ليموزين بسائق تنتظر خارج الحانة ، وهولي ، أول من لاحظها ، وضعت كأسها، مقوسة حاجبيها كأنها تنتظر رؤية المدعي العام شخصياً يترجل . كذلك أنا . وحين رأيت وجه جو بيل يحمر خجلاً ، كان لابد أن أفكر أنّه : يا الله ، قد اتصل بالشرطة . لكن سرعان ما أعلن بآذان متقدة . «هوني عليك . إنها إحدى سيارات كاري كاديلاك. استأجرتها لتقلّك إلى المطار .» وأدار ظهره لنا ليعبث بواحدة من ترتيبات زهوره . قالت هولي : «عزيزي السيد بيلّ الكريم . أنظر لي يا سيدي .»

Twitter: @ketab_n

لم يفعل ، وبدلاً من ذلك انتزع الزهور من المزهرية ودفع بها إليها ، فقدت تنسيقها وتبعثرت على الأرض . «مع السلامة» قال ، وكأنّه سيتقيأ ، هرع لحمام الرجال ، وسمعنا الباب ينغلق .

كان سائق الليموزين نموذجاً للاحتراف . قبل متاعنا الفوضوي بتهذيب خالص وظلّ وجهه خالياً من التعبير ، حين ، أثناء تعديل الليمومسارها لخارج المدينة عبر مطر يخفّ انهماره ، خلعت هولي ثيابها ، ثياب ركوب الخيل التي لم تجد الفرصة أبداً لاستبدالها ، وكافحت لتحشر جسدها داخل ثوب أسود ضيق . لم نتكلم : فلن يؤدي كلامنا إلا إلى شجار . كذلك ، بدت هولي مشغولة البال بشكل يتعذر معه الكلام . دندنت لنفسها ، جرعت البراندي ، مالت بجذعها للأمام على نحو متواصل لتمعن النظر بالنوافذ كأنها تتصيد عنواناً ـ أو ، كما ارتأيت ، تسجل انطباعات أخيرة لمشهد رغبت في تذكّره . لكنها خالفت ظنوني ؛ فقد طلبت من السائق التوقف ، وخرجنا إلى حافة شارع في حي هارلم الأسباني . حي متوحّش ، مبهرج ، مُتقلّب تكلل جدرانه أفيشات لنجوم الأفلام والعائلة المُقدسة . ممشى تغطيه قشور الفاكهة وصحيفة بالية تتقاذفها ريح لا زالت تهدر ، رغم أن المطر هدأ وفجّت زُرقة بالسماء بعدة أماكن .

ترجلت هولي من السيارة ، مصطحبة القط . هدهدته ومسحت على رأسه وسألته : «ما رأيك ؟ لابد وأن هذا هو أنسب مكان لذكر خشن مثلك. صفائح قمامة. فئران وفيرة . كثرة من القطط المُشردة تكفي لتكوين عصابة . هيا ، أذهب.» وأردفت كلامها بإطلاق سراحه . وعندما تسمّر في مكانه ، رافعاً وجه قاطعاً الطريق مُستفهماً منها بعيني قرصان صفراوين ، ضربت الأرض بقدميها : «قلت أذهب واغلبهم » تمسّح بقدميها ، فهتفت : «قلت أغرب عني » ثمّ قفزت عائدة للسيارة ، صافقة الباب ، و.. : «هيا ـ تقول للسائق ـ هيا ..هيا..»

Twitter: @ketab_n

كنت منذهلاً : «عجباً ،أنت .أنت فاسقة .»

عبرنا مُربعاً سكنياً قبل أن ترد .«قلت لك إننا التقينا فحسب بجانب النهر يوماً ما : هذا كل ما في الأمر . كلانا مُستقل ، ولم يعد منّا الآخر أبداً . لم ..» اختنق صوتها ، وأسر وجهها الّذي تقلص لا إرادياً شحوب مريض . كانت السيارة قد توقفت أمام إشارة المرور الضوئية ؛ ففتحت هولي الباب ، وركضت عائدة إلى الشارع ، وجريت خلفها .

لكن القط لم يكن في الركن حيث تركته . كان الشارع خالياً ، عدا سِكّير يبول وراهبتين زنجيتين تسوقان طابوراً من الأطفال يغنون أغاني جميلة ، وقد برز أطفال آخرون من عتبات البيوت واتكأت السيدات على أفاريز شبابيكهن لمشاهدة الطابور . اندفعت هولي بأرجاء المربع السكني ، تجري جيئة وذهاباً ، مرددة : «أنت. قطي . أين أنت ؟ هنا ، يا قطي . » واصلت بحثها حتى جاء صبي نحيل متورم يعلق قطاً عجوزاً من مؤخرة عنقه : «تريدين قطّاً لطيفاً يا آنسة ؟ هاتِ دولاراً .»

لحقت بنا الليموزين . أسلمتني هولي الآن قيادها صوب السيارة . عند الباب، ترددت ، نظرت خلفي ، وراء الصبي الّذي لا يزال يعرض قطّه (نصف دولار. ربع دولار ، ربما ؟ ربع دولار ، ليس مبلغاً كبيراً) ارتعدت ، كان عليها أن تقبض على ساعدي لتحافظ على قامتها منتصبة :«آه ، يا إلهي . كلانا كان يخصّ الآخر. لقد كان لي » .

قطعت لها وعداً ، قلت إنني سأعود لأفتش عن قطها : «سأعتني به أيضاً ، أعدك .» ابتسمت : تلك الابتسامة المسروقة الحزينة ، قالت هامسة :«لكن ماذا عني؟» .عادت ترتجف : «أنا جد خائفة يا غلام . بلى ، أخيراً . لأنّ الأمر يمكن أن يستمر للأبد . لن تعرف أبداً ما هولك حتى تفقده . النوبات الحمراء ، إنّها

Twitter: @ketab_n

لا شيء . المرأة البدينة ، نكرة . هذا ، مع ذلك ، فمي جد جاف ، لوأنّ حياتي اعتمدت عليه ما استطعت لفظه .» دلفت داخل السيارة ، غاصت في المقعد وقالت : «معذرة أيها السائق . هيا نرحل .»

❖ ❖ ❖

اختفاء صديقة توماتو. و: شكوك بأن الممثلة المتورطة في قضية المُخدرات قد راحت ضحية عصابات التهريب . وفي الوقت المناسب ، مع ذلك ، نشرت الصحافة : **تعقّب الفتاة اللعوب الهاربة إلى مدينة ريو.** بدا جليّاً أن السلطات الأمريكية لم تبذل جهداً يُذكر من أجل استعادتها ، وسرعان ما تضاءلت المسألة لمحض إشارات عابرة بأعمدة الثرثرة الصحفية أحياناً ، وكقصة إخبارية عادت إليها الحياة مرة واحدة : يوم عيد الميلاد ، عندما لقي سالي توماتو حتفه جراء سكتة قلبية بسجن سينغ سينغ . مرت شهور وجاء الشتاء دون كلمة من هولي. باع مالك البراونستون ممتلكاتها المهجورة ، سريرها المفروش بالحرير الأبيض المصقول ، النسيج المُطرّز ، كرسيها القوطي النفيس ، وحصل مستأجر جديد على الشقّة ، كان اسمه كوينتنس سميث ، وقد رفّه عن كثير من زائريه الرجال ذوي الطبيعة الصاخبة كما كانت تفعل هولي دائماً ـ عدا أنّه في حالته لم تعترض مدام سبانيلا ، بل شغفت بالشاب وكانت تزوده بشرائح لحم البقر كلما تورمت عيناه . لكن في الربيع جاءتني بطاقة بريدية : مكتوبة بالقلم الرصاص ، وممهورة بإمضاء شفتيها المصبوغتين : *كانت البرازيل بغيضة لكن بيونس أيرس الأفضل. ليست مثل تيفاني تماماً ، لكن تقريباً . أنا في كنف دوفين سينور. مع حبي ؟ أعتقد ذلك . على أية حال ، أبحث عن مكان مناسب أسكن فيه (لدى سينور زوجة، وسبعة أطفال) وسأعرّفك بعنواني حين أعرفه أنا أولاً . أرق تحياتي* *Mille tendresse* . سوى أن العنوان ، لو كان موجوداً حقّاً ، لم يصل أبداً ، ما أحزنني؛ فثمّة الكثير الّذي أرغب في كتابته لها : أنّني بعتُ قصتين ، وأنّني

Twitter: @ketab_n

قرأت أن آل ترولر أقاما دعاوى قضائية كل منهما ضد الآخر من أجل الطلاق ، وأنّني تركت البراونستون لأنّه صار مأوى للمخبولين . لكن في الغالب ، كنت أرغب في إخبارها عن القط . لقد حافظت على وعدي ، ووجدته. استغرق العثور عليه أسابيع من التجوال في ساعات ما بعد دوام العمل بين شوارع هارلم الإسباني، كانت ثمّة الكثير من الإنذارات الكاذبة ـ ومضات من النمور مخططة الفراء، تبيّن عند التدقيق ، أنها ليست هو. لكن يوما ماً ، في أصيل شتائي يوم أحد مشمس تسري فيه برودة خفيفة ، رأيته . كان مُحاطاً بأصص النباتات ومؤطراً بستائر دانتيلا نظيفة ، جالساً في شباك حجرة تبدودافئة : تساءلت أي الأسماء اكتسب؛ لأنّني كنت موقناً أنّه حصل على واحد ، وأنّه بلغ مكاناً ينتمي إليه ، كوخاً أفريقياً أوأياً ما كان ، أرجوأن تبلغه هولي ، هي الأخرى .

Twitter: @ketab_n

لابد وأنّ أوتيلي هي أسعد بنت في بورتوبرنس. وكما قالت لها بيبي ، أنظري لكل ما يمكن وضعه في رصيدك ، مثل ماذا ؟ قالت أوتيلي ؛ بسبب من زهوّها وتفضيلها الإطراء على لحم الخنزير أو العِطر . مثل طلّتكِ ، أفصحت بيبي : لديكِ بشرة فاتحة مُحببة ، وحتى عينيك أقرب ما تكون للزُرقة ، وهذا الوجه الحلو ـ لا توجد بنت على الطريق تباريك في ثبات زبائنها ، وكل واحد منهم مُستعد لأن يشتري لك كل البيرة التي تقدرين على شربها . سلّمت أوتيلي بصحّة ذلك وبابتسامة راحت تُجمِل ثرواتها : لديّ خمسة فساتين حرير وزوجان من الأحذية الساتان الأخضر ، لديّ ثلاثة أسنان ذهبيّة تساوي ثلاثين ألف فرنك ، وقد يهديني السيد جيميسون أوغيره سواراً آخر . لكن يا بيبي ، وتنهدت، دون أن تتمكّن من التعبير عن استيائها .

كانت بيبي أقرب صديقاتها ، ولديها صديقة أخرى أيضاً : روسيتا . كانت بيبي تشبه عجلة ، مدوّرة وتتدحرج وقد خلّفت خواتم خردة دوائر خضراء حول العديد من أصابعها السمينة ، وأسنانها غامقة مثل جذوع أشجار مُحترقة، وحين تضحك يمكنك سماعها عند البحر ، على الأقل إدّعى البحارة ذلك . أمّا روسيتا ، صديقتها الأخرى ، فكانت أطول من أغلب الرجال ، وأقوى، تتبختر بالليل بين الزبائن ، وتلثغ بدلع سخيف ، لكن بالنهار تمشي بخطى واسعة وتتكلّم بنبرة عسكرية خُشنة . الصديقتان من جمهورية الدومينيكان،

Twitter: @ketab_n

وهو ما يعتبرانه سبباً كافياً ليشعرا بنفسيهما في مستوى أعلى من مواطني هذه البلاد المُغبشة ، ولم يهمهما أن أوتيلي نفسها مواطنة محليّة . صارحتها بيبي: لديك عقل ، والمؤكد أن ما شغفت به بيبي هو عَقْل جيد ، ولطالما خشيت أوتيلي أن تكتشف صديقتاها أنّها لا تقرأ ولا تكتب .

كان البيت الّذي يسكنه ويشتغلن فيه مترنّحاً ونحيلاً كبرج كنيسة ، كساه الصقيع الهشّ واعترشت شرفاته البوغَنْفيليّة ، ورغم غياب أي إشارة خارج البيت إلا أنّه عُرِف بالشانزلزيه . كانت المالكة ، العانس المُقعدة منطفئة الطلّة ، تدير البيت من حجرة بالطابق العلوي ، حيث قبعت حبيسة تتأرجح في كرسي هزّاز تجرع من عشرة لعشرين زجاجة كوكاكولا يومياً . جميعهنّ محسوبات ، لديها ثماني سيدات تشتغلنّ لأجلها ، وعدا أوتيلي فجميعهن تجاوزن الثلاثين. في المساء ، حين تلتمّ السيدات في الشرفة حيث يدردشن ويتباهين برسائل المُغرمين التي تلمع في الهواء كفراشات هذيانة ، تبدو أوتيلي طفلة حالمة مُبهجة مُحاطة بشقيقاتها الأقبح والأكبر سنّاً .

ماتت أمّها وكان أبوها مُزارعاً عاد إلى فرنسا ، فتربّت في الجبال في معيّة عائلة ريفية خشنة . ضاجعها كل أولادها في سن مُبكّرة في مكان ما ظليل تكسوه الخُضرة . قبل ثلاث سنوات ، حين كانت في الرابعة عشرة ، نزلت للمرّة الأولى إلى سوق بورتوبرنس . كانت رحلة لمدة يومين وليلة مشت خلالها تحمل كيساً يزن عشرة أرطال من الحبوب ، ولتسهيل الحمولة سمحت لقليل من الحبوب بالتسرُّب ، ثمّ للمزيد ، وبمرور الوقت بلغت السوق وقد فرغ الكيس تقريباً. بكت أوتيلي عندما تخيّلت ما سيكون عليه غضب العائلة حين ترجع للبيت دون المال ثمن الحبوب ، سوى أن تلك الدموع لم تدم طويلاً : حين ساعدها هذا الرجل اللطيف المرح على تجفيفها ، أشترى لها شريحة جوز هند وأصطحبها لرؤية إبنة عمّه التي كانت مالكة الشانزلزيه . لم تقدر أوتيلي على تصديق حظّها

Twitter: @ketab_n

الطيب ، الفونوغراف وأحذية الساتان ورجال مازحون بغرابة وإدهاش ، المصباح الكهربائي في حجرتها ، الّذي لم تكلّ أبداً من تشغيله وإطفائه. وسرعان ما صارت البنت حديث الجميع وكان في استطاعة المالكة طلب مقابل مضاعف عنها . وكبرت أوتيلي معجبة بنفسها تقف لساعات أمام مرآة ، ونادراً ما فكّرت في الجبال ، ومع ذلك ، بعد ثلاث سنوات ، لا تزال كثرة من الجبال برفقتها : رياحها بدت وكأنها لا زالت تهب حولها ، لم تلن قسوتها ولا كفلاها العاليان ولا أخمصا قدميها الخشنين كجلد سحليّة .

في ثرثرة صديقتيها عن الحُبّ وعن الرجال الّذين أحببنهن ، تصير أوتيلي عابسة وتسأل : «ما هوإحساس المرء حين يكون عاشقاً ؟» . آه ، تتنهّد روسيتا بعينين منتشيتين ، كأنّ فلفلاً مرشوشاً على قلبك أوسمكة صغيرة تسبح في وريدك . هزّت أوتيلي رأسها ؛ فلو أن ما تقوله روسيتا هوالحقيقة ، إذن فهي لم تعرف الحبّ أبداً ؛ لأنّ تلك المشاعر لم تعرف طريقها إليها مع أي من هؤلاء الرجال الّذين جاءوا للبيت .

أقلقها الأمر للدرجة التي اضطرّت معها في النهاية لزيارة كاهن هونغان❖ يقطن أعلى التلال المطلّة على البلدة . كانت أوتيلي بخلاف صديقتيها لا تثبّت أيقونات مسيحيّة بمسامير على حيطان حجرتها ، كانت لا تؤمن بالله ، لكن بأرباب شتى : رَبٌّ للطعام وآخر للنور وثالث للموت والخراب . كان الهونغان على اتصال بأولئك الأرباب ، يحتفظ بأسرارها داخل هيكله ، ويستطيع سماع أصواتها في خشخشة يقطينة وأن يؤلّف من قوتها جرعة . زودها الهونغان بهذه الرسالة بعد كلامه مباشرة مع الأرباب : من الضروري أن تمسكي بنحلة بريّة

❖ Houngan : مصطلح يُطلق على الكاهن في ديانة الفودو المنتشرة في جزر الكاريبي ، في مقابل المامبو Mambo للخوريّة ، و المصطلح مشتقّ من كلمة nganga في لغة البانتو و التي تعني المعالج الروحاني أو جامع الأعشاب(المترجم) .

Twitter: @ketab_n

وتطبقي عليها كفيك... لو لم تلسعك النحلة ، ستعلمين أنك عرفت الحبّ .

فكّرت في السيد جيميسون في طريق عودتها للبيت . كان قد تجاوز الخمسين، أمريكي مرتبط بمشروع هندسي ، وكانت الأساور الذهبية التي تصطك حول معصميها هدايا منه ، وهكذا تعجّبت أوتيلي وهي تمر بسياج كساه بياض شُجيرة صَرِيمة الجدى الغنية بالرّحيق ، ما إذا كانت مع كل ذلك لا تُحبّ السيد جيميسون . نحلات سوداء زينت شُجيرة الصَرِيمة ، اصطادت بهجمة جسورة من يدها نحلة ناعسة ، كانت لسعتها كعاصفة ضربتها لركبتيها فجثت تبكي حتى صار من العسير معرفة ما إذا كانت النحلة قد لسعتها في يدها أم في عينيها.

❖ ❖ ❖

كنّا في آذار/ مارس، وكانت الأمور تجري صوب عمل كرنفال. في الشانزلزيه، راحت السيدات تخيط ثيابهن دون أن تشاركهن أوتيلي ؛ لأنّها كانت قد عزمت ألا تلبس شيئاً مميزاً على الإطلاق . وفي نهايات أسبوع الاحتفالات ، حين علت أصوات الطبول تحت القمر الطالع ، جلست في شباكها ورَنَت بعقل تائه صوب مغنيّ الفرق الموسيقية المتواضعة يرقصون وينقرون طبولهم على طول الطريق. أنصتت للصفير والضحك دون أن تشعر برغبة في اللحاق بهم . إنّ المرء ليظن أنّ عمرك ألف سنة ، قالت بيبي ، وأردفت روسيتا : «أوتيلي ، لماذا لا تأتين معنا لتشاهدي مصارعة الديكة ؟» .

لم تكن تتكلّم عن مصارعة ديكة عادية ؛ فقد جاء المتبارون من كل أرجاء الجزيرة برفقة أشرس ديوكهم ، وقد فكرت أوتيلي أنّها ربما تذهب هي الأخرى، وبرمت زوجاً من الحلقان اللؤلؤ في أذنيها . كان العرض حال وصولهم قد بدأ ، وارتفع لهاث وصياح حشد بحجم البحر داخل خيمة كبيرة ، أمّا الحشد الثاني الّذي فشل في الدخول ؛ فقد تزاحم في الخارج . الدخول لم يمثّل مشكلة للسيدات

Twitter: @ketab_n

من الشانزلزيه : فقد شقّ لهن شرطي صديق سبيلاً وأفسح لهن مجالاً للقعود على دِكّة ترى الحلبة ، وبدا الارتباك على الريفيين المحيطين بهن حين وجدوا أنفسهم بصحبة تلك الرفقة الأنيقة . حملقوا بحياء في أظافر بيبي المطليّة وحجر الراين المشبوك في شعر روسيتا والوهج المنبعث من قرطي أوتيلي اللؤلئيين. عموماً ، كان العرض مثيراً وسرعان ما صارت السيدات منسيات، وقد ضايق بيبي هذا، ودارت عيناها في محجريهما بحثاً عن نظرات مسترقّة صوبهن . بغتة لكزت أوتيلي . أوتيلي ، قالت ، لديك معجب : أُنظري الولد هناك ، إنّه يحدّق بك كأنّك مشروب بارد .

في البدء ، ظنته أحداً تعرفه ؛ لأنّه كان ينظر إليها بطريقة كأنها يجب أن تتعرف عليه ، لكن كيف تعرفه وهي التي لم تعرف شاباً أبداً بتلك الوسامة والسيقان الطويلة والأذنين المنمنمتين ؟ وقدّرت أنّه من الجبال : قبعته الريفية المصنوعة من القشّ وقميصه الثقيل الّذي بهتت زرقته أخبراها بذلك تقريباً . كان بلون الزنجبيل ، بشرته مشرقة كليمونة ، مصقولة مثل ورقة جوافة ، وكانت جبهته متغطرسة كالديك الأسود المختلط بالقرمزي الّذي أمسكه في يديه . في العادة، كانت تبتسم أوتيلي بجرأة للرجال ، لكن ابتسامتها الآن تشظّت ، وتشبّثت بشفتيها مثل فُتات من كعكة .

في آخر الأمر ، كان ثمّة استراحة ؛ فخلت ساحة المنافسة وكل من استطاع تزاحم فيها للرقص أو أن يدوس فيها وأوركسترا من الطبول والآلات الوتريّة تعزف ألحان الكرنفال . بعدئذٍ ، أقترب الشاب من أوتيلي التي ضحكت لرؤيتها ديكه جاثماً مثل ببغاء فوق كتفه . أفّ لكِ ، قالت بيبي غاضبة من أنّ فلاحاً طلب من أوتيلي مراقصته ، ونهضت روسيتا متوعدة لتحول بين صديقتها والشاب الّذي ابتسم فحسب وقال :.أرجوك يا مدام ، أرغب في التكلّم مع ابنتك .

Twitter: @ketab_n

أحسّت أوتيلي بنفسها مرفوعة ، والتصق وركاهما على إيقاع الموسيقى ولم تمانع أبداً ، فتركته يقودها داخل الحشد المتشابك من الراقصين . قالت روسيتا : «سمعتيه ، لقد ظنّ أنّي أمّها ؟» ، وقالت بيبي بشراسة، تواسيها : «عموماً ، ماذا تتوقعين ؟ إنّهما محض ريفيين ، كلاهما : حين تعود سنكتفي بالتظاهر أنّنا لا نعرفها» .

بسبب ما حدث ، لم تعد أوتيلي لصديقتيها ، ورويال ، هكذا كان اسم الشاب، رويال بونابرته ، صارحها أنّه لم يقصد الرقص ، وأنهما يجب أن يتمشّيا في مكان هادئ ، وتابع ، أمسكي بكفّي وسأنطلق بك . فكّرت أنّه غريب دون أن تشعر بالغربة معه ؛ لأنّ الجبال كانت لا تزال بداخلها وهو من الجبال . غادرا الخيمة بكفين متعانقين والديك المتقرّح الألوان يتمايل فوق كتفه . تسكّعا ببطء عبر طريق شاحب ، ثمّ على طول زقاق مرتاح ترفرف فيه طيور الصباح عبر خُضرة أشجار السنط المائلة .

كاشفها بحزنه رغم مظهره الّذي يخفي هذا الحزن . قال : جونو بطل في قريتي ، لكن الديوك هنا شرسة وقبيحة ، ولوسمحت له بالمصارعة فكل ما سأحصل عليه هوديك ميت ، لذا سأعود به للبيت وأقول إنه فاز . أوتيلي ، هل لك ببعض السعوط ؟.

عطست بشهوانيّة . ذكّرها السعوط بطفولتها وما كانت عليه تلك السنون، توق لمسها بعصاه الطويلة . رويال ، قالت أوتيلي ، أمهلني دقيقة ، أريد أن أخلع حذائي .

لم يكن رويال نفسه يلبس حذاءً ، وكانت أصابعه الذهبية نحيلة ورشيقة، والبصمات التي تخلّفها تشبه آثار حيوان مرهف . قال : كيف يتأتى أنّي أجدك هنا ، في كل العالم هنا ، حيث لا شيء صالح وشراب الروم فاسد والناس لصوص ؟ لماذا أعثر عليك هنا يا أوتيلي ؟.

Twitter: @ketab_n

لأنّي لابد وأن أشقّ طريقي ، تماماً مثلك ، وهاهنا مكان لي . أشتغل في .. ـ آه ، فندق ما .

لدينا عشّنا الخاص ، قال ، جانب كامل لأحد التلال ، وهناك على قمة التل بيتي الهادئ . هل تجيئين يا أوتيلي وتسكنين فيه ؟.

مجنون ، قالت أوتيلي ، تغيظه ، مجنون ، وركضت بين الأشجار فجرى خلفها وذراعاه مفرودتان كأنه ممسك بشبكة ، وبسط الديك جونوجناحيه وصاح وطار إلى الأرض . أثارت أوراق مطقطقة ووبر طحالب أخمصي قدميها وهي تتحرّك بخفّة عبر الفيء والظلال . بغتة ، داخل حجاب من نباتات السرخس، أحسّت بشوكة تنغرس في كعبها ، وجفلت حين سحب رويال الشوكة ، قَبَّلَ مكانها وتحركت شفتاه إلى يدها وحلقها ، فشعرت وكأنها تمتطي أوراقاً تطفو. تنفست رائحته ، المبهمة النظيفة الأشبه بجذور الأشياء ، بنبات الغرنوقي ، بالأشجار الضخمة .

يكفي الآن . هكذا قالت ضارعة ، رغم أنّها لم تكتفِ حقّاً : كل ما في الأمر أنّه بعد ساعة تحسّ قلبها على وشك التوقّف . هدأ ، وأراح رأسه المشعر المدغدغ فوق قلبها ، فهشّت الناموس الّذي تجمّع حول عينيه الناعستين ، وقالت : «هُسّ!» للديك جونوالّذي وثب بالجوار يصيح بالسماء .

ورأت أوتيلي وهي ترقد هناك عدوها القديم ، النحل . بصمت ، في صفٍ يشبه النمل ، كانت النحلات تزحف إلى داخل وخارج جذع شجرة مكسور ليس بعيداً عنها ، فحررت نفسها من ذراعي رويال ورَتَبت مكاناً على الأرض لرأسه . كانت يداها ترتجفان وهي تضعها في طريق النحل ، لكن الأولى التي جاءت بقربها تعثّرت في راحتها ، وحين أطبقت أصابعها لم تتحرك لإيذائها ، عدّت لعشرة ، فقط للتأكد ، ثمّ فتحت يدها ، والنحلة ، في أقواس لولبية ، تسلّقت الهواء بغناء مبتهج .

❖ ❖ ❖

Twitter: @ketab_n

أفضت المالكة لبيبي وروسيتا بشيء من النصيحة : أتركاها وحدها ، أطلقا سراحها ، ما هي إلا أسابيع قليلة وتعود . كانت تتكلّم بهدوء من تلقى هزيمة: لقد قدّمت أفضل حجرة لديها في البيت لأوتيلي لتبقيها معها ، سِنّ ذهبية جديدة، كاميرا كوداك ، ومروحة كهربائية ، لكن أوتيلي لم تتردد ، بل راحت ترصّ مقتنياتها في كرتونه . حاولت بيبي مساعدتها ، لكنها كانت تبكي كثيراً لدرجة اضطرت معها أوتيلي لإيقافها : إنّ هذا يجلب سوء الحظ ؛ فكل تلك الدموع تنهمر فوق جهاز عروس ، وأردفت لروسيتا : حريٌّ بكِ يا روسيتا أن تسعدي لأجلي بدلاً من الوقوف هناك تفركين كفيك .

يومان فحسب بعد مصارعة الديوك ، وكان رويال يحمل كرتونة أوتيلي على كتفه ويمشي برفقتها في الغسق ناحية الجبال . وشدّ الكثير من الزبائن رحالهم لمكان آخر حين علموا أن أوتيلي غادرت الشانزلزيه ، أمّا الآخرون الّذين فكّروا بالبقاء أوفياء للمكان القديم ، فقد تذمّروا من جهامة حلّت بالجو: بعض الليالي مرّت دون أن تجد السيدات من يشتري لأي منهن بيرة سوى بشق الأنفس . وبالتدريج ، ساد شعور أنّ أوتيلي رغم كل شيء ما كانت لترجع ، وبعد مرور ستة أشهر قالت المالكة : لابد وأنّها ماتت .

❖ ❖ ❖

كان بيت رويال يشبه بيتاً من الزهور ؛ غطت نبتة الوستارية السقف ، ستارة من الكروم ظللت الشباك ، زنبق تفتّح عند الباب . يستطيع المرء من الشبيبيك أن يرى التماعات خافتة للبحر . ولأن البيت مبني على قمة تلّ ، فالشمس هنا متقدة لكن الظلال باردة ، والبيت في الداخل دائماً مُعتم ومنعش، وقد أحدثت صحف خضراء وقرنفلية ملصوقة على الحيطان حفيفاً . ثمّة حجرة واحدة ، بها موقد ومرآة مُتأرجحة أعلى طاولة رخام وسرير نحاس يتسّع لثلاثة رجال بدناء .

Twitter: @ketab_n

لكن أوتيلي لم تنم على السرير المهيب ؛ لأنّه لم يكن مسموحاً لها حتى القعود فوقه ؛ كان ملكاً لجدّة رويال ، العجوز بونابرته . مخلوقة متفحّمة متورمة مقوّسة الساقين كقزمة وصلعاء مثل صقر . كانت العجوز بونابرته هي الأكثر احتراماً على مدى أميال بالجوار كصانعة رُقى ، كثيرون يخشون حتى أن يقع ظلها فوقهم ، بما فيهم رويال الّذي يحترس منها . لقد تأتأ عندما أخبرها أنّه جلب للبيت زوجة وحرّك أوتيلي ناحيتها . خدشتها المرأة العجوز هنا وهناك ببعض القرصات القاسية وأبلغت حفيدها أن العروس نحيلة جداً : «ستموت جراء نحافتها أولاً ».

كل ليلة ، كان الزوجان الشابان ينتظران حتى يتطارحا الغرام بعد أن يظنّا أن العجوز بونابرته راحت في النوم . أحياناً ، كانا يتمددان فوق تبن القشّ المُقمر حيث ينامان ، وكانت أوتيلي مُتأكدة أنّ العجوز بونابرته صاحية وتراقبهما. ذات مرّة ، رأت عيناً مفتونة دَبقة تلمع في الظلام ، ولم يكن ثمّة فائدة من الشكوى لرويال الّذي يكتفي بالضحك : «ما الأذى من امرأة عجوز رأت الكثير في حياتها وترغب برؤية المزيد » .

لأنّها أحبّت رويال ، نحّت أوتيلي كل شكاواها وحاولت ألا تثير استياء العجوز بونابرته . لقد خبرت السعادة وقتاً طويلاً ، ولم تفتقد صديقتيها ولا الحياة في بورتوبرنس ، ومع ذلك ، احتفظت بتذكاراتها من تلك الأيام في ملاذ آمن : رتقت الفساتين الحرير بسلّة الحياكة التي أعطتها لها بيبي كهدية زواج ، والجوارب الحرير الخُضْر التي لا تلبسها الآن أبداً ؛ فلا مكان ملائم للبسها: الرجال فحسب هم من يحتشدون في المقهى الموجود بالقرية عند مصارعة الديوك ، وحين ترغب النساء في التلاقي فإنهن يتقابلن عند مجرى الغسيل. سوى أنّ أوتيلي كانت بالغة الانشغال لتحسّ بالوحشة ، في الفجر تجمع أوراق الكينا لتشعل ناراً تُعِدُّ الفطور ، ثمّة دجاجات تُطعمها ومعزاة تحلبها والعجوز

Twitter: @ketab_n

بونابرته تئن طلباً للعناية . ثلاث أو أربع مرات يومياً تملأ دلواً بماء الشرب وتحمله لمكان شغل روريال في حقول القصب على بعد ميل تحت البيت، دون أن تكره أنّه في تلك الزيارات يكون فظّاً معها : فهي تعلم أنّه يتباهى أمام الرجال الآخرين ممن يشتغلون في الحقول ، والّذين يبتسمون لها كأنّهم بطيخات مشقوقة . لكن بالليل ، وحين تستحوذ عليه في البيت ، تجذبه من أذنه وتعاتبه لأنّه عاملها مثل كلبة ، في ظُلمة الحوش حيث تتوهج اليراعات ، يمسكها ويهمس في أذنيها بشيء يجعلها تبتسم .

كان قد مضى على زواجهما خمسة أشهر حين بدأ روريال في ممارسة الأمور التي اعتادها قبل زواجه . الآخرون من الرجال يذهبون إلى المقهى في الأمسيات ويمكثون آحاداً كاملة في مصارعة الديوك ـ وقد عجز عن فهم السبب وراء هياج أوتيلي حيال ذلك ، سوى أنّها قالت إنه لا يملك الحقّ في مسلكه هذا، وإنه لو كان يحبها ما كان ليتركها وحيدة يوماً وليلة مع تلك المرأة العجوز الشريرة . أحبّكِ ، ردّ روريال ، لكن لابد وأن يحصل الرجل على مُتعه أيضاً . مرّت ليال وهو يمتّع نفسه حتى يصير القمر في منتصف السماء ، ولم تكن تعرف أبداً متى يعود للبيت ، وكانت لتستلقي يأكلها الغيظ فوق التبن ، متخيلةً أنها غير قادرة أن تنام دون أن يحيطها ذراعاه .

غير أنّ العجوز بونابرته كانت مصدر العذاب الحقيقي . كانت على وشك أن تُفقد أوتيلي صوابها ؛ وقتما طبخت أوتيلي فإنّ المرأة العجوز البغيضة يقيناً ستجيء لتفتّش بفضول بالقرب من الموقد . وحين لا يعجبها ما تطبخه كانت لتملأ فمها وتبصقه على الأرضيّة ، أي فوضى تخطر ببالها تعملها : بللت الفراش، أصرّت على اصطحاب المعزاة إلى الحجرة ، كل ما تلمسه سرعان ما يسقط أو ينكسر ، ثمّ تشتكي لروريال أنّ امرأةً تعجز عن تدبير منزلها لأجل زوجها هي امرأة لا نفع يُرجى منها . كانت على الأرض طوال اليوم وعيناها القاسيتان

Twitter: @ketab_n

الحمراوان نادراً ما تنغلقان ، غير أنّ الطامة الكُبرى ، الأمر الّذي دفع أوتيلي بالنهاية للتهديد بقتلها ، هو عادة المرأة العجوز في التسلل من أي مكان وقرصها بشراسة لدرجة تستطيع معها رؤية آثار أظافرها المغروسة . لو فعلتِ ذلك مرّة أخرى ، لو فقط جرؤت ، سأخطف تلك السكين وأنتزع قلبك ! وكانت بونابرته تعي أن أوتيلي تعني ما قالته ، ورغم أنّها كفّت عن القرص إلا أنّها فكّرت في دُعابات أخرى : مثلاً ، صنعت ممشى في كل جزء من الحوش ، متظاهرةً أنّها لا تعلم أنّ أوتيلي قد غرست بستاناً صغيراً هناك .

في يوم واحد حدث أمران استثنائيان . جاء صبي من القرية يحمل رسالة لأوتيلي ، على البطاقات البريدية للشانزلزيه التي تجيء بين الحين والآخر من البحارة والرحالة الّذين قضوا لحظات سارة برفقتها ، لكنّها الرسالة الأولى التي تتلقاها في أي وقت مضى . ولأنّها لا تستطيع القراءة ، فقد كان أول خاطر لها هو أن تمزقها ستين قطعة : فلا فائدة تُرجى من الاحتفاظ بها تتسكّع وتقضّ مضجعها ، ولأنّ طبعاً ثمّة فرصة لأن تتعلم القراءة يوماً ما ، فقد راحت تخبئها في سلّة الحياكة .

لدى فتحها سلّة الحياكة ، توصّلت لاكتشاف شرير : ثمّة ، مثل كرة مُخيفة من الغزل ، رأس مفصولة لقطة صفراء ، وهكذا ، فقد كانت المرأة العجوز البائسة موشكة على ألاعيب جديدة ! ترغب بصياغة رٌقية بأقصى ما يُمكن من إرعاب ، فكّرت أوتيلي . في الأول رفعت الرأس من أحد أذنيها وحملتها إلى الموقد وألقت بها في قدر يغلي : عند الأصيل ، امتصّت العجوز بونابرته أسنانها وعلّقت أنّ الحساء الّذي أعدته أوتيلي لأجلها كان لذيذاً على نحومُذهل .

في الصباح التالي ، تماماً في وقت وجبة الغداء ، عثرت فيها تقلّب في سلّة الحياكة على ثعبان أخضر صغير مُفتت جيداً مثل حبّات الرمل ، فرشّته فوق حصة من اليخنة . في كل يوم كانت براعتها تُختبر : عناكب لتُخبز ، سحليّة لتُقلى ، صدر

Twitter: @ketab_n

صقر ليُسلق ، وقد أكلت العجوز بونابرته عدّة وجبات من كل شيء ، بتألق لا يهدأ لاحقت عيناها أوتيلي وهي تتربّص لأجل أي إشارة على أن الرُقية تترسّخ ، وقالت ، تبدين شاحبة يا أوتيلي ، مازجةً القليل من دبس السكّر في خلّ صوتها ، تأكلين مثل نملة : ما رأيك الآن في سلطانيّة من هذا الحساء الطيب ؟ .

ردّت أوتيلي هادئة : لأنّي لا أحب مذاق الصقور في حسائي ، ولا العناكب في خبزي ، ولا الثعابين في اليخنة : مثل هذه الأشياء لا تثير شهيتي .

فهمت العجوز بونابرته ، فنهضت بأوردة منتفخة ولسان مشلول مُبتلى ، تتداعى على قدمها ثمّ انهارت فوق الطاولة ، وقبل الغروب كانت قد ماتت .

جمع رويال النادبات ، اللاتي قدمن من القرية ومن التلال المجاورة ، ينبحنَّ مثل الكلاب في منتصف الليل ، ويحلقن حول البيت . النساء العجائز منهن لطمن رؤوسهن بالحيطان ، والرجال المنتحبون عفروا رؤوسهم بالتراب : إنّه فنّ الحزن ، وهؤلاء الّذين اندمجوا بمحاكاة الحزن أكثر نالوا الإعجاب الأكبر . بعد الجنازة تفرّق الجميع ، راضين عمّا أنجزوه من عمل صالح .

صار البيت الآن لأوتيلي وحدها ، بلا حملقات العجوز بونابرته ، وفوضاها التي تنتظر التنظيف . لديها متسع من الوقت لعملها ، لكنّها لم تعرف ما تنفق فيه هذا الوقت . تسلّقت بجهد السرير النحاسي الهائل ، تسكّعت أمام المرآة ، لكن رتابة همهمت في رأسها ، وكي تُبعد طنينها الطائر كانت تدندن أغنيات كانت قد تعلمتها من الفونوغراف بالشانزلزيه . كانت تتذكّر وهي تنتظر في وقت الغسق عودة رويال ، أنّه في تلك الساعة كانت صديقتاها في بورتوبرنس تثرثران في الرّواق تنتظران انعطافة المصابيح الأمامية لسيارةٍ ما ، سوى أنّها حين رأت رويال يتسلّق الطريق متمهلاً ،ومنجله يتأرجح حول خاصرته مثل هلال، نسيت تلك الأفكار وركضت بقلبٍ راض للقائه .

Twitter: @ketab_n

في ليلة وهما يرقدان نصف ناعسين ، أحسّت أوتيلي بغتة بحضور آخر في الحجرة ، ثمّ كانت ومضة هناك أسفل السرير ، ورأت ، كما رأت قبلاً ، عيناً تراقب ، فعرفت ما ارتابت فيه بعض الوقت : أنّ العجوز بونابرته ماتت لكنها لم ترحل. مرّة كانت وحدها في البيت وسمعت ضحكة ، ومرّة أخرى ، في الحوش بالخارج ، رأت كبشاً يحملق بشخص ما لم يكن موجوداً وطَرَفَ أذنيه كما يفعل دائماً متى هرشت المرأة العجوز رأسه .

قال رويال ، كفّي عن هزّ السرير ، وأوتيلي بأصبع مرفوع للعين ، تسأل هامسة إذا ما كان لا يراها . أجاب أنّها كانت تحلم ، فمدّت يدها صوب العين وصرخت بمجرد إحساسها بالهواء . أنار رويال مصباحاً وضمّ أوتيلي إلى حضنه وملّس على شعرها وهي تحكي له عن الاكتشافات التي صادفتها في سلّة الحياكة وكيف استخدمتها . هل كان ما فعلته خطأ ؟ رويال لا يعرف ، ولم يكن له أن يُفصح ، لكن رأيه كان ضرورة معاقبتها ، لماذا ؟ لأنّ المرأة العجوز أرادت ذلك، وإلا ما كانت لتترك أوتيلي في سلام أبداً : هكذا يكون الحال مع الممسوسين .

وهكذا ، جلب رويال حبلاً في الصباح التالي معتزماً ربط أوتيلي بشجرة في الحوش : لتبقى هناك حتى يحل الظلام دون أكل أوشرب ، وليعرف المارة أنّها مخزيّة .

لكن أوتيلي تحت السرير ورفضت الخروج . وقالت متشنجة ، سأهرب يا رويال ، لوحاولت ربطي بتلك الشجرة العتيقة سأهرب .

ردّ رويال ، ساعتها سأضطر للحاق بك وإمساكك ، ولكان ذلك أسوأ بالنسبة لك .

جرجرها من كاحلها ودحرجها من تحت السرير وهي تطلق صرخات حادة. كانت تتشبث طيلة المسافة إلى الحوش بكل ما تصل إليه يداها ، الباب ،

Twitter: @ketab_n

كرمة، لحية كبش ، دون فائدة ، ولم يعق رويال شيء عن ربطها بالشجرة . صنع ثلاث عُقد في الحبل وانصرف للشغل يلعق يده مكان ما عضته . سبّته بأقذع الشتائم التي سمعتها في حياتها حتى اختفى وراء التلّ . وألتمّ الكبش وجونو والدجاجات ليحدّقوا بإذلالها ، فانحنت أوتيلي قريباً من الأرض وأخرجت لهم لسانها.

❖ ❖ ❖

لأنّها كانت نائمة تقريباً ، فقد ظنّت أوتيلي أنّها تحلم حين ، وبرفقة طفل من القرية ، ترنحت بيبي وروسيتا تتمايلان في كعوب عالية وحاملتان مظلتين مُزخرفتين ، صاعدتان الطريق تناديان باسمها . ولأنّهما امرأتان في حلم ، فمن المحتمل أنّهما ما كانتا لتندهشا لدى رؤيتها مربوطة في شجرة .

صرخت بيبي ، هل جننتِ ؟ ، مُبقية على مسافة مناسبة بينهما وكأنّها خشيت فعلاً أن تكون مريضة . كلّمينا يا أوتيلي !.

قالت أوتيلي وهي تطرف وتقهقه : فقط أنا سعيدة لرؤيتكما . روسيتا ، أرجوكِ فكي وثاقي لأتمكّن من احتضانكما .

إذن هذا ما يفعله هذا الهمجي ، قالت روسيتا وهي تمزّق الحبال ، انتظري حتى أراه ، يضربك ويربطك في الحوش مثل كلبة !

ردّت أوتيلي ، آه كلا . رويال لا يضربني أبداً ، إنّها أول مرّة اليوم فقط .

ما كنتِ لتنصتي لنا ، قالت بيبي ، وها أنت الآن ترين العاقبة ، هذا الرجل أمامه الكثير من الأسئلة ليجيب عنها ، مردفةً وهي تلوّح بمظلتها مهددة .

عانقت أوتيلي صديقتيها وقبّلتهما ، ثمّ قالت ، أليس بيتاً رائعاً ؟ وهي تقودهما ناحيته ، كأنّك انتقيت عربة زهور وابتنيت بيتاً بها : هذا ما أتصوّره . تعالين بعيداً عن الشمس . إنه بارد بالداخل ورائحته حلوّة .

Twitter: @ketab_n

تشممت روسيتا وكأنّ ما شمّته كان كريهاً ، وأعلنت بصوتها العميق أنّ بلى ، كان من الأفضل أن يبقين بعيداً عن الشمس ، خصوصاً وأنّه يبدو أنّها قد لحست عقل أوتيلي .

نعمة كبيرة أنّا جئنا ، قالت بيبي ، وهي تنقّب داخل حقيبة هائلة ، ويمكنك شكر السيد جيميسون لأجل هذا . لقد قالت المدام أنّك مُتِّ ، وحين لم تُجيبي على رسائلنا أبداً اعتقدنا ذلك أيضاً ، سوى أنّ السيد جيميسون ، الرجل الأكثر رقّة ممن قد تصادفينهم بحياتك ، أستأجر عربة لي ولروسيتا ، أعز صديقاتك ، من أجل تسلّق التلّ ومعرفة ما جرى لحبيبتنا أوتيلي . لديّ هنا زجاجة روم في حقيبتي يا أوتيلي ، أحضري لنا كوباً وستتناول كل جرعة منه .

أسكرت العادات الأنيقة والحلي المبهرجة اللامعة للسيدتين القادمتين من المدينة دليلهن ، الّذي كان صبياً صغيراً أومأ بعينيه السوداويين اللتين تختلسان النظر ، صوب الشباك . وقد أحسّت أوتيلي بالتأثر ، هي الأخرى ، لأنّه مضى وقت طويل مُذّ رأت شفاهاً مصبوغة أوشمّت زجاجة عطر . وفيما تصبّ بيبي الروم أخرجت حذاءها الساتان وقرطها اللؤلؤ . وقد قالت روسيتا حين أنهت أوتيلي لبسها ، عزيزاتي ، ما من رجلٍ حي ليرفض أن يشتري لكنَّ برميلاً كاملاً من البيرة ، فكّرن في ذلك ، امرأة بهيّة مثلك وتعانين بعيداً عمن يعشقونك .

لم أكن أعاني كثيراً ، ردّت أوتيلي . لكن قليلاً .

قالت بيبي ، أسكتي الآن ، لا ينبغي أن تتكلّمي عن ذلك بعد ، وعموماً لقد انتهى كل ذلك ، تعالي هنا يا عزيزتي دعيني أرى كوبك مرّة أخرى . نخب الأيام الخوالي ، والأيام التي ستجيء ! الليلة سيشتري السيد جيميسون شمبانيا للجميع : وستعطيها له المدام بنصف ثمنها .

ردّت أوتيلي وهي تغبط صديقتيها ، آه . طيب ، وقد أرادت أن تعرف ، ما

Twitter: @ketab_n

قاله الناس عنها، وهل تذكّروها ؟.

قالت بيبي، ليس لديكِ فكرة يا أُوتيلي، ما من رجل وقعت عيناي عليه في المكان إلا وسأل أين أوتيلي، لأنّه قد أُشيع عنك أنّك ذهبت إلى هافانا أوميامي. أمّا جيميسون، فلم ينظر حتى إلينا نحن الأخريات، يجيء فحسب ويجلس بالرواق يشرب مع نفسه.

قالت أوتيلي توّاقة، بلى، لطالما كان السيد جيميسون حلوالمعشر معي .

كانت الشمس الآن تميل نحوالمغيب، ولم يبق في زجاجة الروم إلا ربعها. غمرت هبّة رعدية من المطر التلال لوهلة، وقد شوهد وميضها من الشبيبيك كأجنحة تنين طائر، وتجوّلت في الحجرة نسمة عَبِقة برائحة الزهور التي بللها المطر أحدثت حفيفاً في الأوراق القرنفلية والخضراء الملصوقة على الحيطان. رُويت الكثير من القصص، بعضها مَرِح والقليل منها حزين، كما حديث كل ليلة في الشانزلزيه، وكانت أوتيلي فَرِحَة لكونها جزءاً من ذلك مجدداً.

لكن الوقت تأخر، قالت بيبي، وقد وعدنا بالعودة قبل منتصف الليل، أيمكننا يا أوتيلي أن نساعدك في حزم أغراضك؟ .

برغم أنّها لم تدرك أن صديقتيها توقعتا أن تغادر برفقتهما، إلا أنّ الروم الّذي يعتمل بداخلها جعله احتمالاً قائماً، وقد فكّرت بابتسامة على شفتيها : لقد أخبرته أنّي لهاربة، وتابعت بصوت عال، فقط هذا لا يشبه أن آخذ أسبوعاً حتى لأفرّج عن نفسي : وسينزل رويال ليعيدني .

ضحكت صديقتاها على هذا الكلام، وقالت بيبي، أنت سخيفة جداً، أتمنى أن أرى رويال هذا حين يفرغ رجالنا منه .

ما كنت لأطيق أن يؤذي أيُّ شخص رويال، قالت أوتيلي، علاوة على أن ثائرته ستثور حين نعود للبيت .

Twitter: @ketab_n

ردّت بيبي : لكن يا أوتيلي يُفترض بك ألا تعودي برفقته .

قهقهت أوتيلي وتفحّصت الحجرة كأنّها رأت شيئاً غير مرئي للآخرين ، وقالت ، لماذا ، مؤكد سأعود .

دارت عيناها في محجريهما ، فأحضرت بيبي مروحة وهزّتها أمام وجهها ، وقالت وهي تكزّ على أسنانها ، هذا أغرب شيء سمعته في حياتي ، أليس هذا أغرب شيء سمعتيه في حياتك يا روسيتا ؟.

ردّت روسيتا ، هذا لأن كلام أوتيلي مُنطلق جداً . عزيزتي ، لِـمَ لا ترقدين على الفراش بينما نحزم أغراضك ؟.

راقبتهما أوتيلي يشرعان بتكديس مقتنياتها . غرفتا أمشاطها ودبيبيسها ولفّتا جواربها الحريرية ، وقد خلعت ثيابها المُتأنّقة ، كأنّها ستستبدلها بشيء أفضل، لكن بدلاً من ذلك ، انزلقت عائدة إلى ثيابها القديمة ، ثمّ ، تحملُ في هدوء ، وكأنها تساعد صديقتيها ، وضعت كل شيء في مكانه . لقد ركلت بيبي الأرض بقدمها حين رأت ما يجري .

قالت أوتيلي ، أنصتن ، لوأنّكما يا بيبي وأنت يا روسيتا صديقتاي حقّاً فأرجوكما افعلا ما أقوله : قيداني في الحوش تماماً كما جئتما ؛ فهكذا لن تلسعني نحلة أبداً .

قالت بيبي ، سكّيرة كريهة . لكن روسيتا قالت لها أن تصمت ، وتابعت متنهدة ، أظن أوتيلي عاشقة ، ولو أرادها رويال أن تعود ، ستعود معه ، هكذا كانت الأمور وهكذا سنعود للبيت ونقول إن المدام كانت مُحقّة ، لقد ماتت أوتيلي .

قالت أوتيلي ، بلى ؛ ولأنّ دراما الحدث راقت لها ، أضافت : أخبروهم أنّي مُتّ .

Twitter: @ketab_n

وهكذا ، دخلن الحوش ، بصدور لاهثة وعيون مدوّرة مثل قمر النهار المُنطلق فوقهن ، قالت بيبي إنها ما كانت لتشارك في ربط أوتيلي بالشجرة ، الأمر الّذي جعل روسيتا تقوم بالأمر وحدها . لحظة الفراق ، كانت أوتيلي أكثر من بكى ، رغم سعادتها لرؤيتهما تمشيان ؛ لأنّها تعي أنّه بمجرّد اختفائهما ما كانت لتفكر بهما مرّة أخرى . التفّتتا ، وهما تتمايلان في كعوبهما العالية تهبطان منحدرات الطريق ، لتلوحا لها ، لكن أوتيلي عجزت عن التلويح لهما ، وهكذا نسيتهما قبل أن تغيبا عن نظرها .

أحسّت وهي تمضغ أوراق الكينا لتحلّي أنفاسها ، بقشعريرة الفجر تُرجف الهواء ، وصُفرة تعمّق نور القمر ، وطيور جائمة تُبحر في ظُلمة الشجرة . بغتة، تناهى لسمعها صوت رويال على الطريق ، دفنت ساقيها في خاصرتها، وتركت عنقها يترنّح ، وأرخت عينيها للوراء في محجريهما . مشهد يبدو للقادم من بعيد وكأنّها خاضت نهاية عنيفة مُثيرة للرثاء ، وقد فكّرت فَرحَة لدى سماعها خُطى رويال تتسارع لتصبح ركضاً : سيمنحه مشهدي هذا رُعباً كافياً .

Twitter: @ketab_n

غيتار ماسّي

تقع أقرب بلدة لمزرعة السجن على مسافة عشرين ميلاً ، وتصطف أحراش سابغة من أشجار الصنوبر بين المزرعة والبلدة . في تلك الأحراش يشتغل المحكوم عليهم بالتنقيب عن التّربنتينة❖. يقع السجن نفسه داخل غابة ، وستجده في نهاية طريق مليئاً بالحُفَرِ الحمراء ، تحوطه أسلاك شائكة مثل تعريشة الكروم حول الجدران . في الداخل ، يعيش مائة وتسعة رجال بيض ، وسبعة وتسعون زنجياً ، وصيني واحد . ثمّة نزلان للنوم ، مبنيان خشبيان كبيران مدهونان باللون الأخضر ومسقوفان بالورق المُقيّر . يشغل الرجال البيض واحداً ، والزنوج مع الصيني المبنى الآخر . في كل نُزُل موقد بقِدر مُجوّف هائل، سوى أنّ برودة الشتاء قاسية هنا ، في الليل مع رفرفة أشجار الصنوبر المكسوّة بالصقيع والنور البارد المسكوب من القمر ، يرقد الرجال ممددين فوق أسرّتهم المعدنيّة يقظين وأطياف اللهب المشتعل بالموقد تتراقص في عيونهم .

الأسرّة الأقرب للموقد للرجال ذوي الأهمّية ـ الّذين يتمتعون بالاحترام أوالمرهوبين ، والسيد شيفر ـ هكذا يُدعى ، علامة على احترام استثنائي ـ واحد منهم . وهورجل طويل مسحوب يشوبه الهُزال ، لديه شعر فضّي محمرّ ، ووجه هزيل تكسوه أمارات التقوى ، جلد على عظم لدرجة يمكنك معها رؤية عظامه،

❖ يُستخدم للعلاج ويُستخرج من أشجار الصنوبر (المورد) .

Twitter: @ketab_n

أمّا عيناه فهما مجدبتان فاترتا اللون . يمكنه القراءة والكتابة وجمع عمود من الأرقام ؛ لذا فحين يتسلّم رجل آخر رسالة يجيء بها للسيد شيفر ، وأغلب تلك الرسائل حزينة ومتشكّية ، فيعمد السيد شيفر في أغلب الأوقات لارتجال رسائل أكثر بهجة ولا يقرأ المكتوب في الورقة . ثمّة رجلان آخران في النُزل يمكنهما القراءة ، ومع ذلك ، يأتي أحدهما برسائله للسيد شيفر الّذي يضطر ألاّ يقرأ الحقيقة أبداً . والسيد شيفر نفسه لا يتلقى بريداً ولا حتى في عيد الميلاد ؛ يتراءى وكأنّ لا أصدقاء له وراء أسوار السجن ، والحقّ لا أصدقاء له هناك ـ بمعنى ، صديق مُعيّن . لكن هذا ليس صحيحاً دائماً .

ذات يوم أحد شتوي منذ عدّة سنوات ، كان السيد شيفر جالساً فوق درجات سلم النُزل ينحت دُمية ، وهو بالغ المهارة في هذا ، إذ ينحت دُماه على أجزاء منفصلة ثمّ يضمها بسلك زنبركي ، الذراعان والساقان تتحركان والرأس يستدير . وحين يفرغ من عمل دزينة أو نحو ذلك من الدُمى يحملها قائد المزرعة للبلدة حيث تُباع بالمتاجر العامة ، وهكذا يكسب السيد شيفر المال من أجل السكاكر والتبغ.

في يوم الأحد هذا ، وهو جالس يقطّع الأصابع من أجل كفّ صغيرة ، توقّفت شاحنة في حوش السجن ،وتسلّق شاب مُكبّل باتجاه قائد المزرعة خارج الشاحنة وانتصب يطرف بعينيه صوب شمس الشتاء الشبحيّة . ألقى عليه السيد شيفر نظرة خاطفة فحسب ؛ كان رجلاً في الخمسين قضى منها سبعة عشر عاماً في المزرعة ، ووصول سجين جديد ربما لا يثير انتباهه . في يوم الأحد يُطلق سراح السجناء بالمزرعة ، وقد تزاحم الرجال الآخرون الّذين ينظّفون الحوش بالقرب من الشاحنة ، بعدئذٍ توقّف بيك آكس وجوبر بالقرب من السيد شيفر وراحا يتكلّمان .

قال بيك آكس : «أجنبي ، السجين الجديد . من كوبا ، لكن بشعر أصفر».

Twitter: @ketab_n

وعقّب جوبر : «محترف ضرب السكاكين ، هكذا أفصح الكابتن» كان جوبر نفسه ضارب سكاكين ، وقد تابع : «لقد شرّح بحاراً في موبيل» .

قال بيك آكس : «بل اثنان ، لكنها كانت مشاجرة في مقهى ، ولم يؤذيهما» .

علّق جوبر : «أتسمّي قطع أذن رجل ملاطفة ؟ لقد حكموا عليه بسنتين كما قال الكابتن» .

قال بيك آكس : «عموماً هو يحمل غيتاراً مرصّعاً بالحلي ولا يفارقه» .

كان الظلام قد حلّ وبات الشغل صعباً ، فلاءَمَ السيد شيفر بين أجزاء الدُميّة ثمّ أجلسها فوق ركبته ممسكاً بكفيها الصغيرتين . لفّ سيجارة ، كانت أشجار الصنوبر مزرقّة في نور الغروب وقد تهادى الدخان المُتصاعد من سيجارته في الهواء المكفهر الصاقع . استطاع رؤية الكابتن آتياً عبر الحوش ، وقد تباطأ السجين وراءه بخطوة ، يحمل غيتاراً مرصّعاً بماسات زجاجية تشكّل وميضاً شبيهاً بلمعان النجوم ، وقد بدت بذلته النظامية واسعة جداً عليه ، كأنّها بذلة عيد القديسين .

توقّف الكابتن عند درجات النُزل وقال : «رفقة لأجلك يا شيفر» . لم يكن الكابتن رجلاً قاسياً ، وأحياناً كان يدعو السيد شيفر إلى مكتبه ، ويتكلمان سوياً عن أمور قرآ عنها في الصحيفة . قال : «تيكو فيو » كأنّه اسم طائر أو أغنية، «وهذا هو السيد شيفر ، إقْتَدِ به تنجح .»

رفع السيد شيفر بصره صوب الصبي وابتسم ، وطالت ابتسامته أكثر مما قصد ؛ بسبب عيني الصبي الشبيهتين بقشور من السماء ـ زرقاء كمساء شتوي ـ وشعر ذهبي مثل أسنان الكابتن . لديه وجه محبب نبيه رشيق ، وبالنظر إليه فكّر السيد شيفر في الأعياد والأوقات الممتعة .

قال تيكو فيو : «تشبه شقيقتي الصغيرة» وهو يمسّ دُمية السيد شيفر مسّاً

Twitter: @ketab_n

خفيفاً . كان صوته بنبرته الكوبية ناعماً وحلواً مثل موزة ، وتابع : «إنّها تجلس فوق ركبتي أيضاً» .

جَفَلَ السيد شيفر بغتة ، وانحنى للكابتن ثمّ غاب في ظُلمة الحوش وانتصب هناك يهمس بأسماء نجمات المساء وقد تكشّفت عن وردة في السماء . كانت النجوم مصدر سعادته ، لكنها الليلة لا تُعزِّيه ، لا تجعله يتذكّر أن ما يحدث لنا على الأرض يضيع في التألق اللانهائي للأبدية . فكّر ـ وهو يحدّق بالنجوم ، بالغيتار المرصّع بالجواهر وبريقه الدنيوي .

يُمكن القول بشأن السيد شيفر إنه في حياته لم يقترف سوى ذنب حقيقي واحد : قَتَلَ رجلاً ، ظروف هذا الصنيع لا تهم إلا للحكم بأن هذا الرجل قد أستحق الموت الّذي عوقب لأجله السيد شيفر بتسعٍ وتسعين سنة ويوم، ولفترة طويلة ـ في الواقع ، لسنوات كثيرة ـ لم يُفكّر أبداً في حياته قبل أنّ يأتي إلى المزرعة . ذكرياته عن تلك الأيام تُشبه بيتاً مهجوراً وقد تعفّن الأثاث ، لكن الليلة بدت وكأنّ مصابيح أُنيرت عبر أرجاء الحجرات الميتة الكئيبة . بدأ هذا في الحدوث حين رأى تيكو فيو يأتي خلال الغَسَق يحمل غيتاره الرائع ، وهو الّذي كان حتى تلك اللحظة يشعر بالوحشة ، الآن ـ مُدركاً عُزلته ـ أحسّ بالحياة تدبّ في أوصاله . كان يكره أن تدب فيه الحياة ؛ فهذا يعني أن يذكر أنهاراً سمراء تسبح فيها الأسماك ، ونور الشمس يتألق فوق شعر امرأة .

نكّس السيد شيفر رأسه ؛ فسطوع النجوم جعل عينيه تدمعان .

في العادة ، يكون النُزل مكاناً مُكتئباً ، مبتذلاً برائحة الرجال ومقفراً في ضوء مصباحين كهربائيين مكشوفين ، لكن مع حلول تيكو فيو بدا وكأنّ حادثة استوائية قد وقعت في الحجرة الباردة ، فحين عاد السيد شيفر من تأملاته للنجوم صادف مشهداً متوهجاً وجامحاً ؛ تيكو فيو جالساً يضع ساقاً فوق ساق على حافة سرير نقّال ينقر بأصابع طويلة مثنيّة ويغني أغنية تراءت مرحة كأنّها

Twitter: @ketab_n

عملات تجلجل . وبرغم أن الأغنية باللغة الإسبانية ، إلا أنّ بعض الرجال حاولوا غناءها بصحبته ورقص بيك آكس وجوبر سوياً . لقد رقص تشارلي ووينك أيضاً لكن منفصلين، وكان من الجميل سماع الرجال يضحكون ، إلى أن نحى تيكو فيو غيتاره جانباً في النهاية ، كان السيد شيفر بين من هَنَئوه .

قال : «إنّك تستحق غيتاراً رائعاً كهذا» .

ردّ تيكو فيو : «إنّه غيتار ماسّي» مُزيحاً يده عن لمعانها ، «مرّة كان عندي غيتار مُرصّع بالياقوت ، لكنه سُرق . في هافانا تشتغل شقيقتي في ، كيف تقولها ، حيث يصنعون الغيتار ، وهكذا أمتلك هذا الغيتار» .

سأله السيد شيفر عن عدد شقيقاته ، وقد ابتسم تيكو فيو رافعاً أربعة أصابع، ثمّ ضاقت عيناه الزرقاوان بشراهة ، وقال : «لو تفضّلت يا سيدي ، هل تعطيني دُمية لشقيقتي الصغرى الثانية ؟» .

في المساء التالي ، أعطاه السيد شيفر الدُمى ، وصارا بذلك صديقين مُقربين ودائماً ما يكونان سوياً ، وطيلة الوقت يرعى كل منهما الآخر .

كان تيكو فيو في الثامنة عشرة من عمره وقد عمل سنتين على ظهر سفينة شحن في البحر الكاريبي . في طفولته ارتاد المدرسة بصحبة راهبات وعلّق صليباً حول عنقه . كانت لديه مسبحة أيضاً ، حفظها ملفوفة في طرحة حرير خضراء ضمّت ثلاثة كنوز أخرى : زجاجة كولونيا ماركة مساء باريسي ، ومرآة جيب ، وخارطة راند ماكنالِي للعالم* . كانت تلك فضلاً عن الغيتار كل ممتلكاته، وما كان ليسمح لأحد بلمسها ، ربّما منح خارطته أغلب المرّات . في الليل ، قبل إطفاء الأنوار ، كان ينشر خارطته ويُري السيد شيفر الأماكن التي حلّ بها ـ غالفستون ، ميامي ، نيوأورليانز ، موبيل ، كوبا ، هاييتي ، جامیكا ،

* Rand Mcnally : ناشر أميركي للخرائط والأطالس والترحال حول العالم .

Twitter: @ketab_n

بورتوريكو، والجُزر العذراء ـ وكذلك الأماكن التي تمنى زيارتها . كان تقريباً يرغب بزيارة كل ركن ، خصوصاً مدريد ، والقطب الشمالي ، وكلاهما فتن وروّع السيد شيفر؛ لقد ساءه التفكير بتيكو فيو في عرض البحر وفي أماكن بعيدة، وأحياناً ما نظر لصديقه بطريقة من يحمي نفسه وفكّر : «ما أنت إلا حالم كسول» .

صحيح ، كان تيكو فيو رفيقاً كسولاً ، وبعد تلك الليلة الأولى لم يكن حتى ليعزف على غيتاره إلا تحت إلحاح ، ولمّا يجيء الحارس في الفجر لإيقاظ الرجال بقرع مطرقة على الموقد، كان تيكو فيو يتذمّر كطفل . أحياناً كان يتظاهر بالمرض فيئن ويفرك معدته ، لكن دون جدوى ، فالكابتن يرسله للعمل مع باقي الرجال في الخارج ، ودائماً ما يوضع مع السيد شيفر في جماعة الطريق السريع. كان عملاً صعباً ، الحفر في طين مُتجمّد ورفع أكياس خيش مليئة بالصخر المكسور ، فضلاً عن صُراخ الحارس المستمر في تيكو فيو الّذي يقضي أغلب الوقت في محاولة الاتكاء على أي شيء يصادفه .

في كل أصيل ، يقعد الصديقان معاً وسطل الغداء يمرّ عليهما . ثمّة بعض الحاجات الطيبة في غذاء السيد شيفر الذي يقدر على شراء التفاح والسكاكر من البلدة ، وقد أحبّ إعطاءها لصديقه الّذي كان يستمتع بها أيما مُتعة ، وكان يفكّر: «أنت تكبر ، وأمامك وقت طويل حتى تصير رجلاً» .

لكن لم يكن الجميع يحبون تيكو فيو ؛ لأنّهم كانوا غيورين أو لأسباب أكثر مكراً، والبعض حكى عنه قصصاً مروِّعة ، غير أن تيكو فيو نفسه بدا غير مدرك لهذا ، وحين يحتشدون حوله ويعزف على غيتاره ويغني أغانيه كنت تراه يشعر بكونه محبوباً . أغلبهم أحسّ حبّاً نحوه ، كانوا ينتظرون ويتوقّفون خلال الساعة بين العشاء وإطفاء الأنوار ، يهتفون : «أعزف لنا شيئاً بغيتارك يا تيكو». لم يلحظوا أنّه لاحقاً كان ثمّة حزن أعمق مما كان سابقاً ، وقد وثب النعاس وراءهم

Twitter: @ketab_n

مثل أرنب وضاقت عيونهم يتمعّنون باللهب الّذي يصرّ وراء حاجز الموقد الحديدي. الوحيد الّذي كان يعي مشاعرهم المتضاربة كان السيد شيفر؛ لأنّه أحس بها هوالآخر ، والسبب أنّ صديقه عايش الأنهار السمراء حيث تسبح الأسماك والسيدات تتألق أشعة الشمس فوق شعرهن .

وسرعان ما نال تيكو فيو شرف وضع سريره بالقرب من الموقد بجانب السيد شيفر الّذي كان يعرف دوماً أن صديقه كذّاب مرعب . لم يكن لينصت للحقيقة في حكايات تيكو فيو عن مغامراته وفتوحاته ومناوشاته مع المشاهير ، بل بالأحرى يسعد بها باعتبارها قصصاً خالصة كأنّك تقرأها في مجلّة ، وكان يبث الدفء في أوصاله سماع صوت صديقه الاستوائي يهمس في قلب الظلام.

وعدا أنّهما لم ينضما جسدياً أو يفكر في ذلك ، برغم أن مثل تلك الأمور لم تكن غير معروفة في المزرعة ، فقد كانا كعاشقين . ومن بين كل الفصول ، الربيع هو الفصل الأكثر إرهاقاً : سوق نباتات تمتد مُغطية قشرة الأرض التي منحها الشتاء صلابة ، وأوراق غضّة تطقطق بازغة من الأغصان القديمة العارية ، وريح ناعسة تجوب الخُضرة الوليدة . كان الأمر نفسه يجري مع السيد شيفر ، سقوط ثمّ عضلات تنثني وقد اكتسبت تمرّساً .

كنّا أواخر كانون الثاني/ يناير ، والصديقان قاعدان على درج النُزل ، كل منهما يمسك بسيجارة في يده . قمر نحيل أصفر يشبه قطعة من قشرة ليمون تقوّس فوق رأسيهما ، وتحت ضيائه خيوط من صقيع أرضي تلألأت كآثار قوقع فضّي . كان تيكو فيو على مدى عدة أيام قد سقط أسيراً للعزلة ـ صامتاً مثل لصّ يقبع في الظلال ، ولم يكن من الصائب أبداً أن تطلب منه العزف على غيتاره ، فساعتها كان ليُحدّق بك بعينين غائمتين خاليتين من التعبير .

قال السيد شيفر ، وقد توترَ وسرّب إلى نفسه إحساساً بالضعف ألاّ يستطيع

Twitter: @ketab_n

التواصل مع صديقه : «إحكِ قصّة .. لتكن حين رُحت لحلبة السباق في ميامي».

ردّ تيكو فيو : «لم أذهب أبداً لحلبة سباق» مُشيراً بذلـك لكذبتـه الأكثـر جموحـاً ، الكذبة التي تشمل مئات الدولارات ولقاء بينغ كروسبي❖، لكنه لم يُظهر اهتماماً، وبدلاً من ذلك أخرج مشطاً وراح يمشّط شهره عابساً . كان هذا المشط السبب في مشاجرة شرسة منذ أيام قلائل ، واحد من الرجال ، وينك ، إدّعى أن تيكو فيو قد سرق المشط منه ، فردّ المتهم بأن بصق على وجهه وتصارعا حتى تمكّن السيد شيفر ورجل آخر من فضّهما . هنا طلب تيكو فيو من السيد شيفر : «قل له إنه مشطـي» ، لكـن السيد شيفر قال بهدوء وثبات لا ، ليس مشط صديقـه ـ إجابة بدت مُحبطة لكل المُحيطين . «ويح .. لو أنّه يريده لتلك الدرجة، حُبّاً للمسيح ، دع ابن العاهرة يحتفظ به» قال وينك ، ولاحقاً بصوت متحير متردد قال تيكو فيو : «كنت أظنّك صديقي» ، فكّر السيد شيفر: «بلى» دون أن ينبس بحرف .

«لم أذهب أبداً لحلبة سباق ، وماذا قلت بشأن المرأة الأرملة ، لم يكن ذلك صحيحاً هوالآخر» ونفث دخان سيكارته عالياً بغضب محتدم ونظر إلى السيد شيفر بتمعّن وتابع : «قل لي ، هل تملك مالاً يا سيدي ؟» .

أجاب السيد شيفر بحيرة : «ربما عشرون دولاراً» وقد تسرّب إليه خوف مما قد يؤدي إليه الكلام .

قال تيكو فيو : «لا فائدة من ذلك ، عشرون دولاراً» دون أن يبدوعليه أي إحباط ، وتابع : «عموماً لا يهم ، سنتدبر الأمر . لديّ صديق في موبيل اسمه

❖ Bing Crosby (1903 -1977): مغني وممثل أمريكي شعبي ذاع صيته لأكثر من نصف قرن، بداية من 1926 حتّى وفاته .

Twitter: @ketab_n

فريديركو، سيدبّر لنا قارباً ، ولن يعيقنا شيء» . بدا الجو وهو يتكلّم بهذا الكلام وكأنّه صار أبرد .

أحسّ السيد شيفر بقلبه ينقبض ، وعجز عن الكلام .

«لا أحد يمكنه هنا اللحاق بتيكو؛ إنّه الأسرع .»

قال السيد شيفر : «البنادق أسرع» بصوت بالكاد تدب فيه الحياة ، وتابع : «أنا عجوز جداً » مع إدراك بالعمر يزبد بداخله كأنّه غثيان .

لم يكن تيكو فيو ينصت ، بل انتصب منتفضاً كحصان شاب : «ثمّ العالم. العالم ، el mundo ، يا صديقي» ، وقد بدا وكأن العالم عند أطراف أصابعه ـ القمر ، وصياح البوم . علت أنفاسه وتحولت إلى دخان في الهواء : «هل يجب أن نذهب إلى مدريد ؟ يجوز أن أحداً يعلّمني مصارعة الثيران ، هل تظن ذلك يا سيدي ؟» .

لم يكن السيد شيفر ينصت هو الآخر وقد راح يردد : «أنا عجوز جداً .. أنا عجوز لعين» .

ظلّ تيكو فيو ملازماً له طيلة الأسابيع التالية ـ العالم ، el mundo ، يا صديقي، وأراد أن يختفي ، كان ليغلق باب المرحاض عليه ويمسك برأسه ، ومع ذلك، كان مستثاراً مُعذّباً بين القبول والرفض. ماذا لو كان من الممكن أن يتحقق الحلم ، التسابق مع تيكو عبر الأحراش وصولاً للبحر ؟ وقد تخيّل نفسه في قارب وهو الّذي لم يرَ البحر أبداً ، والّذي ارتبطت حياته بكاملها مع اليابسة. في تلك الأثناء لقي أحد المحكوم عليهم حتفه ، وكان يمكنه سماع صوت تجهيز التابوت في الحوش ، ومع كل مسمار يُدَق كان السيد شيفر يفكر : «هذا لأجلي، إنّه لي» .

تيكو فيو نفسه لم تكن معنوياته أكثر روعة في ذلك الوقت ، كان يمشي متئداً

Twitter: @ketab_n

بحيوية الراقص ورشاقة المُحترف، وكانت لديه نكتة للجميع، وبعد العشاء كانت أصابعه تنفجر بالعزف في النُزل على غيتاره كمفرقعات ناريّة. علّم الرجال أن يصيحوا ole، وبعضهم طوّح قبعته عبر الهواء.

حين انتهى الشغل في الطريق، أُعيد السيد شيفر وتيكو فيو إلى الأحراش، وفي عيد الحبّ أكلا طعامهما تحت شجرة صنوبر، وطلب السيد شيفر دزينة برتقال من البلدة وقشّرها ببطء، كان القشر يتدلى في حلزون، وقد أعطى الفصوص الملآنة أكثر بالعصارة لصديقه، الّذي تباهى بالمسافة التي يمكنه بصق البذور إليها ـ عشرة أقدام رائعة.

كان يوماً جميلاً بارداً، هبّت فيه بعض أشعّة الشمس حولهم كأنّها فراشات، وقد أحسّ السيد شيفر الّذي أحبّ الشغل بالأشجار بالضعف والسعادة، ثمّ قال تيكو فيو: «هذا الرجل، لا يمكنه الإمساك بذبابة في فمه» كان يعني أرمسترونغ، رجل له لغد خنزير جلس حاملاً بندقية تستند بين ساقيه. كان أحدث الحرّاس وجديد العمل في المزرعة.

قال السيد شيفر: «لا أدري»، كان قد انتبه لأرمسترونغ ولاحظ أنّ، مثل كثير من الناس ممن يجمعون بين البدانة والخِفّة، الحارس الجديد يتحرّك خفيفاً كالرغوة، «يجوز أنّه يستغفلك».

ردّ تيكو فيو: «أو ربّما أستغفله أنا»، وبصق بذرة برتقالة في اتجاه أرمسترونغ الّذي عبس في وجهه، ثمّ نفخ في صفارته إشارة لاستئناف الشغل.

أحياناً في الأصيل يجتمع الصديقان سوياً مرّة أخرى؛ حين يثبّتان دلاء التّربنتينة في الأشجار المتراصة بمسامير. على مسافة أسفل الأشجار خليج صغير ضحل جار تشعّب خلال الغابة. غمغم تيكو فيو بوسوسة وكأنّه يتذكّر شيئاً سمعه: «لا رائحة يمكن تتبعها في الماء .. سنركض فيها حتى يحلّ الظلام فنتسلّق شجرة، ما رأيك يا سيدي؟».

Twitter: @ketab_n

كان السيد شيفر قد انهمك بالطّرق ، لكن يداه كانتا ترتعشان وقد هوت المطرقة على إبهامه ، فحملق بصديقه دائخاً دون أن يبدوعلى وجهه أي تعبير ألم، ولم يضع إبهامه في فمه كما يفعل الرجال في الغالب في المواقف المشابهة .

تراءت عينا تيكو فيو الزرقاوان وكأنّهما تورمتا مثل الفقاقيع ، وحين قال بصوت أكثر هدوءاً من صوت الريح عند قمم أشجار الصنوبر ، «غداً» ، كانت هاتان العينان كل ما قدر السيد شيفر على رؤيته .

«غداً يا سيدي ؟»

قال السيد شيفر : «غداً.»

سقطت أول أطياف الصباح على جدران النُزل ، وكان السيد شيفر الذي استراح قليلاً ، يعلم أن تيكو فيو كان صاحياً هوالآخر ، وراح يراقب بعيني تمساح مرهقتين تحرّكات صديقه على السرير المجاور .كان تيكو فيو قد فرَدَ الملاءة التي تضم كنوزه ، في الأول تناول مرآة الجيب التي ارتجف نورها الملاءة التي تضم ، ولبرهة انتابه الإعجاب بنفسه بفرحة حقيقية فمشّط شعره ولمّعه كأنه يتهيأ من أجل الخروج لحفلة ، ثمّ علّق المسبحة حول عنقه ، أمّا الكولونيا فلم يفتحها أبداً ولا الخارطة . آخر شيء عمله كان أن يضبط أوتار غيتاره ، وهكذا في حين كان الآخرون يلبسون كان يجلس على حافة سريره يضبط الأوتار . لقد كان أمراً غريباً ؛ لأنّه كان لابد وأنّه يدرك أنّه لن يعزف عليه مرّة أخرى أبداً .

رافقَ صراخُ الطيور الرجالَ خلال الغابات بالصباح المدخّن . مشوا في طوابير مُفردة بكل منها خمسة عشر رجلاً يتبعهم حارس بالخلف . كان السيد شيفر يتعرّق كأنّه في يوم حار جداً ، وعجز عن ملاحقة خطى صديقه الّذي مشى في الطليعة يطرقع أصابعه ويصفّر للطيور .

اُتُفِقَ على إشارة ، مفادها أن يطلب تيكو فيو استراحة قصيرة ويتظاهر بالذهاب

Twitter: @ketab_n

وراء شجرة ، غير أن السيد شيفر لم يكن يعلم متى يُفترض ذلك .

نفخ الحارس المسمى أرمسترونغ في صافرته ، فانفرط رجاله من طابورهم وانفصلوا لأماكن شتى . وقد حرص السيد شيفر الذي انطلق لشغله كأفضل ما يمكنه أن يبقى في موقع يمكنه من خلاله مراقبة تيكو فيو والحارس معاً . جلس أرمسترونغ فوق جذع شجرة مقطوعة وقد أكسب مضغ التبغ وجهه انكفاءً ، وبندقيته تطعن الشمس . لديه العينان المخادعتان لغشّاش بلعب الورق ، لا يمكنك أبداً التخمين بأي اتجاه ينظر .

مرّة أطلق رجل آخر الإشارة ، وبرغم أن السيد شيفر قد عرف على الفور أن الصوت ليس لصديقه إلا أنّ هلعاً اقتلع حلقومه كأنّه حبل مشنقة . وفيما انقضى الصباح كان ثمّة ما يشبه قرع الطبول في أذنه بشكل خشي معه ألا يسمع الإشارة حين تأتي .

صعدت الشمس إلى كبد السماء ، وفكّر السيد شيفر : «ما هو إلا حالم كسول. ولن يهرب أبداً» متجاسراً لحظة ليصدّق هذا . لكن تيكو فيو تلفظ بالإشارة : «نأكل أولاً» وهما يفرشان دلاء غذائهما على ضفّة الخليج الصغير . أكلا بصمت كأن كلاً منهما يحمل للآخر ضغينة ، لكن في النهاية أحسّ السيد شيفر بساعد صديقه قريباً من ذراعه وأمسكه بضغطة خفيفة .

«سيد أرمسترونغ ، استراحة قصيرة ... »

كان السيد شيفر قد رأى بالقرب من الخليج الصغير شجرة لبان حلو ، وكان يفكّر أنّه سرعان ما سيأتي الربيع ويصير اللبان الحلوجاهزاً للمضغ . شقّت صخرة مدببة راحة يده المفتوحة وهو يتسلّق الجسر الزلق إلى الماء ، ثمّ اعتدل وشرع بالركض ، كانت ساقاه طويلتين فحافظ على وجوده جنباً تقريباً إلى جنب تيكو فيو ، وقد انتشرت الينابيع الجليدية الساخنة حولها . هدرت

Twitter: @ketab_n

صيحات الرجال في الغابة جيئة وذهاباً مصحوبة بصدى مثل رجع أصوات في كهف ، وانطلقت ثلاث رصاصات حلّقت عالياً وكأن الحارس يصوّب على سحابة من الإوز .

لم يرَ السيد شيفر جذع الشجرة الّذي يرقد بعرض الخليج ، فكّر أنّه لا زال يركض وانثنت ساقاه تحته كأنّه سلحفاة مقلوبة على ظهرها .

وهو يكافح هناك ، تراءى له وجه صديقه متدلياً فوقه ، كجزء من سماء الشتاء البيضاء ـ متجهماً وحاسماً . ظلّ هكذا لحظة مثل طائر طنّان ، ومع ذلك عرف أن تيكو فيو لم يشأ أبداً له أن ينجح بالهرب ، ما كان ليخطر له ذلك ، وتذكّر أنّه فكّر مرّة أنّه لا يزال ثمّة وقت طويل حتى يصير صديقه رجلاً . حين وجدوه ، كان لا يزال راقداً في الماء الّذي لا يتعدى عمقه الكاحل ، كأنّه أصيل صيفي وهو يطفو سابحاً بتمهّل عبر تيار الغدير .

مرّت منذ ذلك الحين ثلاثة شتاءات ، وقيل عن كل منها إنها الأبرد والأطول، وغسلت أمطار شهرين أخيرين أعمق الحُفر في الطريق الطينية المؤدية للمزرعة، وصار من الصعب أكثر مما سبق الوصول إليها أومغادرتها ، وأضيف زوج من المصابيح الكاشفة على الجدران وكانا يتقدان بالليل كعيني بومة عملاقة . وبشكل آخر ، لم يكن ثمّة تغييرات كثيرة ، فالسيد شيفر مثلاً بدا كما هو عدا الشيب الّذي كسا شعره ، وكنتيجة لكاحل مكسور يمشي بعرج . وكان الكابتن نفسه مَن صرّح بأن السيد شيفر كُسر كاحله أثناء محاولته الإمساك بتيكو فيو، لقد كانت ثمّة حتى صورة للسيد شيفر بالصحيفة وكُتب تحتها العنوان: «حاول منع عملية هرب» ، في ذلك الحين تنسّك بشدة ، لا لأنه يعلم أن باقي الرجال كانـوا يتندّرون ، بل لأنّه فكّر أن تيكو فيو يرى ذلك ، وعموماً فقد قَصَّ الصورة والتعليق من الصحيفة وأحتفظ بها في مُغلّف مع عدة قصاصات تتعلق

Twitter: @ketab_n

بصديقه: امرأة عانس تخبر السلطات أنّه اقتحم بيتها وقَبَلَّها ، وأنّه شوهد مرتين في جوار موبيل ، وأخيراً يُعتقد أنّه غادر البلاد .

لم يجادل أحد في أحقيّة السيد شيفر بالغيتار . ومنذ عدّة شهور مضت انتقل سجين جديد للنُزل ، وأُشيع أنّه عازف ماهر ، وأقنع السيد شيفر بإعارته الغيتار، لكن عزف الرجل خرج نشازاً وكأنّ تيكو فيو ، وقد ضبط غيتاره هذا الصباح فقط ، وصبّ فوقه لعنة . الآن ، يرقد الغيتار تحت سرير السيد شيفر، وصارت ماساته الزجاجية مصفرّة ، وفي الليل تبحث أحياناً يده عنه ، وتندفع أصابعه خلال الأوتار : ثمّ ، عبر العالم .

Twitter: @ketab_n

ذكرى عيد ميلاد

تخيّلْ صباحاً في أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر. صباحاً شتوياً منذ أكثر من عشرين عاماً. خُذ بعين الاعتبار المطبخ ببيت قديم معروش ببلدة ريفية ، أبرز ما فيه موقد أسود ضخم ، لكن أيضاً ثمّة طاولة مدوّرة كبيرة ومدفأة يقابلها كرسيان هزازان . اليوم فقط استهلّت المدفأة طقطقتها الموسميّة .

تقف امرأة بشعر أبيض مجزوز وراء نافذة المطبخ ، تلبس حذاءً رياضياً وسترة رمادية بهتت معالمها فوق فستان كاليكو صيفي . إنها ضئيلة ومُفعمة بالحيوية كدجاجة صغيرة ، لكن بسبب معاناة طويلة مع المرض في شبابها ، تحدّب كتفاها بشكل يدعو للرثاء . تملك وجهاً لافتاً للنظر ، لا يختلف كثيراً عن وجه لنكولن، خشن مثله ، وقد لوّحته الشمس والريح خفيفاً ، لكنه لا يخلو من رِقّة أيضاً ، أسيل ، تزيّنه عينان خجولتان بلون الخمر الإسباني . تهتف : «أوه .. إنّه طقس كعكة الفاكهة ! .» فيما أنفاسها تغطي زجاج النافذة بالبخار .

كان الشخص الّذي تكلّمه هو أنا . أنا في السابعة وهي في الستين وبضع سنوات . أبناء عمومة متباعدان جداً ، وقد عشنا سوياً ـ حسناً ، حسبما أذكر. يقطن المنزل أقارب آخرون ، وبرغم ما لهم من سطوة علينا ، وإبكاؤهم لنا مِراراً ، فإنّنا في المُجمل نادراً ما كُنّا نعيرهم انتباهاً . كلانا صديق الآخر الحميم، تسميني بودي، في ذِكرى صنبي كان في السابق صديقها المُقرّب . كان بودي

Twitter: @ketab_n

الآخر قد مات في ثمانينيات القرن التاسع عشر ، كانت حينها لا تزال طفلة ، ولا تزال للآن طفلة .

تضيف : «كنت أعرف من قبل أن أنهض من الفِراش» مبتعدة عن النافذة تملأ عينيها إثارة عازمة ، «تراءى جرس المحكمة بارداً جداً وواضحاً ، ليس من طيور تُغرّد ؛ فقد هاجرت لبلاد أكثر دفئاً ، بالتأكيد . أوه بودي ، كفّ عن حشو فمك بالبسكويت وأجلب لنا العربة . ساعدني في العثور على قبعتي ؛ فلدينا ثلاثون كعكة لنخبزها» .

تسير الأمور دوماً على نحومُشابه : يجيء صباح في نوفمبر/ تشرين الثاني، وتعلن صديقتي، كأنّه افتتاح رسمي لبدء وقت عيد الميلاد في السنة والّذي يُبهِج خيالها ويزوِّد لهيب قلبها بالوقود ، أنّ : «أوه .. إنّه طقس كعكة الفاكهة !. أجلب لنا العربة وساعدني في العثور على قبعتي» .

عُثِرَ على القبعة ، مدوّرة مصنوعة من القش صدارتها مُزيّنة بورود مخمليّة للاستعمال خارج المنزل وقد خبت : كانت ذات مرّة لواحدة من القريبات الأكثر أناقة . سويّاً ، قُدنا عربتنا ، عربة أطفال خربة ، عبر الحديقة وداخل أيْكة من أشجار جَوْز البَقّان. العربة لي ، وكانت قد اُشتريت لي حين ولِدت . مصنوعة من الخيزران المُفكك ، العجلات تتمايل كسيقان سكير . لكنها شيء مُخلص ، ففي أوان الربيع نأخذها إلى الغابات ونملأها بالورود والأعشاب البريّة والسرخس للمزهريات بشرفاتنا . وفي الصيف ، نكدّسها بحاجيات التنزه وعيدان قصب الصيد ، وندحرجها حتى حافة خليج صغير ، ولها استخدامات شتويّة أيضاً : كشاحنة لنقل الحطب من الحوش إلى المطبخ ، وكمخدع دافئ لكويني ، فأرة الجحر البرتقالية البيضاء الصغيرة المشاكسة التي نجت من سوء المزاج ولدغتين من الحيّة المجلجلة . كويني تخبّ الآن إلى جانبها .

بعد ذلك بثلاث ساعات نعود لنكون في المطبخ نقشّر حمولة عربة مما أسقطته

Twitter: @ketab_n

الريح من جَوْز البَقّان . أوجع ظهورنا جمعه : كم كان صعباً أن نجده (فالحصاد الرئيسي هُزّ عن الأشجار وباعه أصحاب البستان ، والذين لم يكونوا نحن) بين خفاء الأوراق والعشب المُخادع المكسو بالصقيع . طقطق ! دقيق مصحوب ببهجة شظايا دوي رَعْدٍ منمنم مع انهيار القشور وارتفاع الرابية الذهبية من اللبّ العاجي الزيتي العذب في سلطانيّة اللبن الزجاجية . تستجدينا كويني للتذوّق، ومراراً وتكراراً تختلس صديقتي منها قضمة ، برغم الإصرار على حرمان أنفسنا : «يجب ألا نطلق لأنفسنا العنان يا بودي ؛ فلوفعلنا لن نتوقف ، وما يوجد بالكاد يكفي الثلاثين كعكة». يغرق المطبخ رويداً رويداً في الظلام ، يحوّل الغسق النافذة إلى مرآة : تمتزج أفكارنا بالقمر الناهض فيما نطهوالجَوْز على النار في ضوء المدفأة . في النهاية ، حين يصير القمر في منتصف السماء ، نقذف بالقشر النهائي في النار ونراقبه بتنهدات متشابكة ، وهو يُمسك باللهب. تفرغ العربة ، وتمتلئ السلطانيّة .

نتناول عشاءنا (بسكويت بارد ، لحم خنزير مقدّد ، مربى توت) ونتناقش بشأن الغد . نوع العمل الّذي أفضّله في الغد يبدأ : بالشراء . الكرز والأترُج والزنجبيل والفانيليا وأناناس من هاواي معلب والقشور والجوز والزبيب والويسكي وآه ..كميات هائلة من الدقيق والزبدة ، والكثير من البيض والتوابل ومكسبات النكهة : كُلّ ما سيجعلنا في حاجة لجواد سباق لجرّ العربة للبيت .

لكن قبل تلك المُشتريات ، ثمّة مسألة النقود ، وهوما لم يكن أيّنا يملك شيئاً منها ، عدا مبالغ زهيدة يجود بها بعض من بالمنزل أحياناً (تُعدّ العشرة سنتات مبالغ هائلة) أو ما نكسبه بأنفسنا من ممارسة أنشطة شتى : تولي سوق النثريات، بيع دِلاء توت جمعناه بأيدينا ، جِرار مربى مصنوعة بالبيت وجيلي التفاح ومُعلبات الخوخ وطاقات الزهور للجنازات والزيجات . ذات مرّة ربحنا الجائزة التاسعة والسبعين في مسابقة كرة القدم الوطنية وكانت خمسة دولارات؛ لا لأننا

Twitter: @ketab_n

مغرمون بكرة القدم ولكن لأننا ندخل أي مسابقة نسمع بها فحسب : تنصبّ آمالنا الآن على الخمسين ألف دولار قيمة الجائزة الكبرى المُقدمة من أجل تسمية صنف جديد من القهوة (اقترحنا "A.M."، وبعد تردد سببه تفكير صديقتي أنّه ربما كان مُدنِّساً ، صار الشعار "A.M.! Amen!") . الحقّ ، أن مشروعنا المربح الحقيقي الوحيد كان متحف المرح والغرابة الّذي أدرناه بسقيفة الحطب بالباحة الخلفية منذ صيفين . المرح كان فانوساً سحرياً مصحوباً بشرائح تعرض لمناظر من واشنطن ونيويورك أعارتها لنا قريبة زارت تلك الأماكن (غضبت حين اكتشفت لماذا استعرناها) ، الغرابة كانت دجاجة بثلاثة أرجل احتضنتها واحدة من دجاجاتنا . كل من بالجوار أراد رؤية تلك الدجاجة : وقد جعلنا تكلفة رؤيتها للكبار خمسة سنتات وللأطفال سنتين . كنّا ربحنا عشرين دولاراً رائعة قبل أن نوصد أبواب المتحف بسبب موت عنصر الجذب الرئيسية .

لكننا بطريقة أو بأخرى ، كنا نراكم سنوياً مدخرات لعيد الميلاد ، كتمويل لكعكة الفاكهة . ونخبئ تلك الأموال في كيس قديم مخرّز تحت لوح مُفكك تحت الأرضيّة أسفل تجويف قدر تحت سرير صديقتي . قلما يخرج الكيس من هذا المكان الآمن إلا لإيداع أو، كما يحدث كل يوم سبت ، سحب ؛ لأنّه كان مسموحاً لي أيام السبت بعشرة سنتات للذهاب للسينما . لم يسبق لصديقتي أبداً أن ارتادت دار سينما ولا نوتْ : «أفضّل سماعك تحكي القصة يا بودي ؛ فهكذا أستطيع تخيّلها أكثر ، فضلاً عن أنّ شخصاً في سني يجب ألا يبدّد نور عينيه ؛ أحب أن أرى الربّ بوضوح حين يجيء أجلي» . وعلاوة على كونها لم تشاهد فيلماً فإنها: لم تأكل أبداً في مطعم ، أو تسافر أكثر من خمسة أميال بعيداً عن البيت، أو تتلقى أو ترسل برقية ، أو تقرأ أي شيء سوى جرائد فُكاهية والكتاب المقدّس، أو تضع مستحضرات تجميل ، أو تلعن ، أو تتمنى ضرراً لامرئ ، أو تكذب عن قصد ، أو تدع كلباً جائعاً على جوعه . أو إليك بعض ما قامت به: قتلت

Twitter: @ketab_n

بمجرفة أضخم حيّة ذات أجراس شوهدت في هذه البلدة (ستة عشر جرساً)، تنشق السعوط (سراً) ، تروّض طيور الطنّان (حاولت ذلك فحسب) حتى تتوازن على إصبعها، تروي قصص الأشباح (كلانا يؤمن بالأشباح) وبالتالي تستشعر وخزة برد في شهر تموز/ يوليو، التحدّث مع نفسها، السير تحت المطر، زراعة أجمل سفرجل ياباني في البلدة ، معرفة الوصفة المناسبة لكل نوع من أنواع العلاج الهندي القديم ، بما في ذلك وصفة سحرية لإزالة الثؤلول .

الآن ، وقد فرغنا من العشاء ، نتراجع للحجرة بالجزء البعيد من البيت حيث تنام صديقتي في السرير الحديد الخردة المُغطّى باللحاف والمدهون بالأحمر القرنفلي ، لونها الأثير . وبصمت ، نتمرّغ في ملذات التآمر ، نلتقط الكيس المخرّز من مكانه السري وندلق محتوياته فوق السرير الخردة واللحاف. دولارات ، ملفوفة بإحكام ، خضراء كبراعم شهرأيار/ مايو . قطع الخمسين سنتاً الداكنة ، ثقيلة كفاية لتزن قدر عيون رجل ميت . العشرة سنتات المحبّبة ، العملة الأكثر حيوية والوحيدة التي تجلجل بحقّ . الخمسة سنتات والأرباع ، تراءت ناعمة كحصوات في جدول ماء . لكن في الغالب ثمة كومة بغيضة من السنتات التي تنضح بالمرارة . الصيف الماضي ، عقد آخرون في البيت اتفاقاً يدفعون بموجبه سنتاً عن كل خمس وعشرين حشرة نقتلها . آه ، مذبحة آب/ أغسطس : الحشرات التي طارت للنعيم ! رغم كونه ليس بالعمل الّذي نفتخر به ، وفيما نجلس لعدّ السنتات ، بدا الأمر وكأننا نرجع لجدولة الحشرات الميتة. ما من أحدٍ منّا يتقن العدّ ، نعدّ ببطء ، نضلّ ، ونبدأ العد من البداية . وفقاً لحساباتها ، لدينا 12.73 دولاراً ، ووفقاً لي ، 13 دولاراً بالتمام والكمال: «أتمنى لوكنت مخطئاً يا بودي ؛ فلا يمكن أن نلخبط في رقم ثلاثة عشر ، بهذا الشكل سيفشل الكعك أو سنضع شخصاً في القبر . لماذا ، لن أرغب في الحلم بالنهوض من الفراش في يوم الثالث عشر» . هذا صحيح ، دائماً ما تمضي الأيام التي توافق

Twitter: @ketab_n

الثالث عشر في الفراش . لذا ، وكي نكون في الجانب الآمن ، طرحنا سنتاً وألقينا به من النافذة .

❖ ❖ ❖

من بين المقوّمات التي تدخل في إعداد كعك الفاكهة ، يُعدّ الويسكي الأكثر تكلفة ، فضلاً عن صعوبة الحصول عليه : فقوانين الولاية تمنع بيعه ، لكن الجميع يعلمون أنّك تستطيع شراء زجاجة من السيد هاها جونز. وهكذا ، في اليوم التالي بعد أن أتممنا أكثر مشترياتنا ابتذالاً ، شرعنا بالتوجه صوب عنوان تجارة السيد هاها ، «آثِم» (حسب تعبير الرأي العام) محل لقلي السمك ومقهى رقص جانب النهر . كنّا قد ذهبنا قبلاً لذلك المكان ، من أجل نفس المهمة ، لكن في السنوات الفائتة كانت تعاملاتنا تجري مع زوجة هاها ، وهي امرأة داكنة بلون اليود بشعر نحاسي مُعالج بالبيروكسيد المبيّض ومِزاج ضَجِّر جامِد. في الواقع ، لم تقع عيوننا على زوجها أبداً ، ولوأنّنا سمعنا أنّه هندي هو الآخر . عملاق ذو ندوب عبر وجنتيه . يطلقون عليه هاها لأنّه بالغ العبوس ، رجل لم يضحك أبداً. مع اقترابنا من مقهاه (كوخ خشبي كبير مُزيّن من الداخل والخارج بسلاسل من المصابيح على هيئة لوطي مُبهرج عاري وينهض على الحافة الموحلة للنهر تحت ظلال أشجار النهر حيث يوجد ركام من الطحالب عبر الغصون مثل ضباب رمادي). أبطأنا خُطانا ، حتى كويني كفّت عن الوثوب والتصقت بنا ؛ لقد سبق وقُتل أشخاص هنا في مقهى هاها، ومُزّقت جثثهم إرباً ، وضُربوا على رؤوسهم . ثمّة قضية ستنظرها المحكمة الشهر المُقبل . هذه هي طبيعة الأمور في الليل حين تسبك الأضواء الملوّنة نقوشاً مجنونة مع نحيب الجرامفون. أثناء النهار يكون مقهى هاها متهالكاً ومهجوراً . أقرع الباب ، تسعل كويني وتنادي صديقتي : «سيدة هاها ، يا سيدتي ؟ هل من أحد في البيت ؟» .

خطوات ثمّ ينفتح الباب ، وتسقط قلوبنا . إنّه السيد هاها جونز بنفسه !

Twitter: @ketab_n

عملاق *ولديه ندوب ولا* يبتسم . كلا ، هو يحملق بنا بعينين يُطلّ الشيطان منهما ويريد أن يعرف : «ماذا تريدان من هاها ؟» .

لوهلة ، تسمرنا عاجزين عن الرد . وتوّاً ، عثرت صديقتي على نصف صوتها ، صوت هامس في أحسن الأحوال : «من فضلك يا سيد هاها ، نرغب بمكيال من خيرة الويسكي لديك» .

مالت عيناه أكثر . هل تصدق ذلك ؟ هاها يبتسم ! ويضحك أيضاً . «ومن منكما الشارب ؟» .

«إنّه لأجل خبيز كعك الفاكهة يا سيد هاها . خبيز» .

جعله هذا الكلام يفيق ، ويعبس : «هذا الأمر بلا شك يهدر الويسكي الجيد» ، مع ذلك ، انسحب إلى داخل المقهى المُظلل وبعد ثوان عاد حاملاً زجاجة مليئة بمادة سائلة صفراء أقحوانية مجهولة الهويّة . برهن على تألقها بتعريضها للشمس ثم قال : «دولارين» .

دفعنا له بالعملات فئة الخمسة سنتات والعشرة سنتات والسنتات المفردة. وبغتة، والقطع النقدية تصدر صلصله في يده مثل خشخشة قطع النرد ، يلين وجهه ويقترح : «أقول لكم» وهو يُعيد العملات في كيسنا المخرّز «أرسلوا لي فقط واحدة من كعك الفاكهة بدلاً من النقود» .

وتُعلّق صديقتي في طريقنا للبيت : «طيب .. رجل ودود . سنضع فنجاناً إضافياً من الزبيب في كعكته» .

أذكينا النار في الموقد الأسود بالفحم والحطب ؛ فتوهج كيقطينة منوّرة. مضارب البيض تلفّ ، تدور الملاعق حول زبديات الزبدة والسكر وتحلّي الفانيليا الهواء ويتبّله الزنجبيل ، يشبّع التذويب والروائح التي تورث وخزاً خفيفاً بالأنف جو المطبخ ، وتغمر البيت ، وتنجرف إلى العالم عبر الدخان الّذي

Twitter: @ketab_n

ينفثه المستوقد . في غضون أربعة أيام كُنّا قد فرغنا من عمل الكعك ، وإحدى وثلاثون كعكة مُرطّبة بالويسكي تتشمّس على عتبات الشبابيك والأرفف .

لمن تلك الكعكات ؟ .

للأصدقاء . ليسوا بالضرورة الأصدقاء من الجيران : في الواقع ، الصُحبة الأوسع مقصودة لأشخاص ربما لم نرهم سوى مرّة واحدة ، أو ربما لم نرهم أبداً. أشخاص ألهمونا ، مثل الرئيس روزفلت ، أو القسّ والسيدة ج.س.لوسي، والمبشرين المعمدانيين الذين ذهبوا إلى بورنيو وحاضروا هنا الشتاء المنصرم، أو شاحذ السكاكين الضئيل الّذي يجيء للبلدة مرتين كل سنة ، أو أبنر باكر سائق باص الساعة السادسة من موبيل الّذي يتبادل معنا التلويح كل يوم وهو يمر مصحوباً بسحابة من الغبار ، أو الزوجين ويستون الشابين من كاليفورنيا، اللذين تعطلت سيارتهما ذات أصيل أمام البيت وقضيا ساعة لطيفة يدردشان معنا بالشرفة (وقد التقط لنا السيد ويستون صورة ، هي الوحيدة التي تجمعنا سوياً) . هل السبب أن صديقتي خجولة إزاء الجميع عدا الغرباء ، بشكل يبدو معه وكأن هؤلاء الغرباء والمعارف المجردين هُم أصدقاؤنا موضع الثقة ؟ أعتقد نعم . كذلك ، فإنّ سجِل القصاصات الّذي نحتفظ به لخطابات الشكر المكتوبة على الورق المخصوص للبيت الأبيض ، والاتصالات بين الحين والآخر من كاليفورنيا وبورنيو، وبطاقات شاحذ السكاكين البريدية بقيمة سنت واحد ، تجعلنا نستشعر بالترابط مع عوالم زاخرة بالأحداث وراء المطبخ الّذي يطل على مشهد سماء محدودة .

الآن ، يحكّ غصن تين كانون الاوّل/ ديسمبر عاري حافة النافذة . المطبخ خال ، وقد فرغ من الكعك ؛ الّذي نقلنا آخر كعكة منه أمس إلى مكتب البريد حيث كلفتنا الطوابع البريدية آخر سنت لدينا . صرنا مفلسين . أحبطني الأمر لكن صديقتي تصر على الاحتفال ـ ببوصتين ويسكي بقيتا في زجاجة هاها ، فازت

Twitter: @ketab_n

منهما كويني مِلء ملعقة في فنجان قهوة (تحب قهوتها قوية وبنكهة الهندباء) . الباقي اقتسمناه بين زوج من أكواب الجيلي ؛ فكلانا يخشى تماماً إمكانية شرب الويسكي الصرف ؛ فمذاقه يجلب العبوس والرعدات الكريهة. لكننا شيئاً فشيئاً نبدأ بالغناء ، كلانا يغني أغنيات متباينة في آن . لا أعرف كلمات أغنياتي، فقط : تعال على طول، *تعال على طول ، إلى حفل للبلدة الخفيّة المتبخترة*. لكنّي أقدر على الرقص : هذا ما أعنيه بالرقص ، أن أكون راقصاً بكعب الحذاء كما في الأفلام . يمرح ظلّي الراقص فوق الجدران وتهزّ أصواتنا الآنية الخزفيّة ، نقهقه ، كأن أيادٍ خفيّة تدغدغنا . تتدحرج كويني على ظهرها ، وتخمش مخالبها الهواء ، وشيء شبيه بابتسامة ترتسم فوق شفتيها السمراوتين . في داخلي ، أشعر بالدفء والتوثّب كتلك الأشجار المنهارة ، سعيداً كالريح في المدخنة . ترقص صديقتي الفالس حول المدفأة ، وقد علقت حاشية تنورتها الكاليكوالرخيصة بين أصابعها كأنّها فستان لحفل راقص ، وتغني : *أرني طريق العودة للديار* ، وحذاء الرياضة خاصتها يصدر صريراً من احتكاكه بالأرضيّة . *أرني طريق العودة للديار* .

يدخل اثنان من الأقارب . غاضبان جدّاً . مرهوبا الجانب بعيون يطلُ منها التوبيخ ، ولسانين سليطين . أنصت لما ينبغي أن يقولاه ، والكلمات تُقذَف متتابعة في تناغم مغيظ : «طفل في السابعة ! تفوح رائحة الويسكي من أنفاسه! هل أنت مختلّة ؟ إطعام طفل في السابعة ! أنتِ أكيد معتوهة ! طريق الخراب! هل تتذكرين بنت العمّ كيت ؟ العمّ تشارلي ؟ نسيب العمّ تشارلي ؟ ياللعار ! ياللفضيحة ! ياللذلّ ! اركعي وصلّي وتوسلي للربّ !» .

تتسلل كويني أسفل الموقد ، وتحدّق صديقتي في حذائها ، يرتعش ذقنها، تترك طرف تنورتها وتتمخّط ثمّ تركض إلى حجرتها . بعد فترة طويلة تكون البلدة خلالها قد غرقت في النوم والبيت صامت عدا طقطقة الساعات وفرقعة

Twitter: @ketab_n

نيران تخبو، تذرف دموعها في مخدة مبلولة قبلاً كأنّها منديل أرملة .

أقول : «لا تبكي» ، جالساً عند حافة فراشها أرتعد رغم ثوب النوم الصوف الناعم الّذي تفوح منه رائحة شراب سعال الشتاء الفائت ، أتوسل : «لا تبكي» مستفزاً أصابعها ومدغدغاً قدميها ، «أنتِ كبيرة جداً على ذلك» .

تصيبها الحازوقة وهي تقول : «لهذا السبب أبكي .. *أنني كبيرة* جداً . كبيرة ومسخرة» .

«لست مسخرة ، بل خفيفة الدم ، أخفّ دم في البيت كلّه . اسمعي ، إذا لم تكفّي عن البكاء سيجيء عليك الصباح مجهدة ولن نتمكن من الذهاب لقطع شجرة» .

تستوي ناهضة ، وتثب كويني فوق الفراش (المكان الممنوع عليها) لتلعق خديّها : «أعرف أين سنجد أشجار حقيقية جميلة يا بودي ، وشائكة أيضاً ، عامرة بالتوت الكبير كعينيك . إنّها بعيدة في قلب الغابات ، أبعد من أي مكان ذهبنا إليه سابقاً . اعتاد والدي أن يأتي لنا بأشجار عيد الميلاد من هناك : ويحملها فوق كتفه . منذ خمسين سنة . على العموم ، الآن : لا أستطيع الانتظار حتى الصباح» .

في الصباح ، تصقل العشب قشرة ثلج ، والشّمس ، مدوّرة كبرتقالة وبرتقالية كأقمار الطقس الحار ، تستقر في الأفق ، تصقل غابات الشتاء الفضيّة. يؤذّن ديك رومي بري . رجع همهمات خنازير من تحت الأشجار المتشابكة. عاجلاً، على حافة جدول ماء جارٍ بعمق الرُكبة ، توجّب علينا التخلي عن العربة. تخوض كويني النُهير أولاً ، تجذّف عبر عواء شاكٍ من سرعة التيار والبرودة المسببة للالتهاب الرّئوي . نلحق بها ، ممسكين بأحذيتنا ومعداتنا (فأس قصيرة، وكيس خيش) فوق رأسينا . ميل زيادة : الأشواك المؤذية والحواف الخشنة والغصون البريّة التي تعلق بثيابنا ، ومن نِصال الصنوبر الماهرة

Twitter: @ketab_n

مع الفطر المبهرج والريش المنزوع. هنا، هناك ، ومضة ، رعشة ، نشوة زغاريد تذّكرنا أنّه ليست كل الطيور قد هاجرت للجنوب . ودائماً ، يتواصل الطريق عبر برك الشمس الليمونيّة وأنفاق الكروم المسفلتة . خليج ماء صغير علينا عبوره : أَسطول مُنزعج من سمك السّلمون المرقّط يزبد الماء حولنا ، وضفادع بحجم الأطباق تمارس خبطات البطن ، وذكور سمّور تشيّد سداً . على الشاطئ البعيد، تنفض كويني جسمها وترتجف. صديقتي ترتعد هي الأخرى : ليس من البرد لكن من فرط الحماس . تُريق واحدة من زهرات قبعتها المتكدّسة بتلة وهي ترفع رأسها وتستنشق الهواء المعبأ بعبير الصنوبر . «نكاد نصل يا بودي ، هل تشم الرائحة؟». تقول ، وكأننا نقارب محيطاً .

في الحقيقة ، بدا المكان ضرباً من المحيطات . مساحات شاسعة مُعطّرة من أشجار الأعياد، شائكة الأطراف . تتدلى ثمار التوت الحمراء كأجراس صينية: تنقضّ عليها غربان سوداء صارخة . كنّا قد حشونا أكياس الخيش بالأوراق الخضراء والقرمزية بما يكفي لتزيين دزينة شبابيك ؛ فجلسنا جنب الشجرة المُختارة . تتأملها صديقتي ، «ها هي» ، «طول صبي مرتين ؛ فلا يقدر صبي على سرقة النجمة » كانت الشجرة التي وقع اختيارنا عليها طولي مرتين ، عَجماء ضخمة رائعة نجت من ثلاثين ضربة فأس قبل أن تنقلب مُصدرة صريراً كبكاء شقّ الأفق ، نجرجرها كجثّة هامدة ، مستهلين رحلة إياب طويلة. نتخلى كل بضع ياردات عـن النضال ، ونجلس لاهثين ، لكننا نحوز قوة صيّادين منتصرين ، والتي مع فحولة الشجرة ، تنعشنا بشذى بارد ، وتحثّنا على المتابعة. كثير من الإطراءات ترافق عودتنا بالغروب على طول طريق الطين الأحمر المتجه صوب البلدة ، غير أن ردود صديقتي الكتومة والملتبسة على ثناء المارة للكنز الجاثم فوق عربتنا تتكفل بالمهمة : يالها من شجرة رائعة ، من أين جئتم بها ؟ . تغمغـم صديقتي بغموض «من مكان بعيد» . مرّة تتوقف سيـارة وتُطـلّ زوجـة صاحب

Twitter: @ketab_n

الطاحونة الكسولة برأسها وتئن : «سأعطيك ربع دولار نقداً لقاء هذه الشجرة العجوز» . عادة تخشى صديقتي التصريح بالرفض ، لكنها هذه المرّة تهزّ رأسها دون إبطاء : «لن نبيعها ولو بدولار» . تُثابِر زوجة صاحب الطاحونة: «دولار ، هراء ! خمسين سنتاً ، هذا هو عرضي الأخير ، ما لك يا امرأة ، يمكنك الحصول على أخرى» تفكّر صديقتي ملياً وهي ترد بلطف : «أشك في ذلك ، ما من نسختين من نفس الشيء أبداً» .

في البيت : تسقط كويني قرب النار وتنام لليوم الثاني ، تغطّ بصوت عال كالبشر .

❖ ❖ ❖

يحتوي صندوق في العليّة على: علبة أحذية بها ذيول القاقُم❖ (منزوعة من الرداء الخارجي لسيدة غريبة استأجرت مرّة غرفة بالبيت) ، لفافات من أشرطة زينة متداعية وقد حال لونها للذهبي بفعل الزمن ، نجمة فضيّة ، حبل قصير بال ، مصابيح لا ريب في خطورتها على هيئة سكاكر . زخارف رائعة ، بقدر ما يفضون إليه ، وهوما لم يكن بالكافي : فصديقتي ترغب بأن تبرق شجرتنا «مثل شباك معمدانيّة» تتدلى منها حليات الكرات الثلجيّة الثقيلة . سوى أننا لم يكن في طاقتنا تحمّل تكلفة الصناعة اليابانيّة الرائعة ذات الخمسة دولارات وعشرة سنتات ، وهكذا ، عملنا ما نعمله دائماً : الجلوس لأيام إلى طاولة المطبخ بالمقصات والشمع ورُزَم الورق الملوّن . أخطط رسومات وتقصّها صديقتي: الكثير من القطط والأسماك أيضاً (بسبب سهولتها في الرسم) ، بعض التفاح والبطيخ وملائكة بأجنحة مُستنبطة من اطباق محفوظة لرقاقات قصدير قطع شوكولاته . نستعمل دبابيس آمنة لتثبيت تلك الابتكارات بالشجرة ، وكلمسة

❖ eromine : القاقُم ، القاوم :حيوان من فصيلة بنات عِرس . (المورد) .

Twitter: @ketab_n

أخيرة، نرشّ الأغصان بنتف قطن (مُنتقاة في آب/ أغسطس لهذا الغرض) . تشبك صديقتي يديها وهي تتفحّص النتيجة : «الآن بأمانة يا بودي ، ألا تبدو رائعة بحيث تصلح للأكل؟» وتحاول كويني التهام ملاك .

بعد حياكة أكاليل حوشيّة وتزيينها بأشرطة ملوّنة لكل الشبابيك الأماميّة، يصبح مشروعنا التالي هو أن نشكّل هدايا العائلة : أوشحة مصبوغة للسيدات، وللرجال ليموناذة وعرقسوس وشراب الأسبرين عند «ظهور أول أعراض للبرد وبعد الصيد» ، لكن حين يجيء الوقت لِيُعِّد كل منّا هديته للآخر ، ننفصل للعمل بمعزل عن الآخر. أود لو أشتري لها سكيناً بمقبض لؤلؤ وجهاز راديو ورطل كامل من الكرز المغطى بالشكولاتة (كنّا قد تذوقناها مرّة ، ودائماً ما تُقسِم : «أستطيع العيش عليه يا بودي ، نعم يا ربي أستطيع ـ ولا يُذكر اسمه المبارك دون جدوى) . بدلاً من ذلك ، أبني لها طائرة ورقيّة . تودّ لو أعطتني دراجة (كانت قد أعربت عن رغبتها تلك عدة ملايين من المرّات:«ليتني أقدر يا بودي، إنّه لأمرٌ قاس كفاية في الحياة أن تعيش دون شيء ترغبه ، بل وتلعنه، ما تعيه عنزتي ألا تكون قادرة على منح امرئ ما شيئاً ترغب في أن يمتلكه ، لكن ذات يوم من تلك الأيام فحسب يا بودي سأفعل ، وأرصد لك دراجة ، لا تسألني كيف ؛ فربما أسرقها) . بدلاً من ذلك ، أوقن تماماً أنّها تبني لي طائرة ورقيّة ـ كما في العام الماضي والّذي سبقه : العام الّذي سبقه تبادلنا النقّافات. كلها أمور لا بأس بها بالنسبة لي ؛ لأننا أبطال في تطيير الطائرات الورقية وندرس الريح كأننا بحارة : وصديقتي أكثر براعة منّي ؛ فهي تقدر على رفع الطائرة عالياً حين لا يوجد ما يكفي من النسيم لحمل السُحب .

عشيّة عيد الميلاد ، نعمد معاً لتوفير خمسة سنتات نذهب لمحل الجزّار ونشتري هدية كويني التقليديّة ، عضمة بقر طيبة صالحة للقرض . العظمة ، ملفوفة في ورقة مُضحكة ، موضوعة في مكان مرتفع في الشجرة قُرب النجمة الفضيّة .

Twitter: @ketab_n

تعرف كويني أنّها هناك، وتقرفص أسفل الشجرة تحملق عالياً بشراهة: وعندما يحل أوان النوم ترفض التزحزح. تعادل إثارتها ما أشعر به. أركل الأغطية وأقلب مخدتي كأنّها ليلة صيفيّة ساخنة. في مكانٍ ما يصيح ديك.

: خطأ؛ فالشمس لا تزال على الجانب الآخر من العالم.

«بودي، أنت صاحٍ» هذه صديقتي، تناديني من حجرتها المجاورة لحجرتي، وخلال لحظة تكون جالسة فوق سريري ممسكة بشمعة، تعلن: «يجافيني النوم» وتتابع «الأفكار تتقافز في عقلي كأنّها أرنب لعبة. هل تعتقد يا بودي أن السيدة روزفلت ستقدّم كعكتنا على العشاء؟» نتشاور في السرير، وتحتضن كفّي بحبّ: «يتراءى لي كأن كفيك اعتادا أن يصيرا أصغر حجماً، أخمّن أنّني أكره رؤيتك تكبر، حين تكبر هل سنبقى صديقين؟» أقول دائماً: «غير أنّي أشعر بالسوء يا بودي؛ لقد رغبت بجنون أن أهديك دراجة، وحاولت بيع حجر كريم كان أبي قد أعطاه لي» تتردد كأنها مُحرجة ـ «لقد صنعت لك طائرة ورقية أخرى» ثمّ أعترف أنّي صنعت لها واحدة أنا الآخر، أيضاً، ونضحك. تحترق الشمعة سريعاً؛ فنخرج لنكتشف نور النجوم التي تدور حول الشباك كترنيمة مرئية يُسكتها الفجر رويداً رويداً. ربّما يُغالبنا النُعاس، لكن بشائر الفجر تتدفّق علينا كماء بارد: صاحيان وعيوننا مفتوحة على اتساعها نتجول في انتظار أن يصحوالآخرون. تُسقِط صديقتي عن قصد غلاية على أرضيّة المطبخ، وأرقص بكعب حذائي على مقربة من الأبواب الموصدة. واحداً تلوالآخر يبزغ أفراد الأسرة، ترتسم على وجوههم رغبة في قتلنا سوياً، لكنه عيد الميلاد؛ فلن يسعهم ذلك. في البداية، فطور رائع: كل ما تتخيله بالضبط ـ من كعك الحليب والبيض والسناجب المقلية إلى عصيدة الذرة وأقراص العسل، ما جعل الجميع بمزاج مرح طيب عداي أنا وصديقتي؛ بصراحة، نحن نتوق للحصول على هدايانا إلى درجة تمنعنا من الأكل ملء فمنا.

Twitter: @ketab_n

عموماً، يصيبني الإحباط، ومن لن يُحبط؟ مع الجوارب، وقميص مدرسة الأحد، وبعض المناديل، وسُترة مُستعملة، واشتراك لمدة سنة في مجلّة دينية للأطفال. *الراعي الصغير*. تجعلني الهدايا أغلي، بحقّ.

تفوز صديقتي بغنيمة أحلى. كيس يوسفي، أحلى هدية تحصل عليها. تفخر أكثر على العموم، بشال صوف أبيض حاكته شقيقتها المتزوجة. لكنها تقول إن هديتها الأثيرة هي الطائرة الورقية التي عملتها لها، وهي رائعة لكنها ليست في روعة الطائرة التي عملتها لي، الزرقاء المشغولة بنجوم جود كوندكت الخضراء والذّهبية، والأكثر، أنّ اسمي منقوش عليها، «بودي».

«بودي، الريح تهبّ».

الريح تهبّ، ولا يسعنا عمل شيء قبل أن نجري لمرعى تحت المنزل حيث انطلقت كويني لتدفن عظمتها (وحيث، في شتاء ما في ما بعد، ستدُفن هي الأخرى). هناك، وقد غطسنا بالعشب اليانع الّذي يرتفع لخصرينا، نفكّ لفافات طائرتينا الورقيتين، مستشعرين رعشتيهما من الخيط كأنّهما سمكتان سماويتان تسبحان في الريح. نتسلّق العشب شاعرين بالرضا والدفء، نقشّر اليوسفي ونراقب طائرتينا وهما تثبان، وسرعان ما أنسى الجوارب والسترة المُستعملة. أطير من الفرح وكأنّي ربحت حقّاً الخمسين ألف دولار قيمة الجائزة الكُبرى في سباق اسم القهوة الجديدة.

تصيح صديقتي: «ياللعجب، كم أنا غبية»، تتأهب بغتة، كامرأة تتذكّر مُتأخرة جداً أن لديها بسكويتاً في الفرن. تسأل بلهجة من أكتشف سراً عميقاً لتوّه، دون أن تبتسم لي بل لنقطة ما خلفي: «أتدري فيما كنت أفكر دوماً؟.. في أنّ جسداً لابد أن يمرض ويحتضر قبل أن يرى الربّ، وقد تخيلت أنه حين يجيء سيشبه النظر بشباك المعمدانيّة: جميلاً كزجاج ملوّن والشمس تتدفّق من خلاله، ألق لا تعرف معه لها إظلاماً. كان أمراً مُريحاً: التفكير بأنّ هذا التألق

Twitter: @ketab_n

سينتزع كل المشاعر الخبيثة ، لكنّي سأراهن أنّه لا يحدث أبداً . سأراهن في النهاية أن جسداً يُدرك أن الربّ قد كشف فعلاً عن نفسه . أنّ تلك الأمور كما هي» ـ ترسم بيدها إشارة تجمع السحب والطائرات الورقيّة والعشب وكويني التي تنبش الأرض عن عظمتها ـ «إنّه في كل ما يرونه دائماً ، يرون تجليه . كما بالنسبة لي ، يسعني ترك العالم واليوم في عينيَّ» .

❖ ❖ ❖

هذا هو آخر عيد ميلاد لنا سوياً .

تُباعد بيننا الحياة . أولئك الّذين يعلمون أفضل قرروا إلحاقي بمدرسة عسكرية . وهكذا تتلاحق سلسلة متوالية من الأحداث المُخزية من سجون النفخ في البوق ، وانطلاق صوت مأمور الإيقاظ المُزعج في الفجر بمعسكرات الصيف . لديّ منزل جديد أيضاً ، لكن لا يعوّل عليه ؛ فالبيت حيث تكون صديقتي، وحيث لم أذهب ثانيةً أبداً .

وتبقى هي هناك ، تتسكّع بأرجاء المطبخ وحدها برفقة كويني . ثمّ تكون وحيدة . (تكتب بخطها الجامح الّذي يستعصي على القراءة : «عزيزي بودي، بالأمس ركل جواد جيم ماسي كويني بقسوة ، الحمد لله أنّها لم تتعذّب كثيراً، لففتها في قماشة كتان رقيقة وحملتها على العربة إلى مرعى سيمبسون حيث يمكنها البقاء مع كل عظامها ...») . تستأنف لبضعة سنوات تالية خبز كعك الفاكهة بمفردها في تشرين الثاني/ نوفمبر ، ليست كثيرة بل البعض منها : وطبعاً ترسل لي دائماً: «أحلى ما في الخبزة» . كذلك ، في كل خطاب تغلّف عشرة سنتات بورق الحمّام : «شاهد فيلماً وأحك لي القصة» . لكن بالتدريج تميل في خطاباتها للخلط بيني وبين بودي الآخر الّذي مات في ثمانينيات القرن التاسع عشر ، ثم شيئاً فشيئاً لم تعد أيام الثالث عشر فحسب هي الأيام التي تظل بها أسيرة الفراش: يجيء صباح في نوفمبر/ تشرين الثاني ، يجيء عارياً من الأوراق

Twitter: @ketab_n

وبلا طيور بصباح شتوي ، حين تعجز عن إيقاظ نفسها لتهتف : «أوه .. إنّه طقس كعكة الفاكهة ! .»

وحين يحدث ذلك ، أعرف . رسالة قصيرة لتؤكد فحسب نبأً له بعض السرية أكون قد تسلّمته بالفعل ، تفصل منّي جزءاً لا يمكن استبداله ، وتتركه مرخياً كطائرة ورقيّة على سلك مكسور . لهذا السبب ، أتمشّى عبر حرم المدرسة في هذا الصباح الديسمبري بالذات ، وأظل أفتّش السماء. كأنّني توقعتُ أن أرى ، كقلبين ، زوجاً من الطائرات الورقيّة الضائعة يسرع صوب الفردوس .

Twitter: @ketab_n

ترومان كابوتي

إفطار عند تيفاني

«ترومان كابوتي لاذع شأنه شأن عمّة كبرى، لكنه في أسلوبه يُعد رجلاً جريئاً قصير القامة، وهو أكثر كاتب بلغ حدّ الكمال في جيلي؛ فهو يكتب أفضل الجُمل كلمة كلمة، ونغمة تلو الأخرى. ما كنت لأتمكن من إبدال كلمتين في «فطور عند تيفاني»، التي ستصبح واحدة من الروايات الكلاسيكية القصيرة».

نورمان ميلر

إضافة إلى هذه الرواية القصيرة، يتضمن الكتاب ثلاثة من أشهر نصوص كابوتي القصصية، وهي: «بيت الزهور»، و «غيتار ماسيّ»، و «ذكرى عيد ميلاد» التي اعتبرتها Saturday review *«واحدة من أكثر القصص إثارة للمشاعر في اللغة الإنجليزية»*.

ISBN 9957-09-456-4

9789957094560

تلفاكس 5522544 6 00962 ص . ب 950252 ، عمّان 11195 الأردن